

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

أدب الولاة في العصر الأموي

إعداد الطالب
فتحي محمد طالب المسيعدين

إشراف
الأستاذ الدكتور: علي إرشيد المحاسنة

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليـــــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في الأدب والنقد قسم اللغة العربية وآدابهـــــا

جامعة مؤتة، 2016م

الإهداء

إلى والدي براً وإحساناً ...

إلى أستاذي الموقر الأستاذ الدكتور: علي إرشيد المحاسنة....

إلى زوجتي إخلاص، وأبنائي: محمد والنمارق والأيهم وتميم ...

إلى إخوتي الأعزاء ...

إلى أهلي جميعاً وأصدقائي مع المحبة والتقدير...

فتحي المسيعدين

الشكر والتقدير

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله النبي العربي الأمـين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد...

فاسأل ا تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان، لأستاذي الأستاذ الدكتور علي إرشيد المحاسنة الذي لم يأل جهداً في مساعدتي، والذي لولا عظيم جهده وإرشاداته الطيبة ما كـان لهـذا العمل أن يظهر في صورته الحالية، فديني له لا تفي به يد العرفان.

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور خليل عبد الرفوع، الدكتور سلامه هليل الغريب، والـدكتور أحمـد صالح الزعبي، على الملاحظات والتوجيهات القيمة التي سيوجهونها إلـي، والتـي ستجد طريقها إلى هذا البحث، بإذن ا تعالى، ليخرج على أحسن وجه.

وأقدم شكري وامتناني إلى أساتذتي الأجلاء في جامعة مؤتة الغـراء، قـسم اللغة العربية وآدابها، وشكري الخاص لأخي الأستاذ الدكتور خليل عبـد الرفـوع/ عميد كلية الآداب، الذي أمدني بكريم لطفه ومساندته، وهذا من طيب أصله وأخلاقه، والشكر الموصول دائماً وأبداً للدكتور محمد المحاسنة عميد كلية الدراسات العليـا، ولعائلتي الكريمة، ولجميع أصدقائي الذين تلمسوا معي عناء الجهد والبحث طيلة هذه الدراسة.

فتحي المسيعدين

فهرس المحتويات

الفصل الرابع: ما وجه إلى الولاة من شعر الشعراء

الملخص

أدب الولاة في العصر الأموي

فتحي محمد طالب المسيعدين

جامعة مؤتة، 2016م

يهدف هذا البحث إلى دراسة أدب الولاة في العصر الأموي، وما فيه من آثار قيمة في النثر، وما ظهر فيه من خطابة، ومحاورات، ومناظرات، ووفادات، ووصايا، ومواعظ، وجدال فكري ومذهبي اصطبغ بصبغة سياسية، وما ظهر فيه من رسائل ومكاتبات في مجالات عدة، هي أقرب إلى الأدب الرفيع منها إلى شيء آخر، وكذلك يتبين للقارئ أن هذا الأدب بشقيه النثري والشعري على حد السواء جاء مشغولاً بالسياسة والحزبية، والعصبية القبلية، وحركة الفتوح الأموية، من غير أن يخرجه ذلك – وفي أكثر حالاته – عن أن يكون أدباً وفناً خالصاً، وما فيه من أدب موجه نثراً وشعراً يؤيد بني أمية ويستظل بظلهم أو يعارضهم .

وفي الجانب الموضوعي الآخر، تحدثت عن مضامين أدبهم وشعرهم،(ما قالوه ونظموه، وما وجه إليهم من أشعار الشعراء)، في المديح والفخر والثناء، والعتاب والاعتذار، والنقد الاجتماعي، والتوجيه المذهبي السياسي، والحنين والحكم والمواعظ، والوصف والغزل، والإخوانيات، والتقريع، وما جادت به قرائحهم في شعر الفتوح الخارجية، والأحداث الداخلية، وما ساهمت فيه العصبيات القبلية من تأثير كبير في حركة الأدب الأموي وتاريخيه المجيد .

وبينت الدراسة، كيف تأثر أدب الولاة بمظاهر الحياة الجديدة نتيجة الامتزاج الحضاري مع الأمم والشعوب التي وصلتها الحضارة الأموية، مع تعدد في بيئات الأدب ومراكزه الثقافية والفكرية والتاريخية والسياسية والاجتماعية التي سايرت حركة الفتوحات.

ومن الظواهر المميزة للشعر الأموي أن القصيدة الشعرية الواحدة تجمع أكثر من لون وفن، وتنتقل من غرض إلى آخر، تختلط السياسة بالعصبية والهجاء، والمفاخرات بالمنافرات، والوصف بالمديح والفخر، والعتاب بالشكوى، والتقريع

بالنقد الاجتماعي والسياسي، والعطاء والبذل بالبخل واللـؤم، والمـواعظ والحكـم بالاعتذار، والشعر السياسي المرتبط بالتوجيه المذهبي للأحزاب المناوئة لبني أمية.

وزيادة على ذلك، فإن القارئ يجد نفسه معجباً مقدراً لأدب هـؤلاء الـولاة، وما فيه من جمال وظواهر، وجزالة وقوة، وتوجيه وإرشاد، أو إقـذاع وإسـفاف، تزينه المقدمات أو التعليقات، ويجمله البناء والأسلوب الدلالي الأدبـي، والتـشكيل الفني، فنجدهم حينئذٍ نقاداً يتخيرون، أو يسقطون منه مالا يرضي أذواقهم.

لم يقتصر أدب الولاة في العصر الأموي ورواته على نصوصه مـن خطابـة ومكاتبات وأشعار، بل أضافوا إلى تلك النصوص كثيراً من الأخبـار التـي تزيـده وضوحاً وقوة، فرووا المناسبات التي قيل فيها، والظروف التي أحاطت بـه داخليـاً وخارجياً، والخلفاء والولاة والقادة الذين أحاطوه بجل عنايتهم إما لمنفعته أو لذاته، أو لسخطهم على أصحابه، لأنه لا يوافق سياستهم، أو لأنه لا يرضي أذواقهـم، فكـان هؤلاء الأعيان الولاة الأدباء هم أصحاب التوجيه العظـيم لحركـة الأدب بـصنوفه المختلفة، وبيان أثره وتأثيره وصوره في المجتمع آنذاك.

لقد تحدثت الدراسة، عن هؤلاء الأدباء الولاة من نـاحيتين: ناحيـة إنتـاجهم الأدبي، فكان أكثره خطابة ومراسلات (مكاتبات) وألوانـًا فرعية أخـرى، وناحيـة ثانية بيان تأثيرهم في الأدب الأموي، وخاصة في فن المنظوم، وإذا كانـت الفنـون الأدبية في عصرهم قد بلغت الذروة، فقد كانوا السابقين إلى ذرا المنابر، وإذا كـان الشعر قد نحا مناحي خاصة في عصرهم، وأشهره اللون السياسي، والهجاء والفخر المبني على إذكاء روح العصبيات القبلية، والمفاخرات والمنـافرات، فقـد كـانوا الآخذين بزمام الشعراء إلى هذه الاتجاهات التي وجهت حركة الأدب، وأثرت فـي موضوعاته وخصائصه وسماته الفنية التي تنصر فريقاً، أو تهدم مـذهباً، أو تـدفع اتهاماً أمام زخم الأحداث السياسية القاسية.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة كشفت لنا عن تلك الحصيلة الأدبية – نثرا وشعرا– للولاة في العصر الأموي وما طبعته بطوابع مشتركة، وملامح ثرة ومميزة للمكتبـة العربية والعالمية من موضوعات وسمات وخواص فنية على مدى ما يقرب قرناً من الزمان.

Abstract

The Literature of Al- Wulat in the Omayyad Period

Fathi Mohammad Taleb Al- Mseideen

Mu'tah University, 2016

This research aims to study the literature of Al- Wulat in the Omayyad Period and the valuable prose writings at that time. It seeks to explore the different genres and subgenres of literature represented in speeches, conversations, delegations, wills, sermons, and intellectual, political and religious debates. It also studies the different types of letters on different areas which can be described as truly elite literature.

Despite the fact that the literature of this period, whether prose or poetry, is occupied with policy and political parties, tribal fanaticism and war campaigns, it is still regarded as an absolutely unique art or literature by itself. It is, therefore, directed to Bani Omayyah with some literary figures supporting and others opposing them.

The topics of these writers include praise, pride, complimenting, apology, admonition, social criticism, social and religious guidance, nostalgia, instruction and advice, description, love poetry, letters, satire and a list of topics produced by the genius of these writers on external wars or internal actions or conflicts.

The study shows the effect of mixing with other nations and the new life at that time on the literature of the Omayyads. It also displays the different literary environments and the cultural, intellectual, historical, political, and social centers which accompanied the Omayyad war campaigns.

One of the distinctive features of the Omayyad poem is that it combines more than one topic; it moves from one topic to another. So it mixes policy with fanaticism, description with praise and pride, admonition with compliant, satire with social and political criticism, hospitality with miserliness, sermons with apology and political religious poetry with opposing parties.

Furthermore, readers generally find the literature of Al –Wulat rewarding because of its beauty, elevated language, guidance, or even satire. It is embroidered with introductions or comments and enriched with formation, construction and style.

The literature of Al- Wulat does not only include texts of poetry and letters but it also includes the circumstances that are related to that literature. Writers therefore clarify the occasions of the literary texts and mention the caliphs or the governors "wulat" of that period either because they are with or against their policies. These writers become the figures who direct the literary movement of the time in its varied genres showing its effect on the society as a whole.

The study deals with these writers from two perspectives. The first one is their literary production which is represented mostly in letters. The second one is their effect on the Omayyad literature, especially in poetry. Poetry becomes very important in this period and has been directed to policy, satire and admonition. The poets of Al- Wulat take a strong grip of all the attitudes which steer the literary movement and affect its different topics and features in this extremely turmoil era.

The study therefore reveals that large literary legacy, being poetry or prose, of the Wulat period. It highlights the common distinctive features of this era which have contributed to the enrichment of the Arabic and international libraries adding more beauty and passion to that cannon for more than a century.

المقدمة والتمهيد:

يمثل أدب الولاة في العصر الأموي مرحلة من أزهى المراحل في حضارتنا العربية الإسلامية، إذ إن لأدب الولاة بهاءه ودوره الفاعل في كشف ملامح العصر وأحواله التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية التي عاشها العرب في تلك المرحلة من عمر الدولة الأموية.

لقد حفل تراثنا الأدبي في عصوره الممتدة بما يثبت تفوق العقل العربي في مجالات عدة، وحمل لنا التاريخ عطاء جليلاً هو "أدب الولاة في العصر الأموي"، ويتمثل فيما نسب إليهم من أدب جم نثراً وشعراً.

وأدب الولاة – كما نرى – هو تلك الحصيلة الأدبية - نثراً وشعراً – التي خلفها لنا أولئك الأدباء الولاة، وما نسب لهم من خطب ومكاتبات وتوقيعات ومحاورات ومناظرات ووصايا وحكم ووفادات، وكذلك ما ينسب إليهم من شعر، وإن كان قليلاً- كما سنرى - وما يتضمن من موضوعات وعناوين، وما يتميز به من خصائص موضوعية وفنية تجعله يحمل ملامح ثرة ومتميزة في أدبنا العربي، لتشد من أزره وتغذيه بغذاء فكري وروحي وحضاري يعبر عن روح العصر ورؤى الأمة، وحركة المجتمع الأموي آنذاك، ففحولتهم الأدبية، ونبوغهم الفكري، وتفوقهم السياسي لا تخفى على باحث.

وزيادةً على ذلك، فإن أدب الولاة على أهميته، لم يحظَ بالاهتمام على ما ظهر لي، ولا يزال كثير من موضوعاته بحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية، التي تجلو مظاهره جميعها، وتوضحها.

على أنني لا أنكر دور الباحثين ممن تعرضوا في دراساتهم وبحوثهم لأدب العصر الأموي، وفي حدود ما وقفت عليه لم أجد دراسة شاملة عنيت بأدب الولاة، إذ اقتصر حديثهم على إيراد مقتطفات وشذرات متناثرة كجزيئات دون العناية بالتفصيلات لأدب هؤلاء الولاة، وبيان أغراضه وموضوعاته ومقاصده وميزاته وخصائصه الفنية.

لقد جاء موضوع الرسالة، بناء على اقتراح أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور علي إرشيد المحاسنة، الذي أشار علي – مشكوراً – أن تكون هذه الدراسة حول

أدب الولاة في العصر الأموي، وبعد دراسة مستفيضة تولدت لدي الرغبة في إظهار عنوان هذه الرسالة لما في أدب الولاة من سمات موضوعية وفنية وأدبيـة بـارزة، على أنه وفي حدود معرفتي المتواضعة لا توجد دراسات سابقة تناولت الموضـوع على الشكل الذي قرره أستاذي الجليل.

وفي أدب الولاة والعصر أخبار أدبية ظريفة، وفيه آثار تاريخية وعلمية وأدبية خالدة، كخطبة زياد البتراء ورسائله، وخطب الحجاج ورسائله وآرائه السياسية التي عكست لنا سياسته ونفسيته، وخطب القادة والعمال الولاة من أمثال قتيبة بن مـسلم الباهلي، طارق بن زياد، وأقوال المهلب بن أبي صفرة المأثورة وحكمه ووصـاياه المشهورة، وبيان حرص هؤلاء الأدباء الولاة على بناء الدولة العربية الأموية، كمـا هو – نصر بن سيار – الذي نذر نفسه بطلاً لمقاومة خطر الشعوبية، الذي بان فـي نثره وشعره، وفي أدب الولاة أخبار وقصص رائعة عـن الوفـادات والمحـاورات والأجوبة والوصايا والمجالس الأدبية.

لا شك أن موضوع أدب الولاة في العصر الأموي يعنى بدراسة الجانب النثري والشعري على مستوى البناء الموضوعي الدلالي، والتشكيل الفني الأدائي.

تقوم الدراسة بشكلها العام على أساس من الموازنـة والمقارنـة بـين بعـض النصوص المؤيدة والمعارضة؛ لأن تلك الفترة من أزهى وأخصب مراحل الإنتـاج الأدبي للأمة.

جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول تضمنت مقدمة وخاتمة، وبالاعتماد علـى المنهج الفني التحليلي الذي يتلاءم وموضوع الدراسة، من حيث الكشف عن جماليات - أدب الولاة في العصر الأموي - من الناحيتين الموضوعية والفنية.

فقد خصصت هذه الدراسة كتمهيد للدراسة التاريخية والحياة السياسية والثقافية والإدارية والاجتماعية والفكرية، للوقوف على أهم الأحداث السياسية التي سبقت هذا العصر، وتبلورت أفكارها مع انحراف بني أمية عن مسار الخلافة الإسلامية القـائم على مبدأ الشورى إلى التوريث وولاية العهد، الأمر الذي أدى إلى سلسلة دامية من الأحداث والمآسي في هذا العصر.

ولا شك في أن حوادث التاريخ تستند برمتها إلى عوامل كثيرة تتجه باتجاهها، وتدخل في حسابات قادتها، كالعامل السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والإداري والثقافي، إضافة إلى عامل الأفراد والجماعات والقادة وامتزاج السكان، وتوسع حركة الفتوح، وكثرة الفتن، والأحداث الداخلية مع تعدد الفرق المذهبية والحزبية بشأن الخلافة.

ودرست في الفصل الأول النثر، وقسمته إلى ثلاثة أقسام، الخطابة، وقدمت لها، ومن ثم عرجت على أنواعها، وموضوعاتها، والخطباء وخطبهم، والأحداث والعوامل المؤثرة فيها، وبينت خصائصها الفنية مع الاستشهاد بنصوص منها.

وتحدثت في الفصل الثاني، عن فن المكاتبات والرسائل والعهود والتوقيعات من حيث: مقدماتها، وأنواعها، وموضوعاتها، والعوامل المؤثرة فيها، مستشهدا بالنصوص المتبادلة التي دارت بين الخلفاء والولاة والعمال والقادة والأفراد والجماعات، ثم وضحت الخصائص الفنية التي تمثلت في رسائلهم وتوقيعاتهم، ومجالاتها ودواعيها، فكانت الكتابة حينئذ هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق المبادئ، وتوجيه القوى، وضمان الحقوق في السلم والحرب.

وتحدثت في الفصل الثالث عن شعر الولاة، وما قالوه ونظموه ووجهوه، وبيان أغراضه وفنونه: كالمديح، والفخر والهجاء، والغزل، والوصف، والعتاب، والحنين، والاعتذار، والحكم والآداب والمواعظ، وطلب الأمان والتهنئة والشعر السياسي الذي واكب مسيرة الدولة الأموية، وبينت ما لهم من شعر، وإن كان على شكل مقطعات قصيرة لم ترقَ إلى القصائد المطولات، باستثناء شعر النعمان بن بشير الأنصاري الذي ترك للقارئ شعراً كثيراً جمع في ديوان سمي- شعر النعمان بن بشير الأنصاري- إضافة لمقطوعات وقصائد لا بأس بها - لنصر بن سيار-.

وفي الفصل الرابع، تناولت شعر الشعراء الموجه إلى صناع القرار الأموي من الأدباء الولاة، وما فيه من موضوعات وفنون شعرية جاءت بين التأييد والمعارضة، والتقريب والإقصاء، وجعلت في أثنائه تبياناً لموضوعاته وخواصه الفنية.

وختمت هذه الدراسة، بخاتمة ضمنتها ببعض النتائج والرؤى المستقبلية للباحثين الكرام، وبقائمة للمصادر والمراجع، التي تنوعت بين المصادر التاريخية، والأدبية

واللغوية، وكتب الفتوح والمغازي والسير والتـراجم، ومعـاجم اللغـة والبلـدان، والأنساب والدواوين والمجموعات الشعرية، التي غذت بمدادها هذه الدراسة.

وبعد، فإنني قد بذلت جهدي لجعل هذه الدراسة عملاً متكاملاً، وإن لم يـسعفني الحظ بالإحاطة بمختلف جوانبها، فآمل أن أكون قد وفقت في عرض ما توصلت إليه بصدق، مستنيراً بملحوظات وتوجيهات أستاذي الكريم الدكتور علي المحاسنة، الذي لم يألُ جهداً في المتابعة والرعاية والتشجيع، فإليه أوجه عظيم شـكري وامتنـاني ودعائي، بحفظه ورعايته، فالكمال - وحده - والحمد رب العالمين.

الناحية التاريخية:

يظل الماضي قائماً في بناء الحاضر والمستقبل، ولذا تبدو الصلة قائمـةً بـين الأزمنة والعصور التاريخية أكثر وضوحاً، وذلك عند ملاحظة المراحل المتعاقبة في المسيرة التاريخية للأمة الواحدة،وتكوين المجتمع واستمراريته، واستيعاب حركتـه، وفهم الأسس التي تحكم العلاقات والآثار المتبادلة بين تلك المراحل المتعاقبة.

وما من شكٍ في أن تعاليم الإسلام السمحة لا السيف هي التي فتحت البلاد طولاً وعرضا من الشام ومصر والعراق إلى خراسان وبلاد الهند والسند، وإفريقية وبلاد الأندلس، فقد كفل الإسلام للناس حريتهم لا لأتباعه فحسب، بل لكل من عاشوا فـي ظلاله مسلمين وغير مسلمين، وكأنه أراد وحدة النوع الإنساني، وحدة يعمها العـدل والرخاء، والأمن والسلام. [1]

غير أن حوادث التاريخ برمتها تستند إلى عوامل كثيرةً تتجه باتجاهها، وتدخل في تياراتها وحساباتها، كعامل الأفراد والجماعـات والقـادة، وامتـزاج الـسكان، والأفكار والمذاهب، والنظم المتوارثة تصب في حوادث التاريخ، على إثر تـداعيات مقتل الخليفة عثمان بن عفان – رضي ا عنه- سنة (35ه). [2]

قام معاوية بن أبي سفيان- رضي ا عنهما- بالمطالبة بدمه، فخرج معاويـة بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ علياً خروج معاوية وأتباعه، فسار إليـه مـن

1- ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1963م، ص:24.

2- السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق حامد أحمد الطـاهر، المكتـب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006م،ص:157.

الكوفة؛ فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين هجرية، ودام القتال بها أياماً فرفعت المصاحف، وتداعوا إلى الصلح والتحكيم بأذرح، لينظروا في أمر الأمة، فافترق الناس، فرجع علي إلى الكوفة، ورجع معاوية إلى الشام، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه غير راضين بالتحكيم، لإقرار عمرو بن العاص أثناء التحكيم وبدهائه فخلع علياً، وبايع لمعاوية، فتفرق أمر المسلمين عندئذٍ، وصار علي بن أبي طالب – كرم ا وجهه- في خلاف مع أصحابه، فكان سبباً لمقتله سنة (40هـ)[1]، فولي الحسن – رضي ا عنه- الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام فيها ستة أشهر وأياماً، فجرت بينهما مفاوضات بتسليم أمر الخلافة إليه ضمن شروط تحدثت عنها الروايات التاريخية، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فاصطلحا على ذاك، وبهذا الصلح طويت صفحة من الخلاف والفرقة بينهما، وصار معاوية خليفة مجمعاً عليه، قيل عام أربعين للهجرة[2]، ولكن ابن خياط يجعل ذلك عام واحد وأربعين للهجرة [3]، ويرجح المسعودي ذلك، بقوله: " ثم صالح الحسن معاوية نحو شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هجرية"[4].

إذن، شكلت خلافة عثمان بن عفان ومقتله مدخلاً لوصول البيت السفياني إلى الخلافة، لصلتهم به، وبعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين الممتد من سنة (11-41هـ) جاء عصر جديد، هو عصر الخلافة الأموية الممتد من سنة(41-132هـ)، (661-749م)، وفي هذا الإطار الزمني جاء الاهتمام بدراسة تاريخ بني أمية، وتبيان شواهده الحضارية في مجال الفتوحات والإدارة والاقتصاد، والحاجات الثقافية والاجتماعية، وسياسة الحكم ونظامه وتطوره.

1- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: 166.

2- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت 310ه)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1967م، 26/3.

3- العصفري، خليفة بن خياط، (ت 240ه)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط2، 1985م، ص:203.

4- المسعودي، علي بن الحسين،(ـت346ه)، التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)،1981م، ص:301.

استطاع معاوية بن أبي سفيان – رضي ا عنهما – أن يستأثر بالخلافة، وتـم له ما أراد، بعد اجتماع الأمة على خليفة واحد سمي ب (عام الجماعـة)، باسـتثناء الخوارج الذين امتنعوا عن مبايعته، وبذلك قامت دولة الخلافة الأمويـة، وأضـحى معاوية بن أبي سفيان- رضي ا عنهما- خليفة المـسلمين، واتخـذ مـن دمـشق عاصمة مركزية للدولة الأموية، يقول أحمد أمين: "وربما كان السبب أن الأمـويين تبوءوا الخلافة وحصروها فيهم، بل في بيتٍ من بيوتهم، وضيقوا على من عـداهم في بطون قريش، وحجروا عليهم التفكير في الشؤون السياسة، وكـان الـشام هـو العنصر المؤيد لبني أمية، والعراق هو العنصر المعارض لهم".[1]

وكانت مهمة الخلافة عند معاوية بن أبي سفيان، هي صيانة الأمة، وتوطيـد سياسة الحكم فيها، فالخلافة في نظره يجب أن تخدم الفكرة الإسلامية عامةً؛ فالـدين مبجل معظم، والخلافة حكم زمني أكثر منها ديني، فالدين يستفيد من هدوء الحـال وسير الأمور سيراً طبيعياً، فأمامه أمصار متعددة ومختلفة ومتباعدة، تتطلب خطـة ورسم سياسيات لتنفيذها أمام الظروف المحيطة به.[2]

ومع أن عصر بني أمية تقبل حكم البيت الواحد، بـل إن الأسـرة الـسفيانية والمروانية هي أولى الأسر المسلمة الحاكمة، والتي تولى أمرها أربعة عشر خليفـة أمويا حصروها فيهم فجعل أخطاء السابق من خلفائهم تحمل على اللاحـق مـنهم، فأولهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان –الذي سن للخلفاء الأمويين من بعده نظام ولاية العهد، وشرع لهم مبدأ وراثة وتوريث الخلافة في ذريتهم، فبعد معاويـة بـن أبـي سفيان تحولت إلى ابنه يزيد بن معاوية، ويعلق على ذلك الجاحظ في رسائله، قائلاً: "تحولت الإمامة إلى ملك كسروي، والخلافة إلى منصب قيصري". [3]

1- أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 1975م، ص: 179.

2- العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م، ص:138-140.

3- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبـد الـسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)،1965م، ص:292، انظـر: بطاينـة، محمـد

وهكذا نشأت الدولة الأموية التي دام حكمها واحداً وتسعين عاماً هجرياً- تسعةً وثمانين عاماً ميلادياً، كان آخر خلفائها – مروان بن محمـد – معبـرة عـن روح العصر الجديد وحاجاته، وماقدمته لها الأحداث التي أسلمتها الحكم، فهـي - إذن – مدينة لتلك الأحداث ببؤسها ونعيمها معاً.[1]

ولاشك في أن الواقع التاريخي، والأصول التاريخية والروايات التي وصـلت إلينا عن تاريخ بني أمية المشرف تمثل ما اختزنته الذاكرة لهذا التاريخ، أو جانباً من جوانبه التي ركزت جل اهتمامها على أخبار البيت الأموي والفتوحات وما صاحبها من الانتصارات والهزائم، وعلى تفاصـيل الأحـداث الـسياسية وأخبـار الفـرق والأحزاب، وما قامت به من ثورات أرهقت سياسة الحكم الأموي.

لذا، تشهد الوثائق السياسية والتاريخية للعهد الأموي أن هذا الذي اسـتمر فـي العصر الأموي لم يكن عسكرياً فحسب، بل كان فتحاً دينياً ولغوياً وثقافيـاً، فانتـشر الإسلام، واللغة العربية والثقافة والحضارة في البلاد المفتوحة بخطى حثيثـة، كمـا تغيرت معه أوضاع سياسية واقتصادية وتنظيمية واجتماعية، فالسيادة الأموية علـى تلك الرقعة الواسعة من أمصار وأقاليم دولة الخلافة الأموية لاتنازع، والأساس الذي عامل عليه المسلمون أبناء الشعوب المفتوحة، والذي تـضمنته الحريـات ورعايـة المواثيق والعهود، وإشراك أبناء الشعوب المفتوحة في حكم بلادهم وإدارتهـا، كـل ذلك من عالمية الإسلام وتقبله للآخر، كما أن العصر الأموي كـان عـصر نمـو الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها في ميادينها المختلفة من إدارة ونظم سياسية وعسكرية وعلوم وترجمة وتأليف، وفنون وعمارة تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ العربي الإسلامي.

ومنذ تأسيس كيان هذه الدولة كان لدى الناس فكرة مسيطرة أن سياسة الحكـم الإسلامي والخلافة الجديدة، والممتدة من العصرين السابقين عهد النبوة، والخلافـة الراشدة لابد أن يكون نموذجهم الأعلى في كل ما تعارفوا عليه باسم "سياسة عمر بن

ضيف ا ، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمـان، ط1، 1999م، ص:416.

4- العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ص:135.

الخطاب" – رضي ا عنه-، يقول إحسان عباس: "وأعتقد أن الأسباب التي جعلـت سياسة عمر غير ممكنة التطبيق بكل أبعادها هي تغير الزمن وتطوره، وتغير الناس الحاكمين والمحكومين، وحاجة الدولة قي اتـساعها وتراميهـا إلـى نظـام يلائـم حجمها".[1]

لذا، هبت الثورات في وجهها منذ قيامها.وكذلك الأحزاب والفرق السياسية التي ناصبتها العداء طوال تاريخها عديدة، والتي لا يجمعهـا إلا العـداء لبنـي أميـة، وتقويض كيانهم، والقضاء على دولتهم، ولكن الدولة الأموية عبر تاريخها لـم تلـن أمام معارضيها والمناوئين لها، فواجهتهم بكل حزم وقوة، وقضت على معظمهـا، وفي ذلك يقول محمد الطيب النجار: "فلا تكاد تتغلب على عدو، حتى يبرز لها عدو آخر، حتى إذا أذن ا أن تتغلب عليه فاجأها عدو غيره، ليستأنف معها المعركة من جديد"[2]. غير أن صراعات القبائل لم تكن بمعـزل عـن الـصراعات الـسياسية للأحزاب والفرق، ومحاولة كل منها الوصول إلى بوابة السلطة، إذ رأت تلك القبائل أنها أحق من غيرها في الوصول إلى الحكم ونزعه من بني أميـة ومـن حـالفهم والاستئثار بها، فبدأت القبائل تتكتل في تجمعات وأحلاف، مع ما ساهمت فيه السلطة الأموية من تأجيج الصراعات القبلية بعد أن كاد الإسلام بسماحته يقضي عليها، غير أن السلطة الحاكمة اتخذتها سلاحاً تسلطت به على القبائل بمحاولة تقريب بعـضها وإقصاء بعضها الآخر، بما يثير التنافس والحقد بين القبائل، والدخول فـي معـارك عصبية عنيفة، أشعل نارها الشعراء والخطباء والساسة من الخلفاء والولاة لتثبيـت دعائم الملك.[3]

1- عباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام في العصر الأمـوي (41-132ه/661-750م)، مطبعـة الجامعة الأردنية،عمان، ط2، 1999م، ص:12.

2- النجار، محمد الطيب، الدولة الأموية في المشرق، دار الاتحاد العربي للطباعـة والنـشر، القاهرة، (د.ط)، 1981م، ص:85.

3- النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر،دمشق، ط2، 1973م، ص:241، انظر: بطانية، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:102.

وما من شك في أن هذا الصراع كان من أقوى العوامل في النهضة الـشمولية لكل مناحي الحياة في العهد الأموي.

هذا عرض موجز لظهور الجانب التاريخي في نشأة نظـام الحكـم الـسياسي الأموي وتطوره، ومدى ارتباط الإدارة السياسية بمقر الخلافة والأمصار التابعة له، ولقد كانت الغاية من إبراز الملامح الأساسية لنظام الحكم في العصر الأموي علـى أن التغيير قد حصل بالفعل، وأن هذا التغيير بدوره كان نتيجة ظروف وعوامل كان لها أثرها في إدارة الدولة في جانبها السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتمـاعي والثقافي، لأن الحياة السياسية في عصر بني أمية لم تكن حياةً هادئةً، بل كانت حياةً ثائرةً، ففي رأي كثير من جماهير الأمة أن الأمويين اغتصبوا الخلافة، إلا أن البلـد الذي كان هادئاً لدى بني أمية هو الشام، مقر الخلافة على خلافـه مـن الأمـصار الأخرى، وبخاصة العراق والحجاز، فإننا نجد فيهما سخطاً عارماً على بنـي أميـة وحكمهم في قيادة الدولة، وإدارة شؤونها، وفقاً لمبدأ الوراثة، وولاية العهـد، وأخـذ البيعة للخاف قبل وفاة السلف، وساعدهم في ذلك ولاتهم في الأمصار.[1]

لا شك في أن الفكرة في الجانب السياسي ضخمةً، والمجالات والإشارات لهـا كثيرة، فقد كان سبب هذا المنحى الجديد في المسار السياسي والتنظيمي هو نتيجـة تغير لمفاهيم العصر بفعل الفتوحات، واختلاط العرب بسكان البلاد المفتوحة، ومـا رافق ذلك من ظهور قوي للأحزاب والفرق السياسية التي عارضـتهم وناصـبتهم العداء في فكرة وراثة العهد وتعاقب الخلفاء مـن نفـس البيـت الواحـد، فكانـت المعارضة علنية لبني أمية، في من هو أحق بالخلافة والإمامة للمسلمين.[2]

1- ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1952م، ص: 85، انظر: عتيق، عبد العزيز، في الأدب الإسلامي الأموي، دار النهضة العربيـة، بيروت، ط1، 2001م، ص:49-50.

2- حسن، إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتمـاعي، مطبعـة النهـضة المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1953م،427/1، انظر: طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولـة الأموية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996م، ص:201.

فمن الشواهد التاريخية والسياسية التي اعتمد عليها بنو أمية في تثبيت حكمهم، التفريق بين القبائل، وإحياء العصبيات القبلية، إلا أن هذه السياسة والبناء عليها لـم يطل فقامت المنازعات بين قريش وسائر القبائل الأخـرى، وزاد الأمـر الـسياسي تعقيداً فيما بعد، نتيجةً لظهور الصراع العنصري بين العرب والعجم والموالي، فلذا، تعصب الأمويون للعرب ونظروا إلى غيرهم من الأجنـاس و الأمـم والعناصـر السكانية نظرة السيد للمسود.

لكن هذا التحول أدى إلى فقدان مبدأ الانسجام بـين جنـاحي الخلافـة الـديني والزمني الذي أدى إلى أضعاف النظام السياسي، نتيجة لهذه المتغيرات في البنيـة السياسية، إضافةً إلى انضمام بعض الأقوام إلـى الأحـزاب الـسياسية والمذهبيـة للخارجين على نظام الخلافة الأموية والثورة عليهم لتقويض عمر هذه الخلافة.[1]

ومن الملاحظ أن السياسة الإقليمية في العراق وخراسان في الجانب الـشرقي كانت أبعد مدى وأشد نشاطاً منها في أي جانب آخر، ولعل ذلـك راجـع إلـى أن العراق كان مصدراً للمعارضة السياسية، وموئلاً للقبائـل المتنافـسة، فقـد كانـت خراسان مجمع الجيوش الفاتحة التي تتألف من عصبيات شتى، وموطنـاً لأجنـاس بشرية مختلفة الأهواء والنزعات أمام زوال دولة الفـرس، وفـتح المجـال علـى مصراعيه للنشاط الحربي الإسلامي، وما شكله من مجال خصب في التكوين الجديد للدولة الأموية الناهضة، حيث كانت منطلقاً لفتوح بلاد ما وراء النهر، وفي الجهـة الشمالية والغربية كان السلطان (البيزنطي) يسد الطريق الشمالي علـى الفتوحـات الأموية، ويجعل العمليات الحربية والعسكرية بين الطرفين لا تتعدى حدود الإغـارة على الثغور والحدود، وأما في الجهة الغربية فكانت فتوح إفريقية، ونقطةً للعبور إلى بلاد الأندلس وضمها إلى بلاد الإسلام، وكذلك كان التوغل في عمق بلاد الفرنجـة، واستطاع القادة من بني أمية وجندهم التوغل حتى بلوغ أبواب القسطنطينية، فلمـاذا

1- بابتي، عزيزة فوال، السياسة والأدب في العصر الأموي، دار الـشمال للطباعـة والنـشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، ط1، 1987م، ص:392-293.

حققت دولة الخلافة الأموية الأمجاد تلو الأمجاد، بالرغم مما واجهته مـن صـعاب وظروف داخليةٍ وخارجية استنفدت كثيراً من طاقاتها.(1)

الجانب الإداري في العصر الأموي:

الملامح العامة للإدارة:

تميز الهيكل التنظيمي للدولة الأموية كما ذكرته- المصادر التاريخية – بالتشابه مابين الإدارة المركزية للخلافة، وما بين الأجهزة الإدارية في الولايـات والأقـاليم التابعة لمقر الخلافة، فأصبح في كل إقليم تابع للولاية تنظيم إداري مـشابه للتنظـيم الإداري المعمول به في عاصمة الولاية.

لاشك أن معرفة ملامح الإدارة في العصر الأموي يستلزم معرفـة الظـروف السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت نـشأة و قيـام دولـة الخلافة الأموية، والعوامل المؤثرة في تحديد مسار تلك الملامح العامة للإدارة فـي هذا العصر الذي اتسم بتأثير قيم ومبادئ وأفكار إدارية جديدة تماشت مـع حركـة الفتوح الأموية التي اتسعت وامتدت أطرافها من حدود فرنسا غرباً إلـى الـصين شرقاً، ومن آسيا الوسطى شمالاً إلى بلاد النوبة جنوبا، وما رافق ذلك من نشر للدين الإسلامي، وإلى جانبه اللغة العربية ويحظى الوليد بن عبد الملك بالريادة فـي هـذا المجال.(2)

إن هذه الدولة عملت وبكل جهد مستطاع علـى تعريـب الأجهـزة الإداريـة والنقدية، ونقلت الدواوين من تجارب الأمم والثقافات الأخرى وعربتها، وسكت عملة ذهبية للتعامل بها في الداخل والخارج.

---

1 - طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص:206.

2- خريسات، محمد عبد القادر، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (41-132هـ/661-750م)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2005م، ص5، انظر: الشباني، محمد عبدا ، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسـلامية- منـذ صـدر الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية، عالم الكتـب، القـاهرة، ط1،1979م، ص:41-42، انظر: العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة في القـرن الأول الهجري، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1969م، ص:17.

ويلاحظ كذلك بروز كثير من المبادئ والأفكار الإدارية، كملامح عامة للإدارة الأموية، وتبلور النظام المالي في تنظيم الضرائب وأساليب الجباية والصرف. [1]

وكنتيجة إلى نظام اللامركزية المتبع في الفترة الأموية، منح ولاة الأقاليم والولايات سلطات واسعة وتكاد تكون مطلقة في تدبير أمور ولايته، وما يلزمها من تنمية شمولية، لا شك أن الدولة الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب - رضي ا عنه- استفادت من النظام الإداري (الدواوين) الذي كان معمولاً به عند الفرس والبيزنطيين، وظلت هذه الوحدات الإدارية مستمرة في العصر الأموي، واستحدثت كذلك بعض الوحدات الإدارية في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقد جاءت استجابة للضرورات الطارئة في كيان الدولة والفتوحات التي امتدت طوال هذا العصر.[2]

الأمر الذي أدى إلى تطبيق نظام اللامركزية في الحكم وإدارة الولايات والأمصار، يقول محمد البطاينة:" إن تقسيم البلاد التابعة للدولة إلى وحدات إدارية يعد أسلوباً حكيماً ورصيناً في الإدارة لا غنى عنه؛ وفائدة لولاة الأمر أكيدة في سياسة الناس ورعاية مصالحهم، وقد اتبعه الرسول – صلى ا عليه وسلم – والخلفاء الراشدون، واتبعته الدول من قبل المسلمين ومن بعد، ولا تزال الدول تتبعه في وقتنا الحاضر؛ لأن المعارف الإدارية تعد من الإرث المشترك بين الحضارات.[3]

---

1 - الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، ص:42-44.

2- البلاذري، أحمد بن يحيى،(ت279ه)، كتاب: فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د،ط)،1956م، ص: 537، انظر: الجهشياري، أبو عبد ا ، محمد بن عبدوس، (ت331ه)، كتاب : الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري مكتبة البابي الحلبي، القاهرة،(د،ط)، 1938 م، ص:17، انظر: خماش، نجدت، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980م، ص:18.

3 - بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:137-138.

نمو الأجهزة الإدارية (الدواوين):

شهدت الإدارة تطوراً واضحاً في العصر الأموي، نتيجة لاتساع الدولة، وتباعد ولاياتها، وزيادة تبعاتها السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، أدى إلى إنشاء عدة دواوين رئيسة، جاءت كالآتي:

أولاً- ديوان الخراج: يختص عمله بموارد الدولة والجبايات المحصلة من الأقاليم (كالغنائم – والزكاة – والعشور – والضرائب على التجارة والصناعة، وخراج الأرض) فيقوم الجباة بجمعها وتحصيلها من الأقاليم، ويتم صرفها في حاجات الولاية بإشراف الوالي، وما يزيد عن حاجة الولاية يورد إلى بيت المال المركزي في مقر دار الخلافة، ليتم صرفها ثانية.[1]

ثانياً- ديوان البريد: استخدمه الخليفة – معاوية بن أبي سفيان، عندما اتسع نطاق الدولة، وضم إلية أقاليم وولايات أخرى، فأصبح من الضروري تبادل ونقل الرسائل والمكاتبات، وما يحدث في الأقاليم المتباعدة إلى مقر الخلافة، وبالسرعة المتناهية، لتسهيل الاتصال والتواصل السريع بين الخليفة وولاته وعماله في الأمصار، والدول الأجنبية الأخرى.[2]

ثالثاً – ديوان الخاتم: أنشئ هذا الديوان في عهد _ معاوية بن أبي سفيان _ ومهمته الختم على التوقيعات والمكاتبات والرسائل، والأوراق والكتب الرسمية الصادرة والواردة من مقر الخلافة إلى الولايات، أو من الولايات إلى مقر الخلافة، حتى لا تتعرض للتزوير أو التعديل، وكان لكل خليفة نقش، فخاتم عبد الملك بن مروان، مكتوب فيه" آمنت با مخلصاً"، ونقش خاتم الوليد بن

---

1 - عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، العالم الإسلامي في العصر الأموي – دراسة سياسية- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2008م، ص:479-480.

2- الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية – من صدر الإسلام _ سقوط الدولة العباسية، ص:43.

عبد الملك" يا وليد إنك ميت"، ونقش عمر بن عبد العزيز" لكل عمل ثواب" أما هشام بن عبد الملك فنقش خاتمه" الحكم للحكيم ".[1]

رابعاً: ديوان الرسائل والإنشاء والكتابة والمكاتبات: يتولى هـذا الـديوان مهمـة الإشراف على الرسائل والمكاتبات الواردة والصادرة مـابين مقـر الخلافـة والولايات التابعة لها، أو المكاتبات والخطابات الرسمية الموجهة من الخليفـة إلى ولاته ونوابهم في الأقاليم، أومن الولاة إلى الخليفة، وعمالهم في الأقـاليم وقادة الجند، ويتولى شؤون هذا الديوان ومرافعاته، كاتب الرسائل، أو يـسمى ديوان صاحب الرسائل، ومن يعين في هذا المنصب يعد من خاصة الخليفـة والوالي، ومن المقربين إليهما.[2]

خامساً- ديوان الأحداث:(صاحب الشرطة، ومهمته تنفيذ أوامر القاضي في عاصمة الخلافة، وعواصم الولايات لتتبع المجرمين، وحفظ الأمن المجتمعي، وضـبط النظام، وإجراء المحاكمات، ومحاسبة كل شخص على جرمه.[3]

سادساً- ديوان الجند: يعد هذا الديوان من أقدم الدواوين المعروفـة فـي التنظـيم الإداري للدولة، ويختلط مسماه مع ديوان العطاء، واقتضت مهمة هذا الـديوان تسجيل أسماء الجند في سجل خاص، وأوصافهم وأنسابهم وأجناسهم، ومقـدار عطاء كل منهم وموعد استحقاقه، وكذلك تصريف أمور الجند ومتابعتها، بعد

1- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت 355هـ)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبـد ا إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، بغداد، (د، ط)، (د،ت)، ص: 262 – 272، انظر: خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص:288.

2- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص:24، انظر:عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ص:60، انظر: الناطور، شحادة علي، تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملـك بن مروان، (65ه/685م-86ه/705م)، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد،ط1، 1996م، ص:3.

3- الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية من – صدر الإسـلام –إلـى سـقوط الخلافة العباسية، ص:43-44.

أن يتوفى الشخص تسجل وفاته إزاء اسمه، لرفع العطاء عنه، أو تحويله إلى ورثته من النساء والذرية.[1]

الإدارة المحلية: تعد الإدارة المحلية أفضل الأساليب لإدارة الولايات والأقاليم المفتوحة والمتباعدة الأطراف، إلا أن هذه الولاية غير مطلقة في هذا العصر، فقد كان للخلفاء النفوذ الأكبر، فلا يستطيع الوالي أن ينفرد بالحكم، وخاصة أنه معين من قبل الخليفة، والجند الذين يمنحونه القوة غالباً من أهل الشام ذوي الولاء التقليدي لعرش بني أمية، فكانت واجبات الوالي ومسؤولياته في ولايته، تتضمن[2]:

1- النظر في إعداد الجيوش والصرف عليها.
2- النظر في الأحكام وتقليد القضاة، وتعيين حكام الأقاليم التابعة له.
3- جباية الخراج والزكاة وتوزيعهما، وتعيين الجباة.
4- مراعاة أحكام الدين وحمايته ونشره، والدفاع عن المواطنين.
5- إقامة الحدود الشرعية التي أمر ا بها، ورد المظالم إلى أصحابها.
6- الإمامة في الجمع والجماعات، حيث يؤم الناس أو يستخلف عليها.

لقد تميز الهيكل الإداري والتنظيمي للدولة في هذا العصر كما توضحه المعلومات المتوافرة في كتب التاريخ والإدارة بالتشابه ما بين الإدارة المركزية للخلافة، وبين الولايات بوجود نفس الدواوين في كل من مركز الخلافة وفي الولايات، بل إن التنظيم الإداري توسع، فأصبح في كل إقليم تابع للولاية تنظيم إداري يشبه التنظيم المعمول به في عاصمة الولاية؛ وهذا يعطي دلالة على المرونة الإدارية في الجهاز الإداري للدولة الأموية ولإلقاء الضوء على طبيعة عمل الدواوين

1- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص:38، انظر: خماش، نجدت، الشام في صدر الإسلام (من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية) دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق، ط1، 1987م، ص: 264 -268، انظر: الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، ص:123-124.

2- الشباني، الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، ص:44.

يساعد على إعطاء صورة عن طبيعة هذه الدولة، وعلاقتها بالحياة العامـة، وبيـان مدى التأثير الذي أوجده الإسلام، وما توارثته عن السابقين في تكوينها الإداري.[1]

وهكذا نرى، أن الدواوين كان لها أهميتها في التكوين الـسياسي والاجتمـاعي والثقافي والاقتصادي للدولة، فهي التي تحوي السجلات الرسمية التـي حفـظ بهـا العرب تاريخهم وواقعهم السياسي، والأمم التي حكموهـا، إضـافة إلـى أهميتهـا التاريخية ومدنا بالمعلومات عن التنظيم الإداري في الدولة.

الهيكل التنظيمي للدولة في العصر الأموي:

1- التقسيمات الإدارية – الولايات- الأقاليم - الأمصار:

أنشئت الأمصار زمن الخليفة الراشد – عمر بن الخطاب – رضي ا عنـه – وتطورت من بعده؛ لتكون أماكن هجرة أو معسكرات للجهاد والفتوحات، كالكوفـة والبصرة والفسطاط والقيروان، واتسمت في بدايتها بالطابع العسكري الذي ظل صفة بارزة لهذه الأمصار، على الرغم من سعة البلاد التي تتبعها إدارياً، أما بعد استقرار الفتوحات، فبدأت تتحول إلى مدن ثابتة، ومراكـز حـضارية وثقافيـة واقتـصادية وسياسية يقيم فيها الوالي وعماله وقادته وجنده.[2]

وتسند الروايات التاريخية: أن عمر بن الخطاب – رضي ا عنه – أول مـن وضع نظام ولاية الأمصار الإسلامية بشكل مستقر، ففي عهده سـمي (الـوالي أو العامل) بالأمير، وكان من سمي بالأمير آنذاك المغيرة بن شعبة الثقفي – رضي ا عنه – ثم سرى هذا اللفظ على غيره من الولاة والقادة الذين تمتعـوا فـي العـصر الأموي بصلاحيات وسلطات واسعة في الحكـم وإدارة الأقـاليم ولإدراك الهيكـل التنظيمي لهذه الفترة الأموية، فإن ضرورة تقديم خريطة تنظيمية للحكومة المركزية،

1- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:187.

2- أبو عبيدة، القاسم بن سلام، (ت 224هـ)، كتاب: الأموال، تحقيق: محمد خليـل هـراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م، ص:106، انظر:عياش، حسن، الولاة والعمال في صدر الإسلام – دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحتى نهاية الدولة الأموية، دار الجيل العربي للنشر والتوزيـع، عمان، ط1، 2006م، ص: 75 -76 .

ولحكومات الولايات من أجل إعطاء صورة لنمطية التنظيم، والعلاقات التنظيمية ما بين الوحدات الإدارية المختلفة سواء على المستوى المركزي للخلافة أو الإقليمي ضروري لاستجلاء الفرق بين ما كان معمولاً به في عهد الخلفاء الراشدين، وفترة الحكم الأموي.[1]

لقد قسمت الدولة الإسلامية في العصر الأموي إلى الأقاليم والولايات التالية:

أولاً- الحجاز: ويشمل المدينة المنورة، ومكة والطائف واليمن، وفي بعض الأحيان يستقل اليمن عن الحجاز ويكون له والٍ مرتبط بالخليفة مباشرة.[2]

ثانياً – العراق: تشمل حدوده الإدارية الدولة الفارسية القديمة، إضافة إلى إقليم ما وراء النهر، وفي أغلب الأحوال يكون العراق والمشرق كله تحت حكم والٍ واحد، ومن صلاحياته أيضاً تعيين والي (خراسان) الذي بيده تعيين ولاة على أقاليم ما وراء النهر، وفي أحيان أخرى يتبع والي (خراسان) الخليفة مباشرة.[3]

ثالثاً – الشام: تداول العرب منذ الفتح الإسلامي تقسيم الشام إلى أجناد، (جند حمص، دمشق، فلسطين، قنسرين، الأردن)، وقد أبقى الأمويون هذه القسمة على ما كان في العهود السابقة.[4]

1- العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ص:17، انظر: العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة في القرن الأول الهجري، ص:17.

2- البلاذري، فتوح البلدان، ص182، انظر: الشباني، الإدارة والحكم في الدولة الإسلامية، ص:45.

3- البلاذري، فتوح البلدان، ص:183، انظر:عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي – دراسة سياسية –، ص:465.

4- البلاذري، فتوح البلدان، ص:188، انظر: عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ص:57 .

رابعاً – مصر وإفريقية: وكان يتبع لها شمال أفريقيا إلى نهاية ولاية عبد العزيز بن مروان سنة (85هـ)، ثم أصبحت شمال أفريقيا ولاية مستقلة وحاضرتها مدينة القيروان، ويعين عليها والٍ مستقل يتبع للخليفة مباشرة.[1]

خامساً- بلاد الأندلس: كانت هذه الولاية في معظم الأحيان تابعة لولاية إفريقية، بعد أن فتحها القائد موسى بن نصير، وفي أحيان أخرى تستقل بوالٍ يتبع الخليفة مباشرة.[2]

مفهوم الولاية:

استخدمت المصادر التاريخية والأدبية مصطلح الولاية، (بفتح الواو)، في النسب والنصرة والعتق، وأما الولاية (بكسر الواو)، فتعني: الخطة، كالإمارة، والسلطان، والولاء، في العتق، والموالاة: من والى القوم، والولاة: الموالون.

يقال: هم ولاء فلان، وقد أوليته الأمر ووليته إياه، وتولى الشيء لزمه،وفي اللغة؛ المتولي لأمور العالم والخلائق : القائم بها، والوالي: العصبة. [3]

مفهوم – الأمير. العامل. الوالي:

اختلفت التسميات فيمن يشغل إدارة الولاية، وأخذت اصطلاحات عدة، منها: الأمير، والعامل، والوالي.

1- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد ا ، (ت 275 ه)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحميري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م، ص:363، انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص: 226 انظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي – دراسة سياسية– ص: 465 .

2- ابن عذارى، أبو عبد ا محمد،(ت695ه)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج . س . كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، (د، ط)، (د،ت)، 1 /41، 52،47،انظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي – دراسة سياسية – ص:466.

3- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711ه)، لسان العرب، اعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1999م، 401/15،(مادة: ولي)، انظر: الجرجاني، علي بن محمد (ت816ه)، كتاب: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص: 254.

فكلمة الأمير لغة؛ ذو الأمر، وقد أمر بأمر صار أميراً، وأمره تـأميراً جعلـه أميراً، وتأمر عليهم تسلط عليهم، يقول ابن خلدون: "واختص اسم الأمير بـصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها، أي أن الأمير كان يتولى إمارة الجيوش والصلاة؛ والبلاد التي يفتحها، وقال أيضاً: وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير".[1]

واستعملت المصادر كذلك كلمة العامل، والعمل: المهنـة والفعـل، والجمـع أعمال، عمل عملاً، وأعمله غيره واستعمله، وفيه قيل: للذي يستخرج الزكاة عامل، وللساعي الذي يستخرج الصدقات عامل، فكلمة العامل؛ نرى أنها تأتي فـي مرتبـة دون مرتبة الأمير، وذلك من خلال الصلاحيات الموكلة له.[2]

واستخدمت المصادر كذلك كلمة الوالي في العهد الأموي، وتعني كلمة الـوالي السلطان، والوالي: هو الذي يتولى إدارة شؤون الولاية، وتتبعه مجموعة من البلدان، فوظيفته أعلى من وظيفة الأمير و العامل؛ بمعنى أن من يدير شؤون المصر يطلق عليه والٍ، ومن الصلاحيات الممنوحة له، الإمارة على الـصلاة والحرب،وجبايـة الخراج، ويستشف كذلك من الولاية عل الصلاة أن صاحبها يتولى أمور الناس مـن الناحية الدينية والحربية والإدارية والقضائية.[3]

أسس اختيار الولاة:

كان الخليفة يدير أمور دولته من مقر العاصمة، ويترك أمر إدارة الأمـصار والولايات لولاة يعينهم عليها، وقد حرص الولاة على أن يكونـوا علـى ولاءٍ تـام

1- ابن منظور، لسان العرب، 31/4، انظر: ابن قتيبـة، أبـو محمـد، عبـد ا بـن مـسلم (ت276هـ)، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص:348، انظـر: ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ)، – كتـاب العبـر وديـوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – المقدمة-، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1984م، ص:239.

2- ابن منظور، لسان العرب، 11/ 474-475، انظر: شلبي، أحمـد، الـسياسة فـي الفكـر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د،ط)، 1983م، ص:189.

3- ابن قتيبة، المعارف، ص:348، انظر: عياش، الولاة والعمال في صدر الإسلام – دراسـة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليـه وسـلم – وحتى نهاية الدولة الأموية، ص:74.

للخليفة، ومؤيدين لسياسته، وداعمين له؛ وأن يكونوا محـل ثقتـه، ويـشير محمـد البطاينة في معرض حديثه عن سياسة بني أمية في اختيار الـولاة علـى البلـدان، بقوله:" تأثرت سياسة الأمويين في اختيار الولاة على البلدان بعامل الحفـاظ علـى السلطان، وتوريثه في أسرتهم، ومن أجل ذلك لعب الولاء لأمويـة الـسلطان دورا بارزاً عند استكفاء الولاة، وعززت الظروف والأزمات التي امتحن بها سلطان بني أمية هذا الاتجاه، واستيثاقاً للولاء، وحرصاً على السلطان والحفاظ عليه، فقد اعتمـد الخلفاء، وبخاصة في الأوضاع العصيبة عند استكفاء الولاة على البلدان ذات الوضع الخطير غالبا، فقد اتجهوا في غمار هذه الظروف والغايات إلى القبلية كونها مركـز الثقل في المجتمع وكيان الدولة، وحجر الزاوية في الحياة السياسية التـي اسـتندوا إليها".[1]

فلذا، كان الخليفة يباشر تعيين الولاة في الأمصار الكبرى كالكوفة والبـصرة، ومصر والحجاز، ويترك لهؤلاء الولاة أمر تعيين ولاة على البلـدان الداخلـة فـي صميم عملهم، إلا أن هذا التعيين لم يكن بعيداً عن نظر الخليفة وعلمـه وموافقتـه، وكان الخليفة يضطر أحياناً إلى عزل من ولاه من هؤلاء الولاة، وتعيـين آخـرين اقتضاء للمصلحة العامة على نحو ما كان يحدث في بلاد خراسان، واليمن، وإفريقية التابعة لولاية مصر.[2]

لقد لعبت العصبية الأموية دوراً هاماً في تعيين الـولاة، وأشـارت المـصادر التاريخية إلى أن معظم هؤلاء الولاة والعمال ينحدرون من قبائل عربيـة قرشـية، يقول محمد بطاينة: "إذا نظرنا إلى الهيكل التنظيمي للدولة الأموية، وجدنا أن الولاية

1- بطاينة، محمد ضيف ا ، "سياسة بني أمية في اختيار الولاة على البلدان"، مجلـة أبحـاث اليرموك – بحث منشور- جامعة اليرموك، م1، ع2، 1985م، ص:29.

2- فروخ، عمر، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط5، 1981م، ص:206، انظر: عياش، الولاة والعمال في صدر الإسلام – دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية – منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحتى نهاية الدولة الأموية، ص:103.

على البلدان والأقاليم كانت تتردد بين العرب في الأغلب، وبين غير العـرب فـي الأول الأول ".[1]

ويتضح بجلاء أن ولاة إفريقية كانوا من تولية خلفاء بني أمية، وهـي ولايـة مهمة، لاسيما أنها كانت تدر على متوليها أموالاً عظيمةً، ومن الواضـح كـذلك أن تولية الولاة من الوالي كان بسبب خبراتهم الإدارية وكفاءاتهم العسكرية والمالية في تطبيق سياسة الخلفاء، فمثلاً كانت سياسة عبد الملك بن مروان تجمع بين الحاجة إلى الخبرة العسكرية والمالية، فوجدها في موسى بن نصير[2]، وكذلك قامت سياسة عمر بن عبد العزيز على الهداية لا الجباية فالتمسها في إسماعيل بن أبي المهاجر، الـذي أسلم على يديه الكثير من البربر[3]، وكذلك القضية المالية كانت مسألة مركزية فـي سياسة هشام ابن عبد الملك، وفي ضوئها يفهم تعينـه لمـولى سـلول عبيـدة بـن الحبحاب.[4]

وخلاصة القول: إن تولية الخلفاء من بني أمية لولاتهم وعمالهم على البلـدان كانت تستند إلى أسس سياسية، لذا، توزع الاختيار بين العرب على اختلاف قبائلهم، وبين غير العرب (الموالي)، ولكن كان حظ العرب أكبر بكثير من غيرهم، ويمكـن استخلاص أبرز الأسس التي اعتمدها الخلفاء الأمويين فـي تعيـين ولاتهـم علـى الأمصار والأقاليم والولايات، فكانت رابطة القرابة، والشرف الاجتماعي والـصحبة والكفاءة والأمانة والعامل الديني والصلاح والولاء المطلق للعرش الأموي، وكـذلك المكافآت السياسية، وإسناد الأعمال والمهمات الإدارية والعسكرية والسياسية التـي

1- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص :139-140.

2- موسى، عز الدين عمر، "قراءة في علاقة بني أمية بـالموالي : وولاتهـم وعمـالهم فـي إفريقية"- بحث منشور - مجلة البيان للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، مـج1، ع2، 1997م، ص:38-39.

3- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغـرب، 1/ 47-48، انظـر: موسـى، "قراءة في علاقة بني أمية بالموالي، وولاتهم وعمالهم في إفريقية "، ص:39.

4- موسى، " قراءة في علاقة بني أمية بالموالي، وولاتهم وعمالهم فـي إفريقيـة "، ص:39-40، انظر: أحمد، لبيد إبراهيم، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، دار الكتـب للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1992م، ص:81 .

كانت تهدف إلى تمتين سلطة الخليفة وترسيخها، وما يحفظ السلطان وسيلة لبلوغ الهدف المنشود بين الخليفة وولاته في الحفاظ على كيان الدولة الأموية، وأساساً لاختيار الولاة وتنصيبهم لحكم الولايات التابعة لدولة الخلافة الأموية.

تميزت حياة الدولة الأموية بالصراعات السياسية حول سياسة الحكم والخلافة، وما نتج في الخروج عن مبدأ الشورى من انحراف في تنظيم الدولة، وتسيير إدارة سياسة الولايات وتصريف شؤونها، وما نتج عن ذلك من ثورات وفتن واضطرابات هدأت حيناً وثارت حيناً آخر ضد الحكم الأموي، مما أعطى لأسلوب الإدارة في العهد الأموي الأسلوب اللامركزي في الإدارة والإشراف على حكم الولايات والبلدان التابعة لها، وتحديد صلاحيات الولاة في تبيانهم عنهم لتدبير شؤون الحكم وسياسته، فلذا، كان هم الولاة "أن يحفظوا ما استرعوا من الغوائل"[1]، ويقيموا ما أسند إليهم من أعمال قياماً مرضياً عنه أمام الخليفة والرعية، فهم وأن توحدت همومهم فإن وسائلهم في أداء أعمالهم الموكولة لهم تختلف من وال لآخر، وتتحكم فيها عوامل عدة، منها: شخصية الوالي، وظروف الولاية وأوضاعها في حالة السلم والأمن والرخاء، وفي حال ما يقوم فيها من الفتن والاضطرابات والثورات وسياسة الخليفة، فنجد الخليفة يضطر أحياناً إلى عزل الوالي في ولايته، أو عزل من ولاه الوالي، وتعيين آخرين اقتضاء للمصلحة العامة للدولة، على نحو ما كان يحدث في بلاد خراسان التابعة لولاية العراق، أو ما يحدث بإفريقية التابعة لولاية مصر.

الولاة:

كان نظام العمل في الولايات التابعة لدولة الخلافة الأموية من خلال الإدارة اللامركزية يتسم بالمرونة والسرعة في إصدار القرارات الهامة؛ حيث كان من يعين على الولاية له صفة الاستقلال والتفرد في الولاية التابعة له، فهو عين الخليفة الساهرة في النظر بمصالح الدولة والأمة، فكان من واجباته ومسؤولياته وأعماله: النظر في إعداد الجيوش والصرف عليها، والنظر في الأحكام العامة والخاصة،

1- بطانية، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:159، انظر: محمود، حسن أحمد، الكندي المؤرخ، أبو عمر محمد بن يوسف المصري – كتابه- الولاة والقضاة،(د،ط)، (د،ت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص:160-161.

وتقليد القضاة وتعين حكام الأقاليم والبلدان التابعة لها، وتعيين جباة الخراج والزكاة، ومراعاة الأحكام الدينية والحدود الشرعية وإقامتها، والجهاد في سبيل ا لنشر الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة وسائر العلوم والمعارف، وتوحيد فئـات وطبقـات المجتمع وعناصره، وإقامة العدل والمساواة والإمامة، كمـا اهـتم الـولاة بتنظـيم الأسواق في المدن الكبرى، وشجعوا النشاط التجاري، كما ساهم الولاة في تخطـيط المدن وإنعاش الأحوال الاقتصادية والحضارية في المناطق المفتوحة، وتعميـر مـا تهدم أثناء الحروب والفتوحات.[1]

وحرصاً من الدولة الأموية، فقد وجهت الولاة إلى الاهتمام بـالعلم والثقافـة، وتقريب العلماء والأدباء، واعتنت عناية فائقة بالقرآن الكـريم والحـديث النبـوي الشريف، وكذلك ساهمت حركة التعريب والترجمة إلى إغناء الثقافة العربية، ومـد جسور التواصل مع ثقافة وحضارات الشعوب الأخرى.[2]

وقد عمل ولاة بني أمية في الأمصار والأقاليم والولايات جهدهم الحثيـث فـي تطوير وتنمية الاقتصاد، وزيادة الموارد المالية، وتحسين الرعاية الاجتماعية، لمـا في ذلك من ضمان للطاعة، وتامين الاستقرار والنظام لدولة الخلافة، وسلامة النسيج الاجتماعي والسياسي، وتعزيز قوتها، وتوحيد شعوبها.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، رغم التفاوت بين الخلفـاء الأمـويين وولاتهم، موضع اهتمامهم منذ عهد تأسيس الدولة الأموية على يد الخليفـة معاويـة ابن أبي سفيان، وضمن إطار نظرتهم إلى الإسلام في الحفاظ على روح الجماعـة والسلطان وضمان قوام الدولة، ورعاية مصالح الرعية، مع التباين فـي الظـروف

1- الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية – منذ صدر الإسلام إلى سـقوط الدولـة العباسية، ص:44، انظر: خماش، الشام في صدر الإسلام (من الفتح حتى سقوط خلافـة بني أمية) دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية، ص:230 -235.

2- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:138.

والأحوال والمشكلات والتحديات والرؤى المتباينة للخلفاء والـولاة عبـر مـسيرة الخلافة الأموية. [1]

لقد تميزت الحياة الاجتماعية في العصر الأموي بـالتطور الملحـوظ نتيجـة للمؤثرات الكثيرة التي طرأت عليها، والتي تركت آثارها في الأدب والثقافة للعصر الأموي، من غناء ورقص وموسيقى وطرب، وكان للحجاز حظ وافر منها، ويعـود ذلك إلى مغانم الفتوح التي آلت على أبنائه من ثراء كبير، ومـع مـوالٍ وعناصـر سكانية متعددة تحمل أفكاراً وفنوناً وثقافات مختلفة لم يعرفها العرب من قبل.[2]

ولهذا تطورت الحياة الاجتماعية في البيئات والأقاليم التابعة للدولـة الأمويـة نتيجة للمؤثرات الكثيرة، فأخذت الحياة الاجتماعية والاقتصادية تتطور، وتشيع فيهـا مظاهر الحياة المادية من بذخ وترف، فأقبل الشباب على الاستمتاع بالحياة الجديـدة المترفة اللاهية، فبلغوا الغاية، وتطوروا بطور الحضارة ومظاهرها المادية مع مـا جوارهم من أمم، واختلطت بهم من شعوب وقوميات استجادوا من خلالهم المطـاعم والمشارب والملابس والقصور المزينة والمباني والفرش والآنية، حتـى ليقـال إن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب إلى عامله ببلاد فارس:" ابعث إلي بعسل من عـسل خلار، من النحل الأبكار، من الاستشفار الذي لم تمسه النار".[3]

ومن البديهي، أن يتأثر الإنسان بحالته الاقتصادية الخاصة، وبالحالة الاقتصادية العامة للدولة التي تنظم البيئة التي يعيش فيها؛ لأن مطالب الحياة الجديدة، وما يتصل بها من مظاهر الحضارة الأموية جعلت حاجة الناس على اختلاف وتوزع طبقـاتهم إلى المادة أشد لمواجهة أعباء الحياة الجديدة، والتي بدأت بالتطور، وتأخذ بأسـباب التمدن والرقي في ظلال حركات إصلاح وعوامل تقدم قطعت أشواطاً فـي طريـق الرقي الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، كما ساعدت عليه ازدهار اقتـصاديات البلاد في نشاطها الصناعي والتجاري والنماء الزراعي.

1- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:401.

2- بابتي، عزيزة فوال، العصر الأموي – أدبه وحضارته -، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ط1،1984م، ص:68.

3- ضيف، العصر الإسلامي، ص:101.

وطبيعي أن تنعكس ظلال الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الأدب والثقافـة، ويتأثران بالمادة والمال كقيمة من القيم الحضارية التي اقتـضتها طبيعـة العـصر الأموي وأحداثه.

غير أن هذا العصر قد شهد صرخات مدوية من فئـات المظلـومين للمطالبـة بحقوقهم من الولاة وأشراف العرب، وقد يلحق بهم كذلك بعض الموالي، وهؤلاء هم موالي عتاقة، أو موالي الإسلام[1]، وما تحصلوا عليه من إقطاعيات، وما ينعمون به من ثراء وترف، كان مرده إلى إثقال كاهل السكان من العامة بالضرائب الباهظـة، فكانت مطالبات عامة الناس بتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية التـي كفلتهـا مبادئ الإسلام.[2]

ومن ذلك العرض الموجز للحياة الاجتماعية والاقتصادية في ولايـات وأقـاليم الدولة الأموية، وعلى التباين في بعض سياسات الولاة، تبين أنـه كـان للعوامـل الاجتماعية والاقتصادية وما فيها من صراع طبقي، وما شاع فيهـا مـن مغريـات ومظاهر حضارية، قد تركت أثراً واضحاً لتطور الأدب الأموي أيام بني أمية.

أثر سياسة الولاة على الأرض والسكان:

أدرك الولاة في ظل الحكم الأموي طبيعة الدور الذي يؤدونه في سياسة الولاية وتصريف شؤونها، علماً أن الولاية في هذا العصر هي من النوع الذي أطلق عليـه الماوردي اسم" ولاية الاستكفاء".[3]

ولقد كان أثر بعض الولاة في هذا العصر واضحاً في سياسة الولاية والرعيـة، وميسمه عليها بيناً، فلذا، وقف الولاة من طبقات المجتمع موقفاً متخالفـاً متـداخلاً كثير الألوان، تبعاً لظروف الدولة والولاية [4]، فالتكاليف التي فرضت من قبل الدولة

1- عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي (41- 132ه /661- 750)، ص:90 -93 .

2- بابتي، العصر الأموي، أدبه وحضارته، ص:93 .

3- الماوردي، أبو الحسن، علي بن حبيب، (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينيـة، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط3، 1973م، ص:30-34، انظر: بطاينة، دراسـة فـي تاريخ الخلفاء الأمويين، ص: 158.

4- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:159.

على السكان كانت باهظةً جدا، وقع معظمها على طبقة الفلاحـين الـذين يـدفعون الضرائب المنتظمة، ناهيك عن استفزاز الولاة وعمالهم الناس في الجبايـة وعـدم مراعاتهم لسنوات القحط والثورات والأمراض والكوارث الطبيعية[1]،التي تحدث في الولايات.

لاشك أن الثورات والفتن الداخلية والخارجية لحركة الفتوحـات مـن الأمـور الهامة التي جعلت الولاة يجبرون السكان على دفع الضرائب الباهظة، لحل الأزمـة التي أحدثتها الظروف الطارئة في ولايات الدولة الأموية.

ولقد أدت سياسة البطش والقسوة والتعسف التي مارسها الولاة وعمـالهم فـي تحصيل الضرائب من السكان إلى تبعات خطيرة؛ فقـد هجـر الفلاحـون قـراهم، وأرضهم الزراعية وتكدست الأراضي في أيدي فئة محدودة من الخاصـة، بـسبب الإلجاء والإقطاع والهدايا ومظاهر الترف، وغيرها من الممارسات الإدارية القاسية من بعض الولاة.

وزيادة على ذلك، فإن القاعدة العامة في السياسة التي انتهجها بعـض الـولاة، وإن كانت في طابعها قدراً مشتركاً بين الولاة والعمال والخلفاء، في تعـاملهم مـع مجتمعاتهم وتماشياً مع الظروف العامة للدولة،التي تقوم على مبدأ الشدة والقسوة في العقوبات منذ أيام ولاية زياد بن أبيه، مروراً بولاية الحجاج بن يوسف الثقفي فـي إدارتهم لولاية العراق.[2]

ويتضح مما سبق، أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والإداريـة والـسياسية التي اتسمت بها طبيعة بعض الولايات والأقاليم في الدولة الأموية، أوجدت التناقض والصراع الطبقي والمذهبي بين مكونات المجتمع الأموي، وأحدثت تغيـراً بنيويـاً للمجتمع الإسلامي من عمر هذه الدولة، بعيداً عن فهم العوامل المؤثرة في حركتـه، فالفرق المذهبية والأعاجم وأهل الذمة، ومن أقصوا عن المناصب الحيوية في الدولة

1- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد ا (ت 395ه)، كتاب: الأوائل، دار الكتب العلميـة، بيروت، (د،ط)، 1987م، ص:202.

2- خريسات، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط،(41-132ه/ 661/ 750م)، ص:313.

الأموية وما تعرضوا له من مظالم اجتماعية واقتـصادية وإداريـة حفـزتهم إلـى المشاركة في الثورات ضد حكم بني أمية.[1]

إن سياسة البطش والقسوة التي رافقت الحكم الأموي منذ تأسيسه، كانت لها ردة فعل قاسية من قبل فئات المجتمع الأموي، أدت إلى تراجع واردات خزينـة الدولـة الأموية، مما اضطر الولاة ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي لاتخاذ إجراءات وتدابير صارمة بشأن السكان [2]، وعلى الرغم من تلك السياسة التي سادت ولايات وأقـاليم الدولة الأموية، إلا أن هذه الطوابع سالفة الذكر، لم تـصرف الـولاة وعمـالهم أن يأخذوا بأساليب تطوير وتنمية الاقتـصاد، وزيـادة المـوارد، وتحـسين الرعايـة الاجتماعية، وتعزيز وحدة الأمة والجماعة، واستمرارية الجهاد والفتوحـات، فكـان لهؤلاء الولاة اليد الطولى في البناء والحفاظ على سلامة الدولة التي هزتهـا الفـتن والاضطرابات منذ ولادتها حتى سقوطها.

الحياة الثقافية:

تمخضت الحضارة العربية الإسلامية في العهد الأموي عن ثقافة واسعة أنشأت أجيالاً من العلماء والمفكرين والكتاب والأدباء بمختلف فنون الأدب والثقافة والعلوم، وعديد ألوان المعرفة، فكانت المعالم الحضارية الكثيرة تدل على المستوى الحضاري الراقي لهذا العصر، وفي ذلك يقول الشكعة:"إن العرب قد تحولوا تحولاً حـضارياً راقياً مرموقاً بعد إسلامهم، فظهرت عندهم ظاهرة الكتابة والتدوين، التي هـي فـي جوهرها الثمرة الأولى لما يمكن أن تؤديه العقيدة الجديدة لهم من تقدم عقلي وتطور ثقافي".[3]

1- بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص:402.

2- عياش، الولاة والعمال في صدر الإسلام – دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحتى نهاية الدولـة الأمويـة، ص: 134-135.

3- الشكعة، مصطفى، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايـين – بيـروت، (د، ط)، (د، ت)، ص:224.

فاللغة العربية، لغة القرآن، فهي قاعدة ثقافيـة، وقـوة ناميـة، عنـد العـرب والمسلمين طوال العصور، سواء أكان ذلك في نشر الرسالة الجديدة، أم في استيعاب إنتاج الحضارات الأخرى من (يونانية، وفارسية، ورومية، وهندية)، أم في الإنتـاج الثقافي للمستعربين في نطاق الثقافية العربية الإسلامية، لهذا كانت دراسة التـاريخ والثقافة نتاج البيئة العربية الإسلامية في هذا العـصر، ويلاحـظ أيـضاً أن هـذه الدراسات ركزت على تاريخ الأمة، والتراجم والسير والمغازي، وفلـسفة وأفكـار وآراء الأحزاب السياسية التي نشأت وتبلورت أهدافها ومراميها منذ بداية العـصر الأموي حول مسألة الخلافة وولاية العهد.

لقد ظهرت اتجاهات لدى الخلفاء والولاة لتأصيل ودراسة أخبار القبائل العربية حاملة لواء الدين ونشره، والعربية لغة التخاطب مشتركة في كل مصر من أمـصار الدولة الأموية، وتدرجت هذه الاتجاهات إلى تعميق مفهوم تـاريخ الأمـة العربيـة والإسلامية بمدلوله الثقافي الواسع، كما يقول الجاحظ: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على اللغة النازلة فهم من العرب، ولذلك نجد الاختلاف فـي ألفـاظ أهـل الكوفـة والبصرة والشام ومصر".[1]

كما حافظ الخلفاء من بني أمية وولاتهم في البلاد المفتوحـة علـى الـصبغة والثقافة العربية الإسلامية، فكانوا يعقدون المجالس الأدبية، ويستدعون لهـا الـرواة والأدباء والشعراء كما ساهم ولاة الأقاليم في هذا العصر، بكل ما من شأنه أن يعطي تلك الأقاليم الوجه العربي في جميع الميادين، فاستعانوا بالفقهاء والعلمـاء والأدبـاء للمساهمة في إدارة شؤون الدولة، واستدعوهم لإحياء حلقـات العلـم والأدب فـي المساجد، التي أضحت ذات أهمية كبرى للحياة الدينية، والثقافية والفكرية، التي يفسر فيها علوم القرآن، وتروى فيها الأحاديث، وتقص القـصص والمنـاظرات، يقـول خفاجي:" ونهضت اللغة بشتى ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تقصير أو عجز، فبدأت النهضة العلمية والفكرية، وقام العلماء بتدوين آرائهم في شتى علـوم الـدين والدنيا، تساعدهم على ذلك لغة طيعة مرنة، واسعة الجوانب، كما عبرت اللغة عـن

1- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت 255ه)، كتاب: البيان والتبيين، تحقيـق: عبـد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1960م، 1 / 19 .

شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والإدارة والأدب والفن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الأدبية الرائعة ".[1]

لا شك في أن عملية الاختلاط والامتزاج بين الأمم والثقافات التـي صـاحبت حركة الفتوح في العصر الأموي، كانت عاملاً مهماً من عوامـل التطـور العلمـي والثقافي الذي أصاب بخيره وفائدته مختلف جوانب الحياة لهذه المجتمعات الجديـدة في ظل الحكم الأموي، ويجسد هذه الفكرة، حسن أحمد محمـود، ومنـى محمـود، بقولهما: "وعصر الولاة ليس له طابعه السياسي أو الديني فحسب، إنما كان له دوره الواضح في تاريخ الحياة الثقافية والأدبية بوجه خاص وتاريخ الحضارة بوجه عام، فهو عصر الصراع السافر بين اللغة العربية لغة الثقافة، وبين اللغات التي يتحـدث بها الناس، ويكتبون بها إنتاجهم الثقافي والأدبي".[2]

بدأت الحركة الثقافية بين العرب ومن سايرهم من الأمـم والأجنـاس تنـشط بمراكز الولايات والأقاليم في الحجاز والكوفة البـصرة وخراسـان ثـم الفـسطاط والقيروان والأندلس وكانت تعبيراً لافتاً عن دورهم في الحقـل الثقـافي، والتـراث الإداري الذي أخذ عن الأمم المجاورة للدولة العربية، ونقلـه وترجمتـه وتطـويره لينسجم مع المفاهيم العربية الإسلامية في هذا العصر، ويكون جـزءا مـن كيانهـا الثقافي والحضاري، وفي هذا الجانب يقول شوقي ضيف:" وقد نقل الإسلام العـرب نقلةً كبيرة، حتى أخذت سيول الثقافات الأجنبية التي كانت مبثوثة في العراق والشام ومصر، تنحدر إلى مجرى النهر العربي وتحدث تطوراً هائلاً في حيـاة العـرب العقلية بل وسعوا ذلك حتى شمل كل فروع الحياة المدنية والسياسية ".[3]

المراكز الثقافية في العصر الأموي:

كانت أهم مجامع العلم والثقافة في أقاليم وولايات الدولة الأموية، تتمثل في:

1- خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية بعـد ظهـور الإسـلام، دار الجيـل، بيـروت، ط1،1990م، ص:332.

2- محمود، حسن أحمد، ومحمود، منى حسن، تاريخ المغرب والأندلس من الفـتح العربـي – حتى سقوط الخلافة – دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1999م، ص:57.

3- ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص:71.

أولاً- دمشق:

القاعدة العظمى للملك والسلطان الأموي، وحاضرة الخلافة ومركز مهم للنشاط الثقافي والحضاري والسياسي لهذه الدولة، ومقصد للأدباء والشعراء والعلماء من كل أرجاء الدولة الأموية، يفدون إليها لينالوا رفد الخلفاء والولاة، فكان لتشجيع الخلفاء والولاة أثر مهم وواضح في ازدهار الثقافة في هذا العصر.(1)

ثانياً- البصرة والكوفة:

فهما القصبتان العظيمتان اللتان احتضنتا الثقافة العربية، وتعهدتا العلم والمعرفة وعلوم الدين والعربية، والأسواق العامرة بالأدب، والحافلة بالشعر وروايته ونقده، وبعلوم اللغة وفنونها، يقصدها الفحول من أرباب البيان والبلاغة، وما امتازت به من نشاط للأحزاب السياسية، والفرق المذهبية التي ساهمت بدورها في رفعة الثقافة لهذا العصر.(2)

ثالثاً- الحجاز:

تمثله مكة والمدينة، موطن الإسلام وانطلاق الدعوة الإسلامية السمحة من أرض الجزيرة العربية، وما جاورها من بلدان كاليمن، فكانت هذه البلاد مراكز الثقافة العربية الإسلامية، التي انتشر من رحمها الدين الإسلامي الحنيف إلى كل أصقاع المعمورة، وفيها مقام الصحابة والعلماء والأدباء ورجال التاريخ والشعراء، وأعلام الفكر والرأي الذين نهضوا بالبلاد إصلاحاً وحضارةً خالدةً.(3)

رابعاً- الفسطاط:

صاحبة الحظوة، في عراقة تاريخها، ووارثة حضارات متعددة نشأت على أرضها، بناها عمر بن العاص – رضي الله عنه – سنة (641م)،على بعدي ميلين

1- أبو الخشب، إبراهيم علي، الأدب الأموي- صورة رائعة من البيان العربي -، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وشركة الإسكندرية للطباعة والنشر،القاهرة، (د. ط)، (د.ت)، ص:31، انظر: الصلاح، تحسين محمد، عدي بن الرقاع العاملي – حياته وشعره -، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1999،1م، ص:35 .

2- أبو الخشب، الأدب الأموي - صورة رائعة من البيان العربي -، ص:32 .

3- المرجع، السابق، ص: 32، انظر: خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص:245.

من القاهرة، تعد في مقدمة الأمصار الإسلامية التي أزهرت فيهـا علـوم العـرب الدينية واللغوية والثقافية.[1]

خامساً- ولاية شمال إفريقية والأندلس:

حاضرتها (القيروان) التي بسط الأمويون نفوذهم عليها سنة (50 ه/670م)[2]، أي منذ أن أقام فيها عقبة بن نافع الحامية العسكرية للفتوحات الأموية، والتـي مـن خلالها بسنوات تم فتح بلاد الأندلس سنة(92ه/711م) [3]، فصارت هذه البلاد موطناً من مواطن الثقافة العربية الإسلامية، والتي تأصلت بالإندماج الكامل بـين التقاليـد الوافدة والتيارات الموجودة، فعندها تضافرت جهود الخلفاء والولاة وعمـالهم مـع العلماء والأدباء والمفكرين، ومع رغبة السكان المحليين لهذه الـبلاد بقبـول ثقافـة المشاركة وحضارتهم، ووفق ميادينها المتعددة لصنع ثقافة إسلامية كان لها أثر كبير في تطور الحياة العقلية والدينية والسياسية والاجتماعية لتلـك المجتمعـات متعـددة الأعراق والعادات والطبائع، فعندها نشأ لون من الحـضارة، صـورته إسـلامية، صبغته عربية، حقيقته محلية في تلك البلاد [4] التابعة لدولة الخلافة الأموية.

وهكذا، فإن جميع مظاهر الحياة الثقافية والفنية كان لهـا تأثيرهـا، ومـدارها الواسع على الواقع السياسي والاجتماعي والفكري والاقتصادي، الذي أنجب حضارة وثقافة أدبية رفيعة المستوى، أثمرت ثماراً يانعة، قُطِفت في العصور التي سـايرت ثقافة وحضارة وسياسة هذا العصر.

1- أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 1975م، ص: 189-192، انظر: خفاجي، محمد، الحياة الأدبية – عصر بني أميـة – دار الكتـاب اللبنـاني بيروت،ط2،1980م، ص:41-42 .

2- البلاذري، كتاب: فتوح البلدان، ص: 227، انظر: ماجد، عبد المـنعم، التـاريخ الـسياسي للدولة العربية – عصر الخلفاء الأمويين-، مكتبـة الجامعـة العربيـة، بيـروت، ط3، 1966م، 176/2-177 .

3- المراكشي، عبد الواحد، (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق:محمـد سعيد العريان، والعربي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1963م، ص: 9.

4- بابتي، العصر الأموي، أدبه وحضارته، ص:450، انظر: محمود، ومحمود، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ص:57.

الفصل الأول
النثر الفني

1.1 الفنون الأدبية:

هي مظاهر للفكر عامة، وفنية لها ميزات ونواميس خاصة، فهي، إذن، بمثابة رتب تودع آثار العقل البشري[1]، وهي تقسم إلى قسمين كبيرين:

فالفنون الأدبية الشعرية، والفنون الأدبية النثرية ترجع إلى فن الخطابة، وفـن المكاتبات (الرسائل)، وفن التوقيعات. فالخطابة فن الإقناع واستمالة السامع، ليعمـل حسب ما يدعو إليه الخطيب بنثر يتحلى بحسن الصياغة وضروب البلاغة.

أما فن الرسائل، فيقوم بمحادثة مكتوبة توفرت لها أسـاليب الفـن وروعتـه وضروب البلاغة.فالأدب مرآة تتجلى فيها الروح العربية في جميع أطوارهـا مـن آصالة وامتزاج من بداوة وحضارة، ومن نهوض وجمود، ومن قوة وضعف، ولذا، امتلأ أدبهم بالحكم القصار الرائعة والأمثال الحكيمة، والأبيات الشعرية والمقطوعات الفريدة.[2]

وتنوعت ألوان الأدب وفنونه لهذا العصر، وشهد حركة أدبية واسـعة شـملت النثر والشعر معاً، فتهيأت أسباب كثيرة لازدهار الأدب: كتشجيع الخلفـاء والـولاة والأمراء والقادة، وإجزاء الهبات والعطايا لأصحاب الفكر والأدب والثقافة، إضـافة لاحتدام الصراع الفكري والمذهبي بين الأحزاب الأموية، وكذلك حركـة الفتـوح، وامتزاج الشعوب وما ترتب على كل ذلك من حوادث جسيمة حفزت الـولاة إلـى التعبير عن روح العصر وأحداثه في أدب يطلق عليه " أدب الولاة "[3].

1- الفاخوري، حنّا، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، لبنان، ط12، 1987م، ص:38.

2- المرجع، السابق، ص: 41 – 43.

3- الإسكندري، أحمد، وعناني، مصطفى، الوسيط فـي الأدب العربـي وتاريخـه، مطبعـة المعارف، الفجالة، مصر، ط6، 1927م، ص:4 .

لا شك في أن أدب أي أمة، هو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول أبنائها، وطباعهم، وصور أخيلتهم، ومبلغ بيانهم، مما يهذب ويثقف العقل واللسان في عصور الأدب المتعاقبة.

إن الأدب دائماً يتأثر بالعامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني؛ لأنه كائن اجتماعي منغرس في المجتمع له فيه حياة متطورة، ويحمل طابعه، وتظهر خصائصه من حيث العناية بمدى تمثيل النصوص الأدبية في شكلها ومحتواها الفني، وما يؤثره في كيانها الحضاري، يقول الواد: "ولعل أغرب فكرة نشرها المؤلفون العرب عن إنتاج النصوص، أن المصائب والفواجع من أقوى العوامل تأثيراً في نبوغ الأدباء". [1]

2.1 مفهوم النثر:

إن البحث عن تطور مفهوم لفظة (نثر) في العربية، ومن اطلاعنا على معانيها المعجمية اللغوية، يتضح لنا أن لفظة "النثر" مصدر من نثر أي فرق، وهو اسم جنس معنوي، بمعنى المنثور، يقول الزمخشري: "ما أصبت من نثر فلان شيئاً، وهو اسم المنثور من السكر ونحوه، كالنثر بمعنى المنثور". [2]

إذن، لفظة نثر في هذا الطور اللغوي، تعني الشيء المبعثر المتفرق، ومن صفاتها: الامتداد والاتساع، وإنه كثير العدد، يقول صاحب القاموس المحيط: "نثر الشيء ينثره وينشره نثراً ونثاراً، رماه متفرقاً، كنثره فانتثر وتنثر، والنثارة بالضم،

1- الواد، حسين، في تاريخ الأدب – مفاهيم ومناهج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م، ص:87 .

2- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، (ت538هـ) أساس البلاغة، طبعة الشعب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، مادة: (نثر)، انظر: موافي، عثمان، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1975م، ص: 26-27.

والنثر بالفتح ما تناثر منه، أو الأولى – أي النثر بالسكون – تخص بما ينتثر من المائدة".[1]

إذن، الأصل في الكلام أن يكون منثوراً، لإبانته مقاصد النفس بوجه أوضح، وكلفة أقل، وهو إما خطاب من فصيح نابه الشأن يلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهذا ما يسمى (" الخطابة ")، وإما كلام مدلول عليه بحروف ونقوش، وذلك ما يسمى بـ "الكتابة".[2]

يقول أحمد الهاشمي: "اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين، فن المنظوم – وهو الكلام المقفى الموزون، بأوزان مخصوصة – وأما فن النثر – فهو الكلام غير الموزون، ويؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين فيه قافية واحدة، ويسمى سجعاً، وأما النثر المرسل – فهو ما يؤتى به من غير تقيد بقافية ولا غيرها، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً، ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها".[3]

فالنثر على هذا النحو، هو الكلام المنثور المتفرق، تشبيهاً له بنثر المائدة، ونثر الولد، ثم تقصر لفظة النثر على الكلام الأدبي تعبيراً ومعنى، على أن النثر ذلك الكلام الفني غير المنظوم، يقول قدامة بن جعفر: " واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب، إما أن يكون منظوماً، وإما أن يكون منثوراً، والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام". [4]

1- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت823هـ)، القاموس المحيط، المؤسسة العربية، بيروت، (د.ط)، 1952م، (باب الراء، فصل النون)، انظر: موافي، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، ص: 26-27 .

2- الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط29، 1983م،333/2 .

3- الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،36/1-37 .

4- ابن جعفر، قدامة، أبو الفرج، (ت337هـ)، نقد الشعر، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د. ط) 1938م، ص:74.

وخلاصة القول: إن النثر فن قولي، يقابل الشعر، مقابلة تضاد لا تناقض، فلكـل منهما صفاته الخاصة به، ومع هذا، فهما يتفقان في أشياء، ويختلفـان فـي أشـياء أخرى، من ناحية الشكل الفني والموضوع، والوزن والقافيـة، والإيقـاع، واللغـة والتخييل والخيال، وكما هو في الواقع النقدي والأدبي، ومن فنون النثر:

3.1 الخطابة:

شهد العصر الأموي نقلة حضارية واسعة في أعقاب انتهـاء عـصر صـدر الإسلام، وقد تركت آثارها الواسعة في فني المنظوم والمنثور الذي أنتجـه الأدبـاء والشعراء من ولاة الدولة الأموية في هذا العصر، كما تعددت مراكز الأدب وبيئاته، فلذا، وجد النثر الفني شخصيته وتعـددت معالمـه الخاصـة بفـضل الأغـراض والموضوعات التي تهيأت له كذلك.

كانت طبيعة الإبداع الأدبي والسليقة العربية الأصيلة التي توافرت لدى هـؤلاء الأدباء الولاة، عاملاً في السيادة الأدبية والفكرية والسياسية في هذا العصر للعنصر العربي، وقد استطاعت السياسة أن ترقى بـالنثر والـشعر، وأن تفجـر الطاقـات والمواهب الإبداعية للأدباء وأهل الحكم والسياسة ليبدعوا نماذجـه الفنيـة الفـذة، ويدبجوا أنماطه الرائعة، فنشطت الخطابة السياسية نشاطاً ملحوظاً، وسايرت الشعر السياسي فكان لكل فرقة من الفرق والأحزاب السياسية خطباؤهـا الأفـذاذ الـذين ينتصرون لمبادئ دعوتهم وأفكارها، ويدحضون الفرق الأخـرى المناوئـة، وقـد احتفظت مصادر الأدب والتاريخ بقطع كبيرة من تلك الخطب.

الخطابة، لُغةً:

اسم مشتق من الفعل (خَطَب) على وزن (فعـل، فعيـل) فالخطبـة مـصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابـة، واسـم الكـلام الخطبة، (والخطبة) مصدر الخطيب، ولا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة

اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب؛ فيوضع موضع مصدر، وجاءت بالضم، فقيـل: "هي الكلام المنثور المسجع ونحوه".[1]

والخطابة، فن من فنون النثر الأدبي، وجنس من أجناس الكلام الثلاثة (الخطب، الرسائل، الشعر)، وجميعها تحتاج إلى حسن تأليف، وجودة تراكيب.[2]

وعرفها آخرون، بقولهم: "هي صناعة علمية يمكن بسببها إقناع الجمهور في أمور يتوقع حصول التصديق بها قدر الإمكان"، [3] فالخطابـة إذن، فـن مـشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته في أي شأن من الشؤون السياسية والدينية والاجتماعية، بكلام فصيح جليل المعاني، ممزوج بالعاطفة، وإثارة المشاعر.[4]

والخطابة: فن عملي من فنون القول عرفه الإنـسان منـذ القـدم، ونـشأت وتطورت وازدهرت منذ أن وجدت الخليقة، ويعرفها كذلك، نوري حمودي القيسي: "بأنها ظاهرة أدبية معروفة لدى جميع الأمم، فليس هناك من مجتمع لم يعرفها". [5]

والخطابة نوع من الترسل، وقديماً كان الباحثون في البلاغـة قلمـا يميـزون بينهما، يقول أبو هلال العسكري:" الرسائل والخطب تتشاكلان في أنهمـا كـلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل، والفرق بينهما أن الخطبة يشافه بها بخلاف الرسالة، والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة

1- الرازي، أبو بكر، محمد بن عبد القادر، (ت691 هـ)، مختار الصحاح، المكتبة الأمويـة، دمشق، (د . ط)، 1978م، ص: 180، انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة: خطب).

2- فارس، عزت محمود، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجـري، دار يافـا- للنـشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م، ص: 300 .

3- الجنابي، عبد الكريم إبراهيم دوحان، تاريخ الخطابة العربية إلى القـرن الثـاني الهجـري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 19 .

4- الحوفي، أحمد محمد، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط4،1972م، ص:5-6.

5- القيسي، نوري حمودي، وزميلاه، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية للطباعـة، بغداد، (د . ط)، 1987م، ص: 360 – 361 .

في أيسر كلفة"[1]، ونعقب على قول العسكري السابق، أن ما ذهب إليه من تشاكل الرسالة والخطبة؛ فإن للخطابة خصائص تعرف بها، ومن ذلك أنها ترمي إلى ما يثير الشعور، ويحمل على الإقناع، ولذا تكثر فيها علامات المخاطبة والتعجب والاستفهام، وضرب الأمثال والشواهد والتلاعب بالمعاني، والميل إلى الإيقاع في تركيب العبارات، وما إلى ذلك مما يستنفز المشاعر، ويستهوي القلوب، على أن أعلاها قدراً ما التزم جادة البيان السليم، وجودة المنطق، وكان قائماً على نصاعة التفكير وجمال التصوير.

لذا؛ أصبحت الخطابة في هذا العصر أداةً من أدوات السلطة، وأصبحت في الوقت ذاته أداةً في يد من ينازعها أو يشاقها، لأن الخطابة تحتاج إلى ملكة خاصة تجمع بين جمال الأسلوب وجودة المعاني ومعرفة مواقع القول وأوقاته، واحتمال المخاطبين له ليستدعي الرقي السياسي والاجتماعي والفكري، فلذا تعددت موضوعات الخطابة، وأكثرها كان مصروفاً إلى الدعاية السياسية في توطيد وتعزيز شؤون الحكم الأموي. وكان لزاماً على الولاة والأمراء والقادة أن يكونوا خطباء أمام هذا التنوع السياسي والمذهبي والمجتمعي، فلذا، جاء النثر الأموي انعكاساً للحياة الاجتماعية والسياسية التي أظلت الأمويين بظلالها.

كما شهدت الدولة أيضاً ضروباً من التحول والتطور، وتغيرت ملامحها ومعالمها، وتبدلت قسمات حياتها، ذلك أن المصالح السياسية العليا قد طغت على كل ما سواها، وخرج من عباءة السياسة الأموية رجال وأحزاب وفرق و خطباء وشعراء يشار لهم بالبنان، فعندها تعددت النظريات، وتباينت المواقف، وتصارعت الجماعات، فتركت أصداءها في طبائع الأنشطة الأدبية، وفي صور الإبداع الفني

1- العسكري، أبو هلال،الحسن بن عبد ا ، (ت395هـ)، كتاب: الصناعتين، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط)، 1952م، ص:102، انظر: المقدسي، أنيس، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م، ص:399 .

الشعري والخطابي على السواء[1]، فكان الخطيب في نثره وشعره يجمع بين دوائـر متعددة: سياسية واجتماعية واقتصادية وإنسانية وفكرية ازدهرت معها حركة النثـر الفني،الذي توزع بين الخطابة الدينية والسياسية وغيرها – كما سيتضح فيما بعد.

وفي سياق المستوى، فقد أخذت الأنماط الخطابية مسارات أخرى عند الـولاة في الدفاع الدائب عن الفكر السياسي، المرتبط بجوهر المناسبات والمواقـف التـي عاشتها الخلافة الأموية، وما حدث من أحداث ومعاهدات وتوقيع هدنـة أو صـلح، تطلب صياغة بيانات خطابية ينهض بها خطباء الولاية، ويؤدون ما أُسند إليهم مـن تبعات ووظائف في مجال أعمال ولايتهم.[2]

4.1 تطور الأداء الفني في الخطابة الأموية:

جاءت صور الإبداع في المهاد النظري ليتشابه خلفه الفكـر لـدى الـشاعر والناثر، لتأكيد تشابه الاتجاهات الفنية والظواهر والطوابع الموضوعية الشائعة فـي هذا العصر، ويؤكد هذا الجانب ما تقوله، مي يوسف خليف: "وهو ما اكتملـت لـه مقوماته من منطلق ظاهرة الالتزام عبر مستويات الحياة الأمويـة المتنوعـة بـين سياسي واجتماعي وقبلي وأخلاقي وديني" [3].

في مطلع عصر بني أمية شهدت الخطابة مزيداً من الازدهار، فتهيـأت لهـا أسباب مختلفة من التطور والارتقاء في مـستوياتها وقياسـاتها الفنيـة، وسـياقاتها النمطية[4]، فقد عرفت الخطابة الأموية لوناً من المفاخرات والمنافرات، تكاد تكـون صورة وأثراً لتلك العصبية القبلية القائمة، بل إن الأسلوب الذي كانت عليه خطابـة العصر الأموي انعكاساً لطباع أهل هذا العصر من أمـويين، وخـوارج، وشـيعة،

1- خليف، مي يوسف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، - دراسة تحليلية – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1994م،ص: 165 .

2- خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، - دراسة تحليلية، ص: 166 .

3- المرجع، السابق، ص: 165-166.

4- ضيف، شـوقي، الفـن ومذاهبـه فـي النثـر العربـي، دار المعـارف، بمـصر، ط1، 1965م،ص:63.

وزبيريين، راضين أو ساخطين على الخلافة الأموية، وأحقية الحكم فـي حواضـر وبيئات هذه الدولة[1].

ناهيك عن أن هذه الأوتار التي أنشد عليها أصحاب الآثار النثرية هي ذاتهـا عند كل واحد منهم، وتوشك أن تكون أساليبهم في استخدام هـذه الأوتـار قريبـة متشابهة، ولكن تشابهها مع ذلك لا يخفي عنصرها الشخـصي، ولقـد رددت هـذه الأوتار أنغامهم وأصواتهم وملكات فكرهم السياسي والثقافي في الموضوعات التـي طرقوها، وهي كلها تتصل بسياسة الحكم والإدارة. [2]

وهذا التشابه بين السياسة والإدارة ولد الأصداء والأصوات التي انبعثت عـنهم فكان يدور عليها أدب هؤلاء الولاة الذي كان من صميم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية في بيئات الدولة الأموية، وليس أدل على ذلك من أن نقرأ في أي كتاب من المجاميع الأدبية خطباً ورسائلَ ومكاتباتٍ وفنوناً نثريةً دارت بين الولاة والخلفاء والقادة وأصحاب الفرق والمذاهب والأدباء، وما وجه إليهم، وما تم توجيهه منهم لغيرهم، لندرك مدى الاستجابة العميقة للتوجيه القيادي لهذا العصر.

فالخطابة، بشكل عام، كانت أكثر الأشكال متابعة للاستمرارية، ولكنها ترتقـي بارتقاء النثر، والفاعلية الأدبية بعامة.

لقد تهيأ للنثر الأدبي والفني في هذا العصر من العوامل والمؤثرات ما نهض به من استقرار العرب الحضاري، والثقافي والفكري، واجتماع السلطان والملك لهـم، كما كان البيان من عدة الدولة وتوطيد نظام الحكم، والدفاع عن الحـاكمين، وعـن حقهم في تولي السلطة، واجتذاب الناس لسلطانهم، كما إن النثـر الأدبـي، والفـن الشعري أداة الجدل ومقارعة الحجة بالحجة.[3]

1- أبو الخشب، الأدب الأموي – صورة رائعة من البيان العربي -، ص: 125.

2- فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري - نشأتها، مقوماتها تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1981م، ص:354 – 355.

3- سركيس، إحسان، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار الطليعة للطباعـة والنشر، بيروت، ط1،1981م، ص: 436.

ومن الملاحظ أن التشريعات اتخذت أشـكالاً متعـددة فـي الخطـب العامـة والمكاتبات والرسائل والأجوبة والمحاورات بل هي فن من فنون النثر، ولون مـن ألوانه، بل هي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع والاسـتمالة والتـأثير، وهي (أيضاً) كلام بليغ يلقى في جمع من الناس لإقناعهم برأي، أو استمالتهم لمبدأ، أو توجيههم إلى ما فيه الخير والبيان.[1]

والخطابة ضرورية لكل مجتمع في سلمه وحربه، فهي أداة الدعوة إلى الرأي، والتوجيه، ووسيلة الدعاة والمصلحين إلى الخير، فهي إذن ضرورة من ضـرورات الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية.

ولهذا؛ اهتم العرب بالخطابة، ولهم خطب كثيرة ومشهورة، قد أسهمت عوامل كثيرة في ازدهارها.

5.1 علم الخطابة:

هو العلم الذي يعنى بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني فـي الموضـوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة، وأساليبها وترتيبها.[2]

فالخطابة إذن،هي القياس المؤلف من المنظومات أو المقبولات؛ لترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم، أو معادهم، بل هي الكـلام المنثـور المـسجوع، أو المزدوج، أو المرسل الذي يقصد به التأثير والإقناع.[3]

1- خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص:232-233، انظر: ابن جعفر، نقد الـشعر، ص:94-95، الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 45-48، انظر: أحمـد، عبدالـستار سـيد، دراسات في الأدب الأموي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعيـة، منـشورات جامعـة حلب، سوريا،ط1، 2000م، ص:363.

2- أبو زهرة، محمد، الخطابة- أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكـر العربي، القاهرة، ط2، 1980م، ص:20.

3- أبو زهرة، الخطابة- أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص:21.

ولاشك في أن للخطابة ثمراتٍ كثيرةً، فهي التـي تفـض المـشاكل، وتقطـع الخصومات، وتهدي النفوس الثائرة، وتثير حماسة ذوي النفـوس الفـاترة، وترفـع الحق، وتخفض الباطل وأحياناً تعليه، وتقيم العدل، وترد المظالم، بل هـي صـوت المظلومين، ولسان الهداية، - ولا يمكن- أن ينتصر صـاحب دعـوة ودعايـة، أو مناداة بفكرة وإصلاح إلا بالخطابة.

6.1 دواعي ازدهار الخطابة وبواعثها:

لقد ازدهرت الخطابة ازدهاراً عظيماً في هذا العصر، وأحبها الناس، فحفلت بها النوادي والمجالس وقصور الخلفاء والأمراء والولاة والقادة، وأماكن القضاء، حتـى البيوت الخاصة، يقول الفاخوري: "ولا عجب في ذلك، فقد توفرت دواعيها في بيئات ينطق الوعاظ بها على المنابر لتغذية الشعور الديني القوي، فأخذت جيوشـها لفـتح البلاد، فتخضع لها خراسان وبلاد الترك وسجستان والـسند وأفريقيـة والمغـرب والأندلس، ليبعث قوادها في صدور الجنود الحماسة والشجاعة، لإحـراز النـصر والظفر على الأعداء، وفي الجانب الآخر رأت أحزاباً تتجالد، وعـصبيات تتنـازع على السلطة والنفوذ، وثورات عقائد ومبادئ؛ ووفود تتقاطر على الخلفـاء والـولاة والأمراء، ليظهروا فصاحتهم، ومفاخرات ومناقضات ومحـاورات فـي الـسياسية والأدب بين أبناء القبائل، وغيرهم من الشعوب".[1]

فتناول الخطباء والكتاب من الولاة جميع أساليب اللغة من أمر ونهي، واستفهام وعطف، ومدح وذم، ونفي وإثبات، فكان لكل قبيلة خطيب، كما لكل قبيلة شـاعر، فهو المصدر الحقيقي، والناطق الإعلامي عن قبيلته، وعن سياسة الحكم فـي مقـر الخلافة أو الأقطار التابعة للدولة. ولما جاء العصر الأموي، وانتقلت أزمة الـسيادة والقيادة إلى هؤلاء النفر من رجال بني أمية الذين أعطـوا مـن أنفـسهم البرهـان الصادق على أنهم جديرون بتقلد مناصب السياسة والحكم، وبتصدر الصفوف فـي سياسة الأقاليم والرعية، على أساس من الحكمة والحنكة، واليقظة والـرأي والفكـر

1- الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 317 – 318 .

الثاقب والدهاء، فهم نسيج من قادة الحكم والسلطان والثقافة والأدب الذين ظفرت بهم الإنسانية على مدى الأزمنة في الشرق والغرب.[1]

لقد جارت الخطابة الشعر في هذا العصر، وعلا شأنها؛ لأنها تناولت شؤون الدولة العامة، ومثلت السياسة أصدق تمثيل، وكانت السلاح القوي الذي يعتمد عليه الخلفاء والولاة والقادة وزعماء الأحزاب ورؤساء القبائل في الدعاية لأنفسهم، واستمالة القلوب إليهم، وتهديد الخصوم، فلذا، تضافرت الخطابة والشعر على تحقيق هذه الغايات، غير أن الشعر كان من عمل الدعاة والأعوان، أما الخطابة فكانت من عمل الساسة في أكثر الأحيان[2]، ومن الطبيعي أن تنهض الخطابة في هذا العصر لأسبابٍ عدةٍ، أهمها:

أولاً: الأحزاب السياسية:

تعددت الأحزاب السياسية في هذا العصر، وكان كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة دعاية لتبرير مطالبه، وتفنيد حجج خصومه، وبيان نظريته السياسية، فكانت الخطابة آنذاك تؤدي دور الصحافة والإعلام في وقتنا الحاضر، من دعاية للآراء السياسية، فانبرى خطباء كل الأحزاب يدعون إلى نظرياتهم السياسية، وبيان أحقيتهم في الخلافة، والدعوة إلى الثورة، وإشاعة الفوضى ضد الحكم الأموي، فكان يقف في مقابل هذه الأحزاب الحزب الأموي الحاكم الذي بنى نظريته السياسية إلى دعوة الناس للتمسك بمبدأ وحدة الجماعة، وتأييد الخلافة، والطاعة والولاء للبيت الأموي الحاكم، فكانوا في خطبهم يخلطون تلك السياسة بالترغيب حيناً، وبالترغيب حيناً آخر[3] - كما سنرى- ذلك في خطب الولاة وخير ما يمثل ذلك النموذج خطبة زياد بن أبيه في أهل البصرة وقد هزم الخوارج له جيشاً، فقال**:** "يا أهل البصرة: ما هذا الذي اشتملتُم عليه؟ إني أعطي الله عهداً لا

1- أبو الخشب، الأدب الأموي – صورة رائعة من البيان العربي –، ص: 1-2 .

2- الحوفي، أحمد محمد،أدب السياسة في العصر الأموي، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ط5، 1979، ص: 345 – 346 .

3- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 68 .

يخرج عليّ خارجي بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحداً، فأكفوني بوائقَكُم. فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا" [1].

وهذا النمط السياسي بدأ أكثر انتشاراً وذيوعاً، وذلك لامتـداد صـور الـصراع الحزبي والمذهبي بين تلك الأحزاب والفرق من جهة، وبين الحزب الأموي الحاكم، فعندها تحول أمر الخطابة السياسية من الخلفاء إلى الولاة والقادة الذين أسهموا فـي ضمان الأمن والاستقرار للحكم الأموي[2].

ثانياً: السياسة في إطارها العام:

امتاز العصر الأموي بظهور معارضة حزبية حادة دارت على أحقية الخلافة، فكان ولاة بني أمية كزياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي، وغيرهم، يقـررون ويقرون بأنها حق لبني أمية، وأن ا اختارهم لقيادة الأمة، فـانبرت لهـم الفـرق والأحزاب المعارضة، وأخذ كل فريق يحتج برأيه، فحينها امتشق الخطباء ألـسنتهم في تصوير مذاهبهم ومطالبهم التي يدعون إليها، فكان لابد مـن ظهـور الخطابـة السياسية، التي ظهر فيها الأثر البين والدور الكبير للولاة الخطباء الذين كانوا فـي أشد الحاجة إلى أن يبينوا للناس سياستهم، فكان صوت الترهيب أظهر في الأمصار التي نبتت فيها الفتن والمعارضة للحزب الأموي الحـاكم (كـالعراق والحجـاز)، وصوت الترغيب كان أوضح في الأمصار التـي وادعـت وسـالمت، وعاونـت وناصرت سياسة الحكم الأموي(كالشام).

ووفق هذه السياسة، فقد تحولت الوفود إلى سـيول قاصـدة قـصور الخلفـاء والولاة، متحدثة في شؤون قومها، وبيان مدى مناصرتها لسياسة الحكم الأموي، وما

1- اليعقوبي، أبو يعقوب، أحمد ابن جعفر، (ت292هـ)، تاريخ اليعقـوبي، دار صـادر، دار بيروت، بيروت، (د.ط)، 1960، ص:232، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإداريـة العائدة للعصر الأموي،ص: 110.

2- الحوفي، فن الخطابة، ص: 45، 49، انظر: الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلـى القـرن الثاني الهجري، ص: 74-75، انظر: أبو دياب، خليل، الأدب الأموي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م، ص 33:4.

ينبثق عنها من خطب التهنئة، أو التعزية، أو المبايعة، فكانوا يسمون محافـل هـذه الوفود باسم (المقامات).[1]

وفي اجتماعها يتبارى الخطباء، ويحاول كل من له السبق في البيان والفـصاحة، أن يدلي بدلوه في هذا الميدان، فيحتج لحزبه، ويفند خصومه، فيتكلم بحيث يـستطيع أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع في خطبته، ولذا، تعددت الخطب السياسية في الحياة الأموية.

ثالثاً: الفتن والثورات، وتشمل:

لا شك أن الفتن التي قامت في صداها الدولة الأموية، وتأججت نيرانها، واشتد لهيبها، إثر انقسام أهل الدولة الواحدة إلى أحزاب وشيع، وعصبيات، فكان كل حزب يدعو الناس إلى فكرته، وتأييد دعوته، فدارت الحـروب والمنازعـات بـين هـذه الأحزاب، وثارت العصبيات القبلية، فكان مـن وراء الـسيوف الخطـب القويـة، والعبارات الشديدة الدافعة للموت، حين وجدت الخطابة في تلك الفتن معيناً وحـافزاً لها.[2]

كان عصر بني أمية العصر الذهبي للخطابة السياسية، إذا اكتملت لها أسـباب النماء والازدهار والنضج حتى عدت فناً أدبياً راقيا يتحدى سائر الفنون الأدبية التي أظلها عصر الدولة العربية الأموية.

ولقد كانت الحالة السياسية آنذاك أبعد ما تكون عن الهدوء والاستقرار، وعلـى طول مدة الحكم الأموي، والمؤثرات السياسية فيه لم تهدأ فيـه حركـة المعارضـة لحكمهم وسياستهم، فنجدها لسانية تارة وحربية أخرى، فكان عهدهم حافلاً بالأحداث الداخلية والفتن والثورات، كما في خطبة الحجاج بعد معركة دير الجمـاجم التـي انتصر فيها على ابن الأشعث، وموجهاً كلامه لأهل العراق، فقال: "إن الشيطان قـد استبطَنَكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف، ثم

1- أحمد، دراسات في الأدب الأموي، ص: 377، انظر: حسب ا ، بهاء، الحياة الأدبية فـي عصر صدر الإسلام – تاريخ وتذوق – دار الوفاء لدينا الطباعة والنـشر، الإسـكندرية، ط1، 2007م، ص:41 – 43 .

2- أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص 296– 297.

أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشعشَ، ثم باض وفَرخَ فحـشاكم شـقاقاً ونفاقاً وأشعركم خلافاً! اتخذتموه دليلاً تتبعونَه وقائداً تُطِيعونَه ومؤامراً تستـشيرونَه، وكيف تَنْفَعكُم تَجربةٌ أو تَعظُكُم وقعةٌ، أو يحجركُم إسلام،أو يردكُم إيمـان ؟ ألـستم أصحابي بالأهواز[1] ؟ حيث رمتم المكر،وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر، وظننـتم أن ا يخذل دينه وخلافته؛ وأنا أَرمِيكُم بطِرفي، وأنتم تتسللون لـواذاً، وتنهزمـون سراعاً! ثم يوم الزاوية؛ وما يوم الزاوية ؟! بها كان فـشلُكم وتنـازعكم وتخـاذُلُكم وبراءةُ ا منكم، ونكوص وليه عنكم، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخُ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمتْكم الرماح، ثم يوم دير الجماجم وما ديـر الجمـاجم؟! إنهـا كانـت المعارك والملاحم بِضربٍ يزيلُ الهام عن مقيله ويذْهِلُ الخليل عن خليله. يـا أهـل العراقِ والكَفَراتِ بعد الفجراتِ والغدراتِ بعد الختراتِ والنزواتِ، إن بعثْـتُكم إلـى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم؛ لا تذكرون حسنةً ولا تشكرون نعمـةً، يـا أهل العراق: هل استخفَكم ناكِثٌ أو استغواكُم غاوٍ أو استنفزكُم عاصٍ أو استنصركم ظالم أو استقصدكم خالع إلا وثقتُموه وآويتموه وعزرتموه؟! يا أهل العـراق: هـل شَغَب شاغب أو نعب ناعب أو نعق ناعق أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق: ألم تَنْهكُم المواعظُ ؟ ألم تَزجركُم الوقائع؟ ثم التفتَ إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام: إنما أنا لكم كالظليم الذاب عن فراخه، ينفي عنها المدر ويباعد عنهـا الحجر ويكِنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب يا أهل الشام: أنتم الجنةُ والرداء، وأنتم العدّةُ والحِداء"[2]، ومن النماذج الخطابية العديدة نستـشف خطبة لعبيدا بن زياد لما بلغه مصرع الحسين، وأتى برأس فجمع الناس وخطبهم، فقال: "الحمد الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيـد بـن معاويـة وحزبه، وقتل الحسين بن علي وشيعته".[3]

1- الأهواز: موضع قرب البصرة جرت فيه معركة ضارية بين الحجاج وابن الأشعث.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/138-140، انظـر: المـسعودي، مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر،3/ 139 -140 انظر : ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4 / 115 – 117.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،4 / 350- 351.

كان لظهور حركة المعارضة للحكم الأموي وشيوع السخط والنقمة على سياسة بني أمية وولاتهم وعمالهم لدى معارضيهم، ومثال ذلك خطبة أبي حمزة الشاري التي قالها يوم دخل المدينة، فإننا نجد فيها كثيراً من أسباب هذا السخطِ، يقول: "سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم: وا ما فيهم الذي يعدِلُ، أخذوا المال في غير حقه، وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل ا ُ، واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولةً بين الأغنياء منهم، وجعلوا مقاسِمنا وحقوقنا في مهور النساء، وفروج الإماء" [1].

يقول إحسان النص:"ولولا هذا السخط لما ظهرت هذه الخطب السياسية العنيفـة التي قالها الخطباء المعارضون للحكم الأموي، ولما وجدت تبعاً لذلك خطب المؤيدين لبني أمية، والمناضلين عن سياستهم وحكمهم" [2]، كما جاء في خطبة لعتبة بن أبـي سفيان في أهل مصر، فقال: "يا حاملي َألأم ُأنْفٍ ركبتْ بين أعينٍ: إني إنمـا قلمـتُ أظفاري عنكم ِليلين مسي لكم، وسألتُكم صلاحكُم، إذ كان فسادكم باقياً عليكم، فأما إذا أبيتم إلا الطعن على السلطان، والتنَقُّص ِللسلف فوا لأقطعن بطون الـسياطِ عـن ظُهوركُم، فإن حسمتْ َأدواءكم وإلا فإن السيف من ورائِكم، فكم من حكمةٍ منـا لـم تَعِها قُلوبكم، ومن موعظةٍ منا صمتْ عنها آذانُكم، ولستُ َأبخلُ عليكم بالعقوبـة إذا جدتُم بالمعصية، ولا ُأوئيسكم مـن مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي َأبـر وَأتقى"[3]، ولم يكن ثمة وسيلة لنقد بني أمية وإعلان السخط على حكمهم أقوى مـن الخطابة، وأبعد أثراً في النفوس منها، إذ كان شأنها شأن الـصحافة فـي عـصرنا تعكس مشاعر الجماهير، وتعبر عن الرأي العام في المجتمـع، فكانـت الخطابـة الوسيلة المثلى لنقد الحاكمين وللتعبير عـن الـسخط الجمـاعي، وإثـارة مـشاعر المحكومين على من بيدهم السلطان.

لا شك في أن وفرة الفتن والأحداث الداخلية في عصر بني أمية كان لها دوافـع أخرى غير شيوع السخط على السلطان القائم، ومن هذه الدوافع النزعـة الفرديـة

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 146 .، انظر : النص، إحسان، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، منشورات : جامعة دمشق، سورية، ط1، 1965 م، ص84 .

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:84 .

3- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 3 / 312 .

المتأصلة في نفس العربي، والتي تنافي الخضوع المطلق لـذوي الـسلطان، فكـل شريف مسود في قومه كان يرى نفسه أهلاً لتولي منصب الخلافة أو الإمارة، وهـو لذلك ينتهز الفرص المواتية للثورة، وإعلان خلافه على القائمين بالأمر، فلذا، صور ابن خلدون نفسية العربي؛ بقوله: "والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الـذي فـيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، وللغلاظة والأنفة، وبعد الهمة فيهم والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإن كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكِبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم"[1]، ومن هـذه الدوافع أيضاً النزاع على تولي الخلافة، ففي سبيل الظفر بها انقسم المسلمون أحزاباً وفرقاً شتى كل منها يدعي أنه أولى من غيره بتولي شؤون الخلافة، واحتدم الصراع بين هذه الأحزاب، فكثرت الفتن والثورات والحروب الداخلية، وكان الخطباء الولاة في طليعة مورثي هذه الفتن ومولدي نارها [2]".

يضاف إلى هذه الدوافع كلها نار العصبية العنيفة التي عرف بها العرب، والتي حدثت بسببها فتن قبلية لم تهدأ ثائرتها طوال العصر الأموي.

وزيادةً على ذلك، فإن هذه المنازعات والثورات والأحداث الداخليـة تمخـضت عنها حركة خطابية نشيطة، ظهر بسببها عدد كبير من الخطباء، وكان لكـل مـن الفرق والقبائل المتنازعة خطباؤه الناطقون بلـسانه[3]، ثـم كانـت وفـرة الفتـوح والمغازي سبباً آخر في ازدهار الحركة الخطابية في هذا العصر، لخوض غمـرات القتال واقتحام صفوف العدو للظفر أو لقاء المنية، وهذه الإستجابة تفسر لنـا سـبب

1- ابن خلدون، ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد،(ت 808ه)، كتاب: العبر وديوان المبتـدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي الـسلطان الأكبـر – المقدمة- دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1984م، ص:151، انظر: النص، الخطابـة السياسية في عصر بني أمية، ص:85.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:85.

3- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص :85 .

اعتماد قادة الجيوش إبان الفتوح العربية على الخطباء والقـصاص، وبيـان مـدى المنزلة العظيمة التي احتلتها الخطابة في هذا العصر.[1]

ولم يكن بد في ظل التنظيم السياسي، وانتقال العرب من مرحلـة البـداوة إلـى مرحلة الحياة المتحضرة، واختلاطهم بالجماعات والأمم الأخرى من نظـم إداريـة تنظم أوضاعهم السياسية، فكانت الخطابة أفضل وسيلة لاتصال الراعي برعيتـه ؛ ليطلعها على الخطة التي سينتهجها معهم في الخطوب والملمات.[2]

مع أن حرية الفكر والقول لم تكن متاحة في هذا العصر إلا لمن مشوا في ركاب أرباب السلطان، أما من زينت له نفسه أن يجهر بالمعارضة والنقـد فلـيس لـه إلا السيف[3]، ها هو ذا عتبة بن أبي سفيان يخطب في أهل مصر، فقال بعـدما حمـد ا ، وأثنى عليه: "يا أهل مِصر : إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً، فإن فيكم ذبيحاً بعثمان، أرجو أن يوليني ا ُ نُسكه. إن ا جمعكم بأمير المـؤمنين بعـد الفُرقـة، فأعطى كُل ذي حق حقه، وكان، وا إذا ذُكِر بخُطة، وأصفحكُم بعد المقـدرة عـن حقهِ، نعمةً من ا ِ فيكم، ومِنةً منه عليكم، وقد بلغنا عنكم نَجم قَولٍ أَظهره تقدم عفوٍ منا، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أُنْسِ الحق بعد إثارة الفتن وإماتـة الـسّنن فَأطأُكم – وا –، وطأةً لا رمقَ معها، حتى تُنْكِروا مني ما كنتم تعرفون، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون، وأنا أُشهد عليكم الذي يعلم خائنةَ الأعين، وما تخفي الصدور".[4]

هذه العوامل المتعددة أدت إلى نشاط الخطابة السياسية في عصر بني أمية، وإلى النهوض بهذا الفن فكرياً وفنياً أمام وفرة خطباء السياسة الذين ظهـروا فـي هـذا العصر، كما تعددت أقسام الخطابة السياسية، فهناك الخطـب الـسياسية الخالـصة، والمناظرات والمشاورات، والخطب الحربيـة، والوصـايا الـسياسية والحربيـة، والمحاورات، والأقوال المأثورة التي تمثلت في أدبهم.

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:85.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:86 .

3- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:87.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد،137/4 .

لذا، انقسم النثر الفني بدوره إلى خطابة عمادها اللسان، وكتابة فنية عمادهـا القلم، فازدهر النثر الفني في هذا العصر، وكثر قـائلوه، وتعـددت فنونـه، فأنـشأ الخطباء الخطب البليغة، وكتب الناثرون في فن الخطابة، والمكاتبـات، والرسـائل، والوصايا، والتوقيعات، والمحاورات، والوعظ، وفي النثر التأليفي، صـوروا الفـتن والأحداث والثورات والمنازعات السياسية في نثرهم ونظمهم، وحثوا على الوحـدة، وما تتطلبه سياسة الحكم، وشؤون الإنسان وأحاسيسه وهمومه، حيث أسهمت عوامل كثيرة في ازدهار الخطابة الأموية، واستعظمت دواعيها في صدر الدولة الأمويـة، ووسطها، واتسعت موضوعاتها، وتشعبت نواحيها واختلفت أغراضها بين سياسـية ودينية وحزبية ومذهبية واجتماعية وحفلية وحربية، وكان أعظم دواعيها، وأوسـع موضوعاتها : الحالة السياسية ومؤثراتها وعواملها آنذاك أبعد ما تكون عن الهـدوء والاستقرار، لوجود حركات المعارضة، إذ كان عهدهم حافلاً بأبرز الأحداث والفتن والثورات الداخلية، التي تمثلت في:

1- ثورة ابن الزبير (61- 73هـ):

كان عبد ا بن الزبير من الذين امتنعوا عن مبايعة يزيد، وقد غادر المدينـة المنورة وعاذ بالحرم المكي، وسمى نفسه "العائذ " وأوصى معاوية ابنه بأن يأخذ ابن الزبير بالعنف والشدة، ولم يكن ابن الزبير ليطمع أن تكون له الخلافـة والحـسين والحسن على قيد الحياة، وما أن بلغه مقتل الحسين وخذلان أهل الكوفة له حتى بادر إلى خلع يزيد سنة (61)هـ، فخطب الناس في مكة خُطْبته المشهورة فنعـى فيهـا حسيناً وعاب خاذليه، ودعا إلى نفسه، فقال:" إن أهل العراق غُدر فُجر إلا قليلاً وإن أهلَ الكوفةِ شِرار أهل العراق، إنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قَـدِم عليهم ثاروا عليه، فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا، فنبعثَ بِك إلى ابـن زيـاد (ابن سمية) سلماً فيمضي فيك حكْمه"[1]، وأنفذ إليه يزيد بن معاوية جيشاً توجه أولاً للمدينة المنورة فَنَكلَ بأهلها شر نكال في وقعة الحرة المشهورة سنة (63هـ)، ومن ثم توجه جيش يزيد إلى مكة وتمت محاصرتها حتى أنها رميت بالمنجنيق، فخطـب

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 474/5، انظر : عطـوان، حـسين، جمهـرة الخطـب الأموية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008م، 1/ 131 .

الحجاج في أصحابه قبل قتل ابن الزبير بيوم، فقال:"ها هو الفتح قد حضر، وقد ترون خِفةَ من مع الملحد ابن الزبير من الرجال وقَلَقَهم، وما فيه أصحابه من الضيق والجهد" [1]، حيث شارك الخوارج مع ابن الزبير بدعوى الدفاع عن الحرم الشريف، وفي الأثناء جاء نعي يزيد بن معاوية سنة(64ه)، فانصرف جيش الشام عن مكة، وحينها انتهز ابن الزبير ما وقع من خلاف بين أهل الشام والعراق، فمد سلطانه على الحجاز والعراق، وبايعه كذلك أكثر أهل الشام، وكاد مروان بن الحكم أن يكون رسول أهل الشام لمبايعته لولا أن ثناه عن ذلك عبيد الله بن زياد وأنصار بني أمية من الكلبيين، فتمكنوا من دحر ابن الزبير وأنصاره في موقعة مرج راهط المشهورة سنة (64هـ)، ومنذ تلك الهزيمة أخذ سلطان ابن الزبير يتقلص، واستطاع عبد الملك بن مروان بحنكته السياسية أن يقضي على الحركة الزبيرية في العراق وأنصارها، بمقتل مصعب بن الزبير، ومن ثم أمر عبد الملك الحجاج بالتوجه لقتال ابن الزبير في مكة فحاصرها، ورماها بالمنجنيق، فقتل الحجاج ابن الزبير سنة (73 هـ)، فخطب الحجاج لما قتل ابن الزبير، فقال:" يا أهل مكة: بلغني إكباركم قَتلَ ابن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من خَيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها أَهلَها، فنزع طاعةَ الله واستكن بحرم الله، ولو كان شيء مانع العصاة لَمنعتْ آدم حرمة الله، إن الله خلقَه بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأباح له كرامته، وأسكنه جنته، فلما أخطأ أخرجه من جنتهِ بخطيئته، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنةُ أعظم حرمةً من الكعبةِ. اذكروا الله يذكركم"[2]، وبقيت عداوة الحجاج لابن الزبير وأتباعه ماثلة في حياته حيث ألقى خطبته في أهل البصرة يخبرهم أن الزيادة التي منحهم إياها ابن الزبير في أعطياتهم ملغاة وغير شرعية، فقال: "إن الزيادةَ التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادةَ فاسقٍ منافقٍ، ولكنها زيادةُ أمير المؤمنين عبد الملك وقد أثبتَّها لنا فكذبه الحجاج مما

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 347 .

2- ابن كثير، إسماعيل،(ت774ه)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1992م، 9 /120، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:239.

دعا أهل البصرة إلى الثورة ضده، ولكنهم هزموا وقُتِلَ ابن الجـارود"[1]، وبمقتلـه انتهى الدور الزبيري المناهض لبني أمية.

وكانت للخوارج أول الأمر مشاركة نجدية في الدفاع عن البيت الحرام مع ابن الزبير، ولكن انقساماتهم أضعفت شوكتهم أمام المهلب بن أبي صـفرة الـذي قتـل زعيمهم نافع بن الأزرق يوم (دولاب) سنة (65هـ)، وفرق جموعهم وشتتهم، وكان ذلك في ولاية الحجاج على العراق، فتم له قتل رؤوس الخوارج عبد ربـه الكبيـر، وقطري بن الفجاءة في خضم أحداث متأججة ومتسارعة في آنٍ واحد، حتـى أنهـم وصفوا الخوارج للحجاج، بقولهم: " إنك تسير إلى فرسان العرب، وأبناء الحـرب، وأحلاس الخيل "[2].

2- ثورة ابن الأشعث:

أما ثورة ابن الأشعث التي استمرت من سنة (81هـ - 85هـ)، فكانت مـن أخطر ثورات الخوارج في وجه الحجاج، حتى أن الطبري يروي على لسان الحجاج قوله في ابن الأشعث: "ما رأيتُه قَط إلا أردتُ قتلَه "[3]، حتى أمكن للحجاج في جيش أهل الشام من القضاء على ابن الأشعث منتحراً سنة (85هـ)، واستطاع الحجـاج قتل كل من شارك ابن الأشعث في ثورته من جماعة القـراء والزهـاد والـشعراء ومنهم جبلة بن زحر، وابن القرّية، وأعشى همدان، ومن ثم سعيد بن جبير لما ظفر به [4]، ومن الخطب الماثلة في هذه الثورة خطبة الحجاج في أهل الكوفة والبـصرة من أجل حرب الخوارج، وقال فيها: "يا أهل المصرين: هذا المكان، وا ِ، مكـانكم شهراً بعد شهرٍ، وسنةً بعد سنة حتى يهلك ا ُ عدوكم هـؤلاء الخـوارج المطـين

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،5/ 46.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 78، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بنـي أمية، ص: 20 – 21 .

3- المصدر، السابق ، 5/ 140 .

4- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 23- 25 .

عليهم"[1]، وأيضا خطب الحجاج في عسكر أهل الشام أثناء المعركة الفاصلة ضـد شبيب،وقال: "أهل الشام: يا أهل السمع والطاعة، لا يغلبن باطلُ هـؤلاء الأرجـاس حقكم، غضوا الأبصار واجثُوا على الرّكَبِ واستقبلوا القوم بـأطرافِ الأسـنة [2]، وتوالت كذلك خطب الحجاج ضد الخوارج، ومنها خطبته، لما هـزم شـبيباً وقتـل امرأته غزالة فقال فيها : "وا ـِ ما قُوتِلَ شبيب قَط قبلها مثلها، ولّـى، وا ـِ، هاربـاً وترك امرأتَه يكْسر في اُستها القَصب".[3]

3- ثورة ابن المهاب (101- 102 هـ):

منذ أن فرغ الحجاج من فتنة ابن الأشعث لم يكن له هم إلا يزيد بـن المهلـب وبني المهلب، فقد كان يزيد بن المهلب والياً على خراسان، فأوغر الحجـاج قلـب الخليفة عبد الملك على يزيد بن المهلب حتى عزله عن الولاية سنة (85هـ)، وولى مكانه أول الأمر أخاه المفَضل ليوقع بينهما الفتنة، ثم ما لبـث أن عزلـه وذهبـت أعمالهم عند الحجاج أدراج الريح، ثم ما لبث أن عين قتيبة بن مسلم الباهلي واليـاً على خراسان، وفي حروبه في الجبهة الشرقية كان قتيبة بن مسلم يحمل معه بنـي المهلب، ولكنهم استطاعوا الفرار من قبضته ولجأ يزيد إلى سليمان بن عبد الملـك بفلسطين فأجاره وأمنه من أخيه الوليد بن عبد الملك حتى وفاته سنة (96هـ)، ولما أفضى الأمر إلى سليمان ولى يزيد بن المهلب العراق، وأمره باستئـصال آل بنـي عقيل لنقمته على الحجاج وأفعاله، وبعد مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان، ولى عليها يزيد بن المهلب، وظل فيها حتى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (99هـ ـ)، فكان الخليفة عمر يكره آل المهلب لما فيهم من الجبروت وحيازة الأمـوال، فعـزل يزيد بن المهلب عن خراسان وحبسه إلى أن فر من محبسه ولحق بالبصرة، فغلـب عليها وحبس واليها عدي بن أرطأة، فوجه إليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بـن

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،4/ 36، انظر: حمادة، الوثائق الـسياسية العائـدة للعـصر الأموي، ص: 328.

2- ابن أبي الحديد، عز الدين، أبو حامد،عبد الحميد بن هبة ا ،(ت656هـ ـ)، شـرح نهـج البلاغة، تحقيق: حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)،1963، 2/ 91 .

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 93/2.

عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد في جيوش الشام، فتلاقيا في موقعة العقر[1]، فخطب يزيد بن المهلب في أتباعه، فقال: "إني قد اسمع قولَ الرعاعِ قد جاء مسلمةُ، وقد جاء العباس، وقد جاء أهل الشام، وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسيافٍ، سبعةٌ منهـا معي، واثنان منها علي، وأما مسلمةُ فجرادةٌ صفراء، وأما العباس فَنسطُوس[2]، أتاكم في برابرةٍ وصقالبةٍ وجراقمة وجراجمة وأقباط وأنباط، وأخلاطٍ من الناس، إنما أقبلَ إليكم الفلاحون الأوباشُ كأشلاء اللحم، وا ما لَقوا قومـاً كحـدكم حديـد وعـدكم وعديدكم، أعيروني سواعدكم، ثم ساعةً من نهار تصفقون بها خراطِيمهم"[3]، وتطور الأمر، فقد دعا يزيد بن المهلب إلى كتاب ا وسنة نبيه، وحث الناس على جهـاد أهل الشام وخطب فيهم، قائلاً: " تبايعون على كتاب ا وسنة نبيه – صلى ا عليه وسلم – وعلى ألا تَطأَ الجنود بلادنا، وبيضتَنا، ولا تعاد علينا سيرةَ الحجاج الفاسق، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه، ومن أبى جهدناه وجعلنا ا َ بيننا و بينـه"[4]، فكـان مصرع يزيد بن المهلب، وفرار أنصاره سنة (102هـ)، حتى تم القضاء علـيهم، وعلى أسرة أنجبت أبرع القادة في العصر الأموي [5].

4- حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة:

ومن الولاء لبني أمية إلى الخروج عليهم، فكانت حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة من حركات المعارضة التي أعلن فيها خلع طاعة عبد الملك بن مـروان، فقال**:** أما بعد:"فإن ا كتب الجهاد على خلقه، وأمر بالعدل والإحسان، وقـال فيمـا أُنزلَ إلينا: **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا ا إن ا شديد العقاب)**[6]، وإني أُشْهد ا أني قد خلعت عبـد الملـك بـن مـروان،

1- العقْر : يسمى (عقر بابل) موضع قرب كربلاء، انظر: الحموي، ياقوت، أبـو عبـد ا ، (ت626ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،(د.ط)،1957م، مج695/3.

2- النسطوس: إشارة إلى أن أم العباس رومية (نصرانية).

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 292/1، انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 186 .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 592 .

5- النص، الخطابة السياسية في العصر الأموي في عصر بني أمية، ص: 25-26.

6- سورة المائدة، الآية:2 .

والحجاج بن يوسف فمن أحبّ منكم صحبتي، وكان على مثل رأيي فليبايعني فإن له الأسوة وحسن الصحبة، ومن أبى فليذهب حيث شاء فإني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور، أدعوكم إلى كتاب ا وسنة نبيـه وإلـى قتـال الظلمة؛ فإذا جمع ا لنا أمرنا، كان هذا الأمر شورى بـين المـسلمين يرتـضون لأنفسهم من أحبوا".[1]

5- الصراع داخل البيت الأموي على الخلافة:

تمكن معاوية بدهائه أن يجعل الخلافة وقفاً على بني أمية، وملكاً يتوارثونه حتى بعد وفاة معاوية الثاني، فبدأ التنازع بينهم على الخلافة حتى صار أمرها إلى مروان بن الحكم، وظل الصراع بين أفراد البيت الأموي الحاكم محتـدماً طـوال العـصر الأموي مما أضعف الدولة الأموية وساهم في انهيارها.[2]

وفي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان طمع عمرو بن سعيد الأشدق في انتزاع الخلافة منه،فوثب الأشدق،فغلب على دمشق، وصعد المنبر فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال:" أيها الناس: إنه لم يقُم أحد من قريش قبلي على هذه المنبر إلا زعم أن له جنةً وناراً يدخلُ الجنة من أطاعه والنار من عصاه، وإني أخبركم إن الجنة والنار بيد ا ، وإنه ليس إلي من ذلك شيء، غير أن لكم علي حسن المواساة والعطية"[3].

ثم اصطلحا، وأمن عبـد الملك (الأشدق)، ثـم ما لبث أن غدر بـه فقتله سنـة (69 هـ)[4] وتقاتلا أبناء البيت الواحد،واستمر الصراع داخل البيت المرواني، وما فعله الوليد بن يزيد المعروف بالناقص من المجون والعبث، مما أدى إلى سخط القبائل اليمانية عليه، لما فعله بخالد القسري وآله، وظل الصراع بينهما حتى عهد مروان بن محمد، مما أطمع فيهم الخصوم، ولاسيما أنصار بني العباس، الذين اختاروا خراسان مقراً لدعوتهم السياسية، إذ استغلوا انشغال الخليفة مروان بن محمد

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،5/ 111.

2- النص، الخطابة السياسية في العصر الأموي في عصر بني أمية، ص:26-27.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 596- 597، انظر: حمـادة، الوثـائق الـسياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:287.

4- حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي،، ص: 29 -30 .

وولاته بحرب الثائرين عليهم في الشام والعراق، وكان عرب خراسان مشغولين بالفتنة القبلية التي كان يتزعمها الكرماني من جهة، وهو رأس اليمانية، ونصر بن سيار والي مروان وزعيم مضر من جهة أخرى فمن وقتها بدأ أبو مسلم الخراساني حملته على خراسان وتواصلت انتصاراته، فظل نصر ابن سيار يرسل إلى عمر بن هبيرة والي العراق المدد والنجدة، وإلى مروان بن محمد، وينذرهما الخطر الداهم، ويحثهما بشعره على تدارك الأمر قبل فواته، فقال[1]:

فَقُلتُ مِن التعجبِ ليتَ شِعري   أأيقاظٌ أُميةُ أم نيام

وكذلك ظل يناشد العرب المختصمين في خراسان، بقوله [2] :

أبلغْ ربيعةَ في مروٍ وإخوتِهم   فليغضبوا قبلَ أن لا ينفعَ الغضب

وهكذا، كانت نداءات نصر بن سيار التي لم تجد لها عوناً حتى كانت موقعة الزاب الفاصلة سنة (132هـ)، التي قضي فيها على دولة بني أمية في المشرق.

6- طلب البيعة ليزيد بن معاوية:

ويستدل على طلب البيعة ليزيد بن معاوية كسياسة ثابتة اتبعها معاوية في توريث الحكم، ولما تمت البيعة ليزيد أجلسه بقبة حمراء وسماه سيد المسلمين[3]، حيث طلب معاوية من عمرو بن سعيد الأشدق أن يخطب في الناس، وقال له : قُم يا أبا أمية، فقام فحمد ا ، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد:" فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونَه وأجلٌ تأمنونَه. إن استُضعِفتُم إلى حِلْمِهِ وسِعكُم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشَدكُم، وإن افتقرتُم إلى ذات يده أغناكم، جذع قارحٍ سوبِقَ فَسبق، وموجِد فمجد

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 478، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 31 .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 478.

3- الآبي، أبو سعيد، منصور بن الحسين،(ت422ه)، نثر الدر، تحقيق: محمد علي قرنة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1980م، 5 / 59 .

وتُورع فخرج، فهو خافُ أمير المؤمنين ولا خاف له، فقال معاوية: أوسعتَ يا أبا أميةَ، فَأجلسه " [1].

7- الحروب القبلية والعصبيات:

عادت الخصومات القبلية إلى الظهور بصورة أقوى وأشد، وارتبط النزاع القبلي في هذا العصر بالأحداث السياسية تارة، والدينية تارة أخرى، ولما استوطن العرب الأقطار المفتوحة كخراسان والأندلس حملوا معهم عصبياتهم وأحقادهم القبلية، على معرفة ودراية وتشجيع من بعض خلفاء بني أمية وولاتهم إلا زياد بن أبيه فكان محايداً من جميع القبائل، حيث كانت المصلحة السياسية تقتضي ذلك[2]، ولما ولي أسد القسري على خراسان وتعصب لليمانية ضد القيسية فخطب يوماً، فقال:"قبّح ا ُ هذه الوجوه، وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغبِ والفسادِ. اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطني، وقل ما يروم ما قبلي أو يترمم، وأمير المؤمنين خالي، وخالد بن عبدا أخي، ومعي اثنا عشر ألفَ سيفٍ يماني". [3]

وكذلك كان الشعراء المتعصبون لقبائلهم يعملون بشعرهم على تأجيج نار العداوة القبلية، وإغراء القبائل بعضها ببعض، ليدب الخلاف والقتال في كل أرجاء الدولة الأموية، حيث تجلت فيها مظاهر الوحشية والقسوة مما أوهن العرب، وأدى إلى سقوط دولة الخلافة.

8- الفتوح في الشرق والغرب:

لم تنقطع الفتوحات في العهد الأموي، وامتد السلطان الإسلامي في كل الجهات، وهذه الفتوحات تحتاج إلى الخطابة والبيان لحث الجند والمقاتلة على الجهاد والتضحية.

1- الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد ا بن مسلم، (ت276ه)، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 95/1، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:135.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 32، 37 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 392/5

فلذا، استطاعت دولة الخلافة الأموية أن تمد حركة الفتوح شرقاً حتى بـلاد السند، ووطئت خيولهم بلاد الروم، والأندلس حتى جبال القنال الإفرنجي، فبدأت تلك الفتوحات بمتابعة وتخطيط من الخلفاء والولاة والقادة، من أمثال قتيبـة بـن مـسلم الباهلي أمير فتوحات الشرق الذي قال في خطبة له في الجيش الذاهب إلى حـرب السغد: "إن ا قد فتح لكم هذه البلدة في وقتِ الغزو فيه ممكن، وهذِهِ السغد شـاغرةٌ بِرِجلِها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، ومنعونا ما كنا صالحنا عليـه (طرخـون) وصنعوا به ما بلغكم، من قـول ا تعـالى: "(ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)[1]"، فسيروا على بركة ا ، فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنـضير وقُريظـة، وقال ا : "(وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)"[2]، وقد مدحه الشاعر كعب الأشقري لكثرة فتوحاته وانتصاراته، يقول [3]:

كُل يومٍ يحوي قُتيبةُ نـهباً ... ويزيد الأموالَ مـالاً جـديداً

باهلي قد أُلبس التاج حتّـى ... شَاب منه مفَـارقٌ كُن سودا

دوخ السغْد بالكتـائبِ حـتى ... ترك السغْد بالـعراءِ قُعـودا

وفي ولاية نصر بن سيار غزا بلاد ما وراء النهر، وقبله كان فاتح بلاد السند محمد بن القاسم الثقفي صهر الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن مصر وجه الأمويـون أنظارهم نحو إفريقية والمغرب، واستطاع عقبة بن نافع أن يبتني مدينـة القيـروان كقاعدة لحملاته العسكرية التي وصلت إلى المحيط الأطلسي وتابع المـسيرة بعـده حسان ابن النعمان الغساني الذي تمكن من إخضاع البربر وطرد البيـزنطيين مـن قرطاجنة، وفي ولاية موسى بن نصير أصبحت إفريقية ولاية مستقلة عن مـصر، واستطاع أن يخضع شمال إفريقية كله للحكم الإسلامي وهذا ما يظهر في خطبته في ذات الجماجم من مدن شمالي إفريقية، فقال: "إن أمير المؤمنين رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثَغْرِكُم ووجهه أميراً عليكم؛ وإنما الرجل في الناس بمـا أظهـر،

1- سورة الفتح، الآية :10 .

2- سورة الفتح، الآية : 21 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 248/5، 255 .

والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر، فلما قدم حسان بن النعمان على عبـد العزيـز – أكرمه ا – كفر النعمةَ وضيع الشكر ونازع الأمر أهلُه فَغير ا مـا بـه، وإنمـا الأمير – أصلحه ا – صِنْو أمير المؤمنين وشريكه، ومن لا يهتم في عزمه ورأيه، وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم، ولم يألُ أن أجهد نفسه في الاختيار لكم، وإنما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنةً فليحمد ا ، وليحض على مثلها، ومـن رأى مني سيئة فلينكرها، فإني أخطئُ كما تُخطئون، وأصيب كما تصيبون، وقد أمر الأمير – أكرمه ا – لكم بعطاياكم وتضعيفُها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً، ومن كانت له حاجةٌ فَلْيرفَعها إلينا، وله عليـنا قضاؤها على ما عز وهان مـع المواسـاة إن شاء ا ، ولا حول ولا قوة إلا با "[1].

ثم بعث مولاه طارق بن زياد فوصل إلـى شـبه الجزيـرة الإيبيريـة سـنة (92هـ)، وتمكن من اجتياز البحر، وخطب خطبته المشهورة في حث جنده علـى مواصلة الفتح الذي حشده لمحاربة ملكها (لوذريق):"أيها الناس: أين المفر؟ البحـر من ورائِكم، والعدو من أمامِكم، وليس لكم وا إلا الصدق والصبر. وأعلموا أنكـم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئامِ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشهِ فـي أسلحتِهِ، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقـوات لكـم إلا مـا تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتراقكم ولم تنجزوا لكـم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم. فادفعوا عـن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بـالموت. وإنـي لـم أحذركم أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاعٍ فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفَهِ الألذ طويلاً. فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه

1- الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد ا بن مسلم،(ت276ه)، كتاب: الإمامـة والـسياسية مكتبة ومطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ط2، 1957م، 2 /98 – 99، انظر: حمادة، الوثائق السياسية العائدة للعصر الأموي، ص:290.

الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجـان والحلـل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليـد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عِزباناً واختاركم لملـوك هـذه الجزيـرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجادلة الأبطـال والفرسـان ليكون حظكم منه ثواب ا على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيـرة وليكـون نعيمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. وا تعالى ولـى أنجـادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين، واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليـه؛ وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم(لوذريق) فقاتله إن شاء ا تعالى، فاحملوا معي؛ فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعـوزكم بطـل عاقـل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني فـي عزيمتـي هـذه واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا المهم من فتح هـذه الجزيـرة بقتلـه فـإنهم بعـده مخذولون" [1]، فمكنهم ا تعالى من ضم الأندلس إلـى حاضـرة دولـة الخلافـة الأموية.[2]

تلك هي أبرز الأحداث السياسية التي جرت في العهد الأموي، والتي كان لها أكبر الأثر في خطابة ذلك العصر، ومنها يتضح أن الطابع السياسي كان هو الغالب على الخطابة الأموية التي لعبت دوراً بارزاً في استمالة الأنصار، أو فـي الحـض على القتال والترغيب في الجهاد.

7.1 أنواع الخطابة، وتشمل:

1.7.1 الخطابة السياسية- موضوعاتها، وأقسامها، وأنواعها:

العصر الأموي هو العصر الذي تألقت فيه الخطابة العربية عامة، والسياسية خاصة، وبلغت فيه غاية بعيدة من الرقي والازدهار، وتألق نجم طائفة من خطبـاء العرب المفوهين، ومنهم ولاة العصر من أمثال: زياد بن أبيه، وعبيد ا بن زيـاد، وعتبة بن أبي سفيان، و(الأشدق)، والحجاج، وقتيبة بن مسلم، وغيـرهم، وكانـت

1- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،1/ 225- 226.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 40 -41 .

الأحداث السياسية التي حفل بها العصر الأموي أبرز العوامل التي تأثرت بها حيـاة الفن الخطابي، إذ يسجل تاريخ العصر الأموي صراعاً متصلاً بين الفرق والأحزاب المختلفة ومدار هذا الصراع على الخلافة، ففي سبيل الظفر بها تصارعت الأحزاب والفرق المذهبية صراعاً حربياً ولسانياً لم تهدأ ثائرته طوال هـذا العـصر، وكـان النزاع القبلي صورة أخرى من صور هذا النزاع السياسي، الذي انضمت إليه كذلك عصبية الأمم التي غلبت على أمرها حركة الفتوحات الإسلامية.

بيد أن الصراع بن العرب والأعاجم لم يتخذ في هذا العصر صورة واضـحة وجلية لغلبة النزعة العربية عند بني أمية، وبطشهم بالموالي واضطهادهم إياهم.

أنواع الخطابة السياسية:

للخطابة أغراض سياسية واجتماعية ودينيـة وحربيـة، وحفليـة، ووعظيـة، وتختلف باختلاف دواعيها، وما تومئ به الحوادث المفاجئة والمناسـبات الكثيـرة، ولهذا كان الخطباء يستخدمون الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة، ويستعملون المنثور والمرسل في خطبهم، لإثارة العزائم واستنهاض الهمم،**أما أنواعها**، فيمكن إجمالهـا بالآتي :

أولاً: الخطب السياسية الخالصة:

ثمة أفكار نجدها تترد في جل خطب الأمويين وأنصارهم، ونجـد مـع ذلـك اختلافاً بين أفكار كل من هؤلاء الخطباء، مرجعه إلى شخصية الخطيب، وإلى مـا يلقاه من تأييد الأنصار وعداوة المعارضين، وإلى مناسبة الخطبة، كطوابع ومؤثرات وظواهر مشتركة شاعت في أدبهم النثري والشعري، وأبرز الأفكار والطوابع الفنية والموضوعية التي نجد خطباء الحزب الأموي **يتكئون عليها، هي**:

1- الاحتجاج لحق بني أمية في الخلافة:

كان بنو أمية يرون أنهم حكام المسلمين الشرعيون الذين انعقد علـيهم إجمـاع الأمة لكنهم كانوا لا يجهلون مع ذلك أنهم ظفروا بالخلافة عن طريق القوة والحيلـة والمغالطة، لانتزاع حقهم من الطامعين فيه، اقرأ مثلاً خطبة عمرو بن سعيد الأشدق

في أثناء ولايته لمكة، يقول:" ثم شَرَج[1] أمر بين أمرين، فَقَتَلْنا وقُتِلْنا، فـوا ـ مـا نَزعنَا وما نُزِع عنا حتى شرب الدم دماً، وأكلَ اللحم لحماً، وقَرع العظـم عظمـاً، وعاد الحرام حلالاً، وأُسكِتَ عن كل ذي حس عن ضربِ مهندٍ، عركاً عركاً، وعسفاً عسفاً ووخْزاً ونَهساً، حتى طابوا عن حقنا نفساً[2].

فالحق لديهم يعتمد على القوة، وربما زعموا أحياناً أن سلطانهم مستمد مـن ا تعالى، فنجد ذلك في خطبة زياد (البتراء)، يقول: "يا أيها الناس، إنا أصـبحنا لكـم ساسةً، وعنكم ذادةً، نسوسكم بسلطان ا الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيءِ ا الـذي خولنا"[3].

بيد أن خطباء بني أمية من الولاة لم يلحوا على هذه الناحية، وإنما تعرض لها أنصارها من الشعراء الذين يباح لهم من الجنوح إلى النفاق والمبالغة مالا يباح مثله للخطباء، وفي أحيان قليلة كان الخطباء الولاة يتعرضون لمـسألة ولايـة العهـد، وتوارث الملك في البيت الأموي، وأخذ البيعة ليزيد بين مؤيد ومعارض ومـداهن، تحت لافتة "حقناً " لدماء المسلمين كما أرادها معاوية بن أبي سفيان وربمـا جـاء أدبهم في هذه المسألة بشكل مناظرات ومحاورات أكثر من خطـب، ولمـا ولـى معاوية زياداً البصرة سنة (45هـ)، فقدمها والفسق بها ظاهر فاشٍ وكثير، فجمـع الناس في الجامع الأعظم وخطبهم خطبته البتراء التي لم يصل فيها علـى النبـي، وقيل بل قال:" الحمد على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمـه وإكرامـهِ، اللهم كما زدتَنا نعماً فألهمنا شُكراً، أما بعد:" فإن الجهالةَ الجهلاء والضلالةَ العمياء، والغي الموفي بأهلهِ على النار ما فيه سفهاؤُكم ويشتملُ عليه حلماؤكم مـن الأمـور العظام ينبتُ فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتـاب ا ولـم تسمعوا ما أعد من الثواب الكريم لأهل طاعتهِ، والعذابِ الأليم لأهل معـصيتهِ فـي

1- شرج: فرق .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد،133/4، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بنـي أميـة ص:91-92.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 4/ 81، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 92 .

الزمن السرمدي الذي لا يزولُ؟ أتكونون كمن طَرَفَتْ عينُه الدنيا، وسدتْ مـسامِعه الشهوات واختار الفانيةَ على الباقيةِ، ولا تذكرون أنكم أحدثتُم في الإسلام الذي لـم تسبقوا إليه من تَركِكُم الضعيفَ يقْهر ويؤخَذُ ماله، وهـذه المـواخير[1] المنـصوبةَ والضعيفةَ والمسلوبةَ في النهار المبصِر والعدد غير قليلٍ ؟ ألم تكن منكم نُهاةٌ تمنَـع الغواةَ عن دلَجِ الليل، وغارةِ النهار؟ قربتُم القرابةَ وباعدتُم الدين؛ تعتـذرون بغيـر العذر وتغضون على المخْتَلِسِ. أليس كل امرئ منكم يذب عن سيفه؟ صنع مـن لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً، ما أنتم بالحلماءِ ولقد اتبعتُم السفهاء. فلم يزلْ بكم مـا ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلامِ ثم أَطْرقوا وراءكم كُنوسـاً فـي كُنَسِ الريبِ[2]،حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً،إني رأيتُ آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلُح به أولُه: لِين في غير ضعفٍ وشدةٌ من غير عنْفٍ، وإني ُأقْسِم با لآخُذنَ الولي بالمولى[3]، والمقيم بالظـاعن[4]، والمقبـلَ بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه، فيقول: (انج سعد فقد هلك سعيد) [5]، أو تستقيم لي قناتُكم، إن كذبـة المنبـر بلقاء مشهورةٌ، فإذا تعلقتم علي بكذبةٍ فقد حلت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها منـي فاغتمزوها في، واعلموا أن عندي أمثالها. من بيتَ منكم عليه فأنا ضامن لِما ذَهـب منه، فأياي ودلَج الليل، فإني لا أوتِى بِمدلِجٍ إلا سفكتُ دمه، وقد أجلتكم فـي ذلـك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة، ويرجع إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية، فـإني لا آخـذ داعياً بها إلا قطعتُ لسانَه، وقد أحدثتم أحداثاً وقد أحدثنا لكل ذنبٍ عقوبةً. من غَرقَ قوماً غرقْناه، ومن أحرقَ قوماً أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً

1- المواخير: جمع ماخور، ويعني مجالس الريبة، ومجمع أهل الفسق والفساد .

2- كنس: إذا دخل مسكنه وتوارى فيه، والأصل كنس الظبي إذا دخل كناسه في الشجر .

3- المولى: الصاحب والشريك والجار والقريب .

4- الضاعن: السائر والمرتحل .

5- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، (ت518ه)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة: عيسى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، القـاهرة، ط1، 1979م، 1/ 351 .

دفناه فيه حياً، فكفوا أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تُظْهر على أحـد منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربتُ عنُقَه، وقد كانت بيني وبـين أقـوام إحن[1]، فجعلت ذلك دبر أُذُني، وتحتَ قدمي، فمن كان منكم محسِناً فليزدد إحساناً، ومن كان منكم مسيئاً فلينْزع عن إساءته، إني وا لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له ستراً حتى يبدِي لي صفحتَه، فإذا فعـل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم وارعوا على أنفسكم فَرب مسوءٍ بقدومنا سيـسر، ومسرورٍ بقدومنا سيبتئس، أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادةً نَسوسكم بسلطان ا الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء ا الذي خَولنا، فلنـا علـيكم الـسمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدلُ والإنصافُ فيما ولينا فاستوجِبوا عدلنا وفَيأنا بمناصحتِكم لنا". [2]

2- مطالبة الرعية بالطاعة:

بعد أن نال بنو أمية الخلافة طوعاً وكرهاً، وأصبح لحكمهم طابعـه الـشرعي بمبايعة المسلمين لهم، فحينها وجب على الرعية الطاعة لحكامهم من خلفاء وأمـراء وولاة، فكانت خطبهم تنصب على المطالبة بالطاعة، والتحذير من الخروج والفتنـة والمعصية، لقاء العدل من الراعي لرعيته، وهذه الفكرة كانت تتكرر فـي خطـبهم، فنجدها في خطبة عتبة بن أبي سفيان، بمصر، يقول: "عليكم السمع والطاعة ولكـم علينا العدل، فأينا غدر فلا ذمةَ له عند صاحبه"[3]، على أننا نجدهم أحيانـاً يكتفـون بطلب الطاعة دون أن يوجبوا على أنفسهم أية التزامات للرعية، وإنمـا يطـالبونهم بالخضوع المطلق أو إعمال السيف في الرقاب، شأن ذلك جل خطب الحجاج، ومنه أيضاً قول لخالد القسري من خطبة له بمكة: "فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإياكم

1- إحن: جمع إحنة، تعني (الحقد) .

2- الجاحظ، البيان والتبيين 2/ 47، انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 217/5، انظـر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 200، انظـر: حمـادة، الوثـائق الـسياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:113- 115.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 140، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أميـة، ص: 93 .

والشبهاتِ، فإني وا   ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا أصلبتُه في الحرم"[1]، وقال خالد القسري لما ولاه الوليد مكة المكرمة: " فانظروا من تُنْزل ـون فـي منـازلكم، وعليكم بالجماعة والطاعة فإن الفُرقَةَ هي البلاء العظيم".[2]

ومن النماذج الخطابية الأخرى خطبة لزياد لما قدم الكوفة والياً عليها، فـصعد المنبر، فحمد ا ، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: "فإنا قد جربنـا وجربنـا، وسـسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخِره، إلا بما صلُح به أولُه بالطاعـة اللينة المشبه سرها بعلانيتها، وغَيبها بشاهدتها وقلوبهم بألسنتهم، ووجدنا النـاس لا يصلُحهم إلا اللين في غير ضعف، وشدةٍ في غير عنف ".[3]

كان نصر بن سيار يخطب في أهل خراسان فطالبه الناس بعطائهم الذي حرمهم منه، فقال: "إياي والمعصيةَ، وعليكم بالطاعة، والجماعة فـاتقوا ا   واسـمعوا مـا تُوعظون به، فطالَبه أهلُ العطاء بالأعطيات، ووثب أهل السوق إلى سوقهم فغضب نصر بن سيار، وقال: ما لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا، ثم قال: كـأني بالرجـل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه، فلطم وجهه في جملٍ يهدى له بثوبٍ يكساه".[4]

3- بيان خطة الحكم:

يعمد الوالي إلى تقديم بيان خطة حكمه وإيضاحها للناس في مـستهل ولايتـه، وهي خطة للحكم والمبادئ التي سيتخذها شعاراً له، والخطبة (البتراء) خير ما يمثل لناهذا اللون من خطب الولاة، وفيها يعلن زياد بـن أبيـه لأهـل البـصرة خطتـه

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 141 . انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أميـة، ص: 93 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،5 / 243- 244، انظر: حمادة، الوثائق السياسية العائـدة للعصر الأموي، ص:393.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 /189- 190، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:117-118.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 584- 585.

وسياسته، فيقول: "إني رأيت آخِر هذا الأمر لا يصلُح إلا بما صلح به أولُه: لِين في غير ضعف، وشدةٌ في غير جبريةٍ وعنف"[(1)].

وفي الغالب نجد خطة الوالي متفقةً وشخصيته، فهي تصور لنا أسلوبه في الحكم، كما تعكس لنا نفسيته وسلوكه وطريقة تفكيره، فكان حريصاً على إبراز سياسة الحكم في إطارٍ مغْرٍ يجتذب القلوب، حيث يعدون الرعية بالعدل وحسن السيرة، وعدم تأخير العطاء، وعدم تجمير البعوث، واستيحاء كتاب ا وسنة نبيه في أحكامهم، وهذه الأفكار نجدها في خطبة زياد (البتراء).كما نلمسها عند الولاة جميعاً، وكما حاول المغيرة جاهداً الوقوف إلى جانب معاوية بن أبي سفيان، لإبراز دوره في سياسية الدولة وشؤونها، فولّاه الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين هجرية، وقد بين المغيرة سياسته التي سوف يتعامل بها مع أهالي الكوفة، والأسلوب الذي سينتهجه معهم، فتحدث، قائلاً: "لا ُأحِب أن أبتدئ أهل المِصر بقتل خيارهم ووجوههم، فيسعدوا وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا، ويذل المغيرة في الآخرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وواعظُ سفيههم، حتى يفْرقَ الموتُ بيني وبينهم". [(2)]

وهو بهذا البيان السياسي ضمن طاعة أهل الكوفة، ولكن ثورات الخوارج أرقت مضاجع المغيرة، ولما هم معاوية عزله عن ولاية الكوفة، أخذ يفكر بمخرج، ففي عام (49هـ /669م) توجه المغيرة إلى معاوية، وقال "يا أمير المؤمنين إن الأنفس يغدى عليها ويراح، فلو نصبتَ لنا علماً تصير الأمور إليه،مع أنني قد دعوتُ أهلَ العراق إلى يزيد فركنوا إليه حتى جاءني كتابك"[(3)]، فقال معاوية:"يا أبا محمد

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص :94 .

2-البلاذري، أحمد بن يحيى، بن جابر،(ت279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1979م، ق4، 1 / 244 .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/82-84،انظر: الهزايمة، نوال عباس، المغيرة بن شعبة الثقفي، (20ق.هـ - 50هـ/603م- 670م) رسالة ماجستير، كلية الآداب – قسم التاريخ، جامعة اليرموك، 1988م، ص:101.

انصرفْ إلى عملك، فاحكم هذا الأمر لابن أخيك"[1]، ومن النماذج الأخرى خطبة زياد، إذ يقول: "إن أعظم الناس كذباً أمير يقف على المنبر، وتحته مائة ألف من الناس فيكذبهم، وإني وا   لا أعدكم أجراً إلا أنجزتُه، ولا أعاقبكم حتى أتقدم إليكم"[2].

وخطب النعمان بن بشير الأنصاري، والي يزيد على الكوفة لما بلغه مكان مسلم ابن عقيل في الكوفة، قال بعدما حمد ا ،وأثنى عليه، أما بعد: "فاتقوا ا عباد ا ولا تسارعوا إلى الفتنةِ والفُرقَةِ، فإن فيهما يهلَك الرجال وتُسفَك الدماء، وتُغْصب الأموالُ، ثم قال: إني لا أقاتلُ من لا يقاتلُني، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أُشاتِمكُم، ولا أتحرشُ بكم، ولا آخذُكم بالظنةِ ولا التهمةِ، ولكنكم إن أبديتُم صفحتُكم لي ونكثتم بيعتكُم وخالفتم إمامكم، فوا الذي لا إله غيره،لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يردِيه[3] الباطلُ ". [4]

4- التهديد والوعيد:

عمد الخطباء الولاة من الحزب الأموي في خطبهم إلى تهديد من تحدثه نفسه بالثورة والعصيان من جل أهل الأمصار والأحزاب المناوئة لحكمهم، وأخذوا يتوعدونهم بالنكال وسوء المصير، وينفرون القوم من الفتن، ويحذرونهم مغبتها، ففي خطبة عتبة بن أبي سفيان بيان لذلك التهديد و الوعيد، يقول:" يا أهل مصر إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً"[5]، ويصطنع زياد بن أبيه الأسلوب ذاته في خطبته البتراء،

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 84/1، انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: 243.

2- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص:235.

3- يرديه: يهلكه .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 355.

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد،137/44، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:95.

فيختمها بقوله:"وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرةً، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي"[1].

وتكاد خطب الحجاج تجمع في أثنائها كل ألوان القسوة والتهديد والوعيد، يقول: "من أعياه داؤه فعلي دواؤه، ومن استبطأ أجلُه فعلي أن أعجلَه، ومن استثقل رأسه وضعتُ عنه ثِقَلَه، ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقيه. إن للشيطان طيفاً، وإن للسلطان سيفاً فمن سقمت سريرتُه صحت عقوبته، ومن وضعه ذَنْبُه رفعه صلْبه، ومن لم تسعه العافية لم تَضِقْ عليه الهلكة، ومن سبقتْه بادرةُ فمه سبق بدنَه سفك دمِه. إني لأنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لا عذر به، وأتوعد ثم لا أغفر. وإنما أفسدكم ترقيق ولاتكم. ومن استرخى لَببه ساء أدبه. إن الحزم والعزم سلباني سوطي سيفي، فقائمه في يدي، ونجاده في عنقي قلادةٌ لمن عصاني، والله لا آمر أحداً أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنُقَه"[2]، ومثلها خطبة عبيد الله ابن زياد في البصرة لما ولاه يزيد ولاية الكوفة، فقال: "فإياكم والخلافَ والإرجاف، فوالله الذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل فيكم خالفَ أو أرجف لأقتُلنه ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى والبريء بالسقيم حتى تستقيموا وقد أعذر من أنذر"[3]، وكذلك خطبة لعتبة في أهل مصر لما بلغه عن أهلها شيء أغضبه، فقام فيهم خطيباً، فقال بعدما حمد الله، وأثنى عليه: "يا أهل مصر: إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً فإن لله فيكم ذبيحاً بعثمان، أرجو أن يوليني الله نَسكه، إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقة، فأعطى كل ذي حق حقه، وكان، والله إذا ذكر بخطة، وأصفحكُم بعد المقدرة عن حقه، نعمةَ من الله فيكم، ومنةً منه عليكم، وقد بلغنا عنكم نَجم قولٍ أظهره تقدم عفو منا، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق بعد إثارة الفتن وإماتة السنن فأطأكم – والله – وطأة لا رمق معها، حتى

1- الجاحظ، البيان والتبيين،61/2، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:95.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،1/ 226.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،266/4 – 267 .

تنكروا مني ما كنتم تعرفون، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون، وأنا أشهد عليكم الـذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"[1].

وتشتمل خطب الحجاج على الوعيد والتهديد، ولعله أكثر خطبـاء بنـي أميـة اعتماداً على هذا النهج، وربما أتى به في قالب تصويري ليكون أبلـغ تـأثيراً فـي نفوس سامعيه، يقول:" إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافُها، وإني لـصاحبها، وكأني انظر إلى الدماء بين العمائم واللحى"[2]، وهذا التهديد منصب فقط على مـن يجاهرون بمعارضتهم لبني أمية قولاً وفعلاً.

5- تحدي الأعداء وشتم المعارضين:

كان الولاة في خطبهم لا يتورعون عن شتم مناهضيهم أقبح شـتم، وإلـصاق النعوت والصفات والألقاب المستقبحة بهم، وتحقيرهم، والاستخفاف بهم، وأكثر مـا نجد ذلك في خطب الحجاج وعتبة بن أبي سفيان، ولا تكاد تخلو خطبة لهمـا مـن الشتم والتحدي والازدراء للمعارضين والخارجين عليهم، فإذا خاطب عتبة بن أبـي سفيان أهل مصر، صبّ في أسماعهم شتائمه، قائلاً لهم:"يا حاملي ألأم أُنُوفٍ ركبتْ بين أعينٍ"[3].

وإذا خاطب الحجاج أهل العراق نجده يلصق بهم أقبح الأوصاف، يقول:" يـا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعـة[4]، وعبيـد العصا، وأولاد الإماء"(5).

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4 /137 .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4\122 انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بنـي أميـة، ص:95.

3- المبرد، الكامل في اللغة والأب، 110/4 .

4- اللكيعة: الأمة اللئيمة .

5- الجاحظ، البيان والتبيين، 2\137، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بنـي أميـة، ص:96.

6- الفخر والمباهاة والاعتداد بالقوة:

كانت خطب الولاة تفسح المجال لظهور روح التفـاخر والتعـالي، وإظهـار الحزب الأموي بمظهر الحزب القوي الصعب الذي يبطش بعدوه بلا هوادة، فكانـت الغاية من هذه الخطب إذن إرهاب المعارضين والخارجين على الحكـم والقـانون، وحمل الناس على الإذعان المطلق لسلطان بني أمية، وتمثل ذلك في خطبة لعمـرو ابن سعيد الأشدق، إذ يقول:" فقد وا ملكناكم بالشباب المقْتَبِل، البعيدِ الأمل، الطويل الأجل، حين فرغ من الصغر، ودخل في الكبر،حليم حديد لين شديد، رقيق كثيـف، رفيق عنيف، حين اشتد عظمه، واعتدل جسمه، ورمى الدهر ببـصره، واسـتقبله بأشره، فهو إن عض نهس، وإن سطا فرس[1]، لا يقَلْقَلُ له بالحصى، ولا تُقْرع لـه العصا، ولا يمشي السمه[2] "[3]. فنجده في خطبته هذه يفخر بالشباب والقوة، ومـن باب الفخر والمباهاة والاعتزاز بالقوة، ما قاله الضحاك ابن قيس حين تهـدد أهـل الكوفة، وفخر عليهم بقوته وغزواته، " أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكـم، فكنت أول من غزاها في الإسلام،وشرب من ماء الثعلبية ومـن شـاطئ الفـرات، أعاقب من شئت، وأعفو عمن شئت، لقد ذعرت المخَدراتِ في خدورهن، وإن كانت المرأة ليبكي ابنُها فلا ترهبه، ولا تُسكِتْه إلا بذكر اسمي"[4].

وكذلك تظهر المباهاة في خطبة الأشدق في مكة لما استعمله أبوه والي المدينـة والياً عليها، فقام فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد، معشر أهـل مكـة: فإنـا سكناها حِقبةً وخرجنا منها رغبةً، ولذلك كنا إذا رفعتْ لنا لُهوةٌ بعـد لهـوة أخـذنا أسناها، ونزلنا أعلاها، ثم شدخ أمر بين أمرين، فقتلنا وقتلنا، فوا ما نزعنـا ومـا نزع عنا، حتى شرب الدم دماً، وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً. فولي رسـول

1- فرس: أي دق العنق .

2- السمهي: الباطل والكذب .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 132/4، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أميـة، ص: 97 .

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،155/1، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 98.

الله – صلى الله عليه وسلم - برسالة الله إياه واختياره له، ثم ولي أبو بكر لـسابقته وفضله، ثم ولي عمر، ثم أُجيلَتْ قِداح نُزعن من شُعبٍ حول نبعـةٍ ففـاز بحظهـا أصلابها، وأعتَقُها فكنا بعض قُداحِها، فجزيناه هذا بهذا وهذا في هذا. يا أهل مكـة: أنفُسكم أنفسكم وسفهاءكم سفاءكم ! فإن معي سوطاً نِكالاً وسيفاً وبالاً، وكلٌّ مصبوب على أهله" [1].

7- استغلال مقتل عثمان بن عفان – رضي الله عنه-

كان مقتل الخليفة الثالث عثمان، من بعض وجوه الحـزب الأمـوي، ورقـة راجحة في أيديهم، يلوحون بها في اللحظة المناسبة، متخذين تلك الحادثـة ذريعـة للانتقام ممن كانوا السبب في مقتله، وقد جعل عمرو بن سعيد الأشدق فـي خطبتـه بأهل المدينة، وبلهجة عنيفة ليوضح لهم انطواء نفوس بني أمية على الكـره الـدائم لهم، فقال خاطباً فيهم:" أغركُم أنكم قتلتم عثمان، فوافقتم ثائرنا [2]منـا رفقـاً فنـي غضبه، وبقي حِلْمه" [3]، قدم عمرو بن سعيد المدينة أميرا فخرج إلى منبر رسـول الله - صلى الله عليه وسلم- فقعد عليه وأغمض عينيه، ثم فتحها بعد برهـة فـإذا الناس ينظرون إليه فقال:" ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلـي أبـصاركم كـأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟.[4]

8- موقف - زياد بن أبيه- من البيعة لمعاوية:

كان زياد كاتباً في زمن الخليفة الإمام علي بن أبي طالب، ثم تولى إمرة فارس، وتمكن من عمارتها، وأحسن إلى أهلها وقربهم منه، وبعد عقد الصلح مـع الحـسن كتب معاوية إلى زياد بن أبيه يتهدده، فتحصن زياد بقلعة من قلاع بـلاد فـارس، سميت بقلعة زياد، فأخذ يتربص ويدبر الحيل ضد معاوية، فتطوع المغيرة بن شعبة

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ـ 133-134، انظر: حمادة، الوثائق الـسياسية والإداريـة العائدة للعصر الأموي، ص:124- 125 .

2- ثائرنا: الأخذ بالثأر والمطالبة به .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4\132، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أميـة، ص:99.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4 / 132-133.

بالذهاب إليه، وأقنعه بالعدول عن مناهضة معاوية بعد بيعة الحسن بن علي بن أبي طالب له، وقال له المغيرة: "أرى أن تصل حبلك بحبله، وتشخص إليه" [1]، فوافـق ومضى إليه حتى صار إلى معاوية في الشام، وضمن له مليوني درهم حصلها مـن خراج فارس، وسمح له أن ينزل الكوفة، ولكن تحت الإقامة الجبرية، ولكن المغيرة أحسن إلى زياد وعامله معاملة طيبة تليق بدهاء الساسة. [2]

كان زياد قد التحق بخدمة علي بن أبي طالب، وقد ولاه فارس فأحكم سياسـتها وضبطها، فلما قتل علي وتنازل الحسن لم يدخل في طاعة معاوية كما فعل غيـره، فأرسل إليه معاوية يتهدده يطالبه بالأموال، فجمع زياد الناس فحمد ا ، وأثنى عليه، ثم قال: "ابن آكلة الأكباد وقاتلةِ أسدِ ا ،ومظْهر الخلاف، ومسر النفـاق، ورئـيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور ا كتب إلي يرعِد ويبرقُ عن سحابة جفْلٍ لا ماء فيها، وعما قليل تصيرها الرياح قزعاً، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبـل المقدرة، أفمن إشفاق على تنذر وتعذر؟ كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب وقعقع لمن ربي بين صواعق تهامة،كيف أرهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول ا – صـلى ا عليه وآله وسلم – وابن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار؟ وا لـو أذن لي فيه أو ندبني إليه لأريته الكواكب نهاراً و لأستطعمته ماء الخردل. [3]

9- مسألة إلحاق – زياد- بنسب أبي سفيان :

وفي سنة (44هـ / 664م) حضر زياد من الكوفة إلى دمشق، ومعه الشهود، فجمع معاوية الناس، وصعد المنبر،[4] وخطب فيهم، فسمع شهادة الشهود، فقام زياد وخطب في الناس، قائلاً: "أيها الناس إن أمير المؤمنين والشهود قد قالوا ما سمعتم ولست أدري ما حق هذا من باطله"[5]، وهكذا أُلحق زياد بنسب أبي سفيان، فصار

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 177 .

2- خريسات، الدولة الأموية – من النهوض إلى السقوط (41- 132هـ ـ/ 661- 750م)، ص: 78- 79 .

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 806 .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 214 .

5- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3 / 16 .

يدعى زياد بن أبي سفيان، ولكي يؤكد معاوية صحة إلحاق زياد، ويربطه في أسرته، فقد زوج ابنته من محمد بن زياد[1]، وزيادةً على ذلك، فقد تباين موقف الناس من مسألة الإلحاق، فهذا عبد الرحمن بن الحكم – أخو مروان – ممن لم يرض من بني أمية عن إلحاق زياد، وقد عبر عن عدم رضاه بأبيات شعرية خاطب بها معاوية، قائلاً : [2]

أتغضب أن يقالَ أبوك عفٌ   وترضى أن يقالَ أبوك زانِ

وأشْهد أن رحمك مِـن زيادٍ   كرحـمِ الفيل مِن ولدِ الأتان

ولما شهد الشهود قام في أعقابهم زياد خطيباً فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال:"هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لي بآخره، وقد قال أمير المؤمنين مـا بلغكـم، وشـهدتْ الشهود بما سمعتم، فالحمد الذي رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضـيعوا. فأما عبيد فإنما هو والد مبرور أو كافلٌ مشكور".[3]

أورد ابن أبي الحديد خطبة أخرى لزياد زعم أنه خطبها لما ورد البصرة والياً، فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال:" أما بعد: فإن معاوية غير مخُوفٍ على قومه، ولم يكن لِيلحِقَ بنسبهِ من ليس منه، وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم، والحق أحق أن يتبع،وقد رحلت عنكم وأنا أعرف صديقي من عدوي، ثم قدمت إليكم وقد صار العدو صـديقاً مناصحاً والصديق عدواً مكاشحاً، فليشتمل كل امرئ على ما في صدره ولا يكـونن لسانُه شفرةً تجري على أوداجه، وليعلم أحدكم، إذا خلا بنفسه، أني قد حملت سـيفي فإن ُأشْهره لم ُأغْمِده، وإن ُأغْمِده لم أشهره" [4].

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 189 .

2- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت255هـ)، كتاب: الحيوان، تحقيق عبـد الـسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبـي، القـاهرة، ط1، 1943م، 1 / 146، انظـر: الأصفهاني، الأغاني، 13 / 266، انظر: الطبري، تاريخ الرسل الملوك، 5 / 320 .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد،3 /113،انظر: المسعودي، مروج الـذهب ومعـادن الجـوهر، 16/3، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص: 112.

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،817/4.

10- مواقف الولاة وسياستهم مع الأحزاب والفرق المناوئة:

تباينت سياسة الولاة مع الشيعة والخوارج، فالمغيرة بن شعبة أطلق لأهل الكوفة عاطفة التشيع، ولكن بالقول لا بالفعل، وتذكر المصادر التاريخية والأدبية أن الشيعة حصبوا المغيرة لما صعد منبر الكوفة، وعلى رأسهم حجر بن عدي، فنزل المغيرة عن المنبر مسرعاً، ودخل دار الإمارة وبعث لحجر بن عدي رأس الشيعة خمسة آلاف درهم ولما سئل عن ذلك، قال: "قتلته"[1]، بمعنى أنه اشتراه بهذه الدراهم، أما سياسته مع الخوارج فكانت القسوة وضرب الأحزاب بعضها بعضاً، وكلف القبائل بأخذ أبنائها من بين صفوف الخوارج، وحرمانهم من العطاء إن لم يقوموا بهذه المهمة وقال لهم: "ليكفني كُل رجل منكم قومه، وإلا فوا لأتحولن عما تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون" [2]، وكذلك اعتمد زياد مبدأ القسوة في التعامل مع الخارجين على السلطة، وتحميل القبائل والأسر المشتركة مع الجناة، معلناً في خطبته في البصرة بأنه: "سيأخذ الولي بالمولى والمقيم بالظاعن" [3]، ومن تدابيره الأمنية، الضرب على أيدي المثيرين للعصبية القبلية، فخطبهم، وقال: "إن أهل البصرة قد قربوا القرابة، وباعدوا الدين " [4]. وحذرهم أيضاً من دعوى الجاهلية، فقال: "إني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانَه" [5]، ومن أجل القضاء على ظاهرة خروج النساء والتحاقهن بصفوف الخوارج، كان زياد بن أبيه يأتي بالخارجية فيقتلها ويعريها، فوضع بذلك حداً لخروجهن، وكن إذا أُرغِمتْ على الخروج قلن لولا التعريةُ لسارعنا[6].

1- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 224، انظر: خريسات، الدولة الأموية - من النهوض إلى السقوط، ص: 94 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 184 .

3- المصدر، السابق، 5 / 218 . [البتراء]، انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 172/4.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،5/ 218 .

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،218/5 .

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،151/1 .

11- مزج السياسة بالوعظ:

لابد من اجتماع الصفتين الدينية والدنيوية في ولاة الأمر، ومن واجب الراعـي إسداء الموعظة لرعيته، سواء في خطب وعظية مستقلة أو تأتي ضـمن الخطـب السياسية، والوعظ في هذه الخطب يدور حول التزهيد في الدنيا الغرور، والترغيب فيما عند ا من الأجر العظيم، ومثال ذلك ما تجلى في صدر خطبة زياد البتراء من تأنيبه لأهل البصرة لسلوكهم سبل الغواية وتنكبهم طرق الهداية والرشـاد، يقـول: "كأنكم لم تقرؤوا كتاب ا ، ولم تسمعوا ما أعد ا من الثواب الكريم لأهل طاعتـه، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول، واختار الفانية على الآخرة" [1]، تلك هي أبرز الأفكار التي تشتمل عليها خطب الحزب الأموي السياسية والتي جاءت منسجمة مع النظام السياسي الذي ساد العصر الأمـوي، وكثيـراً مـا وجدنا في خطابة ولاة بني أمية التأييد المطلق لسلطان الخليفة، وما كانوا يصارحون به رعيتهم من التحدي المسرف، إضافة إلى ما يضمرون لهم من كراهية وبغـض، كما هو صنيع الحجاج في مخاطبته أهل العراق، وعتبة في مخاطبته أهـل مـصر، وقتيبة في مخاطبته أهل خراسان، ولا ينبغي لنا أن نغفل عما تنطوي عليـه بعـض خطب المؤيدين لبني أمية من نفاق ورياء، شأن ما جاء من خطـب ولايـة العهـد والبيعة ليزيد مثلاً، ودوافعهم في ذلك الجاه والمغنم.

وهكذا تبدو في خطاباتهم النزعة السياسية، ويغلب عليها التحرر من الرسـوم الدينية، فيكثر فيها الاستشهاد بالشعر، ويقل الاقتباس من القرآن الكريم، وربما غـلا بعضهم، فترك في أول خطبته، كما فعل زياد بن أبيه في البتراء[2]، وهذا النوع من الخطب السياسية كان يغلب عليه ضخامة اللفظ، وقوة الأسر، والعنف في الخطـاب والمبالغة في التهديد والوعيد، والإسراف في السب والشتم واللعن.

1- صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عـصور العربيـة الزاهـرة – العـصر الأموي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط2،1971م، 2/ 268 ..

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 62/2، 65 .

وتقوم الخطابة السياسية على دعوى الكفايـة والعـدل، والخيـر والإصـلاح، والنهوض والعمران، ولهذا نرى الولاة في خطبهم يدفعون الشر والفساد، ويعملـون للخير، ويحكمون بالعدل.(1)

ثانياً: المناظرات السياسية:

كان ظهور الفرق والأحزاب السياسية في عصر بني أمية داعياً لازدهار لون من الخطابة يعتمد على الجدل وقرع الحجة بالحجة، فضلاً عن المهارة البيانية التي كان يتبارى بها خطباء الأحزاب والفرق السياسية، حول مسألة أحقية الخلافة.

والفكرة الرئيسة التي تدور حولها أغلب المناظرات ما كـان بـين الأحـزاب مجتمعة إلى ادعاء كل منهما أنه أحق بالخلافة من خصمه، وتكاد تخرج من نطاقها إلى الجدل السياسي المحض إلى التهاتر وذكر المثالب والمطاعن والتفاخر بالأحساب والأنساب، فهي لذلك ليست مناظرات سياسية خالصة، وتكاد خطبة المغيرة بن شعبة في الكوفة ورد حجر عليه، مثالاً لهذا اللون.

أقام المغيرة بن شعبة فترة طويلة والياً على الكوفة وهو حـسن الـسيرة لـين العريكة ولكنه كان لا يترك لمن لعن قتلة عثمان والنيل من علي بن أبـي طالـب، فكان حجر ابن عدي إذا سمع ذلك، قال:" بل إياكم فذم ا ولعن، ثم قـام فقـال: إن ا - عز وجل - يقول: "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله" (2)، وأنا أَشهد أن من تـذمون وتعيرون لاحقٌ بالفضل، وإن من تزكون وتطرون أولى بالذم، فقال له المغيرة : يا حِجر: لقد رمي بسهمك إذ كُنْتُ أنا الوالي عليك، يا حجر: ويحك اتق السلطان اتـق غضبه وسطوته فإن غضبةَ السلطان أحياناً مما يهلك أمثالُك.

ولم يزل هذا دأب حجر حتى كان في أواخر إمارته قام المغيرة فقال في علـي وعثمان كما كان يقول، وكان نصها: "اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجـاوز عنـه وأجزه بأحسن عمله فإنه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك – صلى ا عليـه وسـلم – وجمع كلمتَنا وحقن دماءنا وقتل مظلوماً، اللهم فارحم أنصاره، وأوليـاءه ومحبيـه

1- أبو الخشب، الأدب الأموي – صورة رائعة من البيان العربي -، ص: 134 .

2- سورة المائدة، الآية: 9.

والطالبين بدمه، ثم دعا على قتلته، فقام حجر بن عدي فنعر نعرةً بالمغيرة سـمعها كُل من كان في المسجد وخارجاً عنه،وقال : إنك لا تدري بمن تُولَع من هرمك أيها الإنسان، ولنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا شيئاً ".[1]

ثالثاً: المشاورات السياسية:

كانت الأوضاع السياسية لهذا العصر كثيراً ما تدعو إلى عقد مجالس للتشاور وتبادل الآراء حيال الأحداث السياسية التي توجب عقد مثل هـذه المجـالس، التـي تتجلى فيها براعة الخطباء في استمالة الزعماء وأصحاب القرار إلـى الاسـتئناس بآرائهم وأفكارهم حول ما يستجد من أحداث سياسية، فمن مجال المشورة الـسياسية في عصر بني أمية، ما كان في عهد معاوية بن أبي سفيان لما أراد أخذ البيعة لابنه يزيد قبيل وفاته، فاستدعى وفود الأمصار ليستشيرهم في أمر ولاية يزيد، وأوعـز إلى أصحابه أن يخطبوا في تأييد أمر البيعة، وكان من الخطباء آنذاك الضحاك بـن قيس الفهري، وعمرو بن سعيد الأشدق، وغيرهما.

ومن النماذج الخطابية خطبة عبيد ا بن زياد لما اضطرب أمر النـاس بعـد وفاة يزيد وتنازل ابنه حيث قام خطيباً لما بلغه تفرق الناس، فقال بعد أن حمـد ا وأثنى عليه: "يا أهل البصرة: انسبوني فوا لَتَجِدن مهاجر والدي ومولـدي فـيكم وداري، ولقد ولِيتُكم وما أحصي ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألفَ مقاتلٍ، ولقد أحـصي اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصي ديوان عمالكم إلا تـسعين ألفـاً ولقـد أحصي اليوم مائةً وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظِنةٍ أخافُه عليكم إلا وهـو فـي سِجنِكُم هذا. وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وقد توفي، وقد اختلف أهل الـشام، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضه فناء وأغناه عن الناس وأوسعه بلاداً، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راضٍ من رضيتموه وتابع، وما يستغني الناس عنكم "[2].

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 /188-189، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:103 – 104 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 389.

فقامت خطباء البصرة، فقالوا: قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، وإنا وا ما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلم فلنُبايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك، فاختاروا لأنفسكم ولكنهم ألحوا عليه حتى قبل وبايعوه ثم انصرفوا وهم يقولون: لا يظن ابن مرجانة أنا نُستقاد له في الجماعةِ والفرقةِ، كذب وا "[1].

أما خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي في عرب خراسان لما قرر خلع سليمان، فقال:"إني قد جمعتُكم من عين التمر، وفيض البحر، فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فيئكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة، وقد جربتم الولاة قبلي: أتاكم أميةُ فكتب إلى أمير المؤمنين أن خراج خراسان لا يقيم بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد – يعني المهلب بن أبي صفرةَ – فدوم بكم ثلاث سنين وأنتم لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية؟ لم يجب فيئاً ولم ينكأ عدواً. ثم جاءكم بنوه بعده يزيد تُبارى إليه النساء، وإنما خليفتكم يزيد بن ثروان هبنقة بن القيسي"[2]، فلما لم يجبه أحد غضب، وقال: "لا أعز ا من نصرتم، وا لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنَه.يا أهل السافلة ولا أقول العالية، يا أوباش الصدقة جمعتكم كما تُجمع إبلُ الصدقة من كل أوب، يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل : بأي يومكم تفخرون ؟ بيوم حربكم أم بيوم سلمكم ؟ فوا لأنا أعز منكم. يا أهل مسيلمة : يا بني ذميم ولا أقول تميم يا أهل الخور والضعف والغدر كنتم تُسمون بالغدر في الجاهلية كيسان. يا أصحاب سجاحٍ يا معشر عبد القيس القساة تبدلتم بإبر النخل أعنة الخيل، يا معشر الأزد: تبدلتم بقُلوس السفن أعنة الخيل الحصن. إن هذا لبدعةٌ في الإسلام! والأعراب ما الأعراب لعنةُ ا على الأعراب. يا كُناسةَ المصرين، جمعتُكم من منابت الشيح والقيصومِ ومنابت الفلفل تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتكم كما تجمع قُزع الخريف قلتم كيت وكيت. أما وا إني لابن أبيه وأخو أخيه، أما وا لأعصبنكم عصب السلمة، حول الصلبان الزمزمةُ، يا أهل خراسان: هل تدرون من وليكم؟ وليكم يزيد بن ثروان، كأني بأمير مزجاء قد جاءكم فغلبكم على فيئكم وأظلالكم، إن هاهنا ناراً ؛ ارموها ارم معكم ؛

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 90/4 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 91 .

ارموا غرضكم الأقصى. قد استخاف عليكم أبو نافع ذو الودعـات. إن الـشام أب مبرور وإن العراق أب كفور. حتى متى يتبطح أهلُ الشام بأفنيتكم وظلال دياركم؟ يا أهل خراسان : انسبوني تجدوني عراقي الدم عراقي الأب عراقي المولـد عراقـي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية قد فـتح ا لكم البلاد وآمن سبلكم. فالضعينةُ تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز، فاحمـدوا ا على النعمة، وسلوه الشكر والمزيد. (1)

رابعاً: الخطب الحربية، وتتمثل في:

أ- الخطابة (الحماسية):

إذا كانت جميع الخطب هدفها إثارة الحماسة، وإلهاب الشعور والتوجيـه، فقـد كانت الخطبة الحربية تؤدي مهمة الجحفل الزاحف في ترجيح كفة النصر كما ظهر في خطبة القائد طارق بن زياد عند حرق المراكب، وما اتسمت به هـذه الخطبـة وأمثالها من سحر اللغة، وروعة البيان، وشدة أسر البلاغة، وقوة المعاني وحـصافة الرأي، وقوة الجنان. (2)

وكذلك تتمايز الخطب الحربية في طولها وقصرها من خطبة لأخرى بحـسب المناسبة أو الموقف الذي يقرر الخطيب بمقتضاه، كيف تكون خطبته؟ إذ ليس طول الخطبة ولا قصرها هو الذي يحكم بجودتها ونجاحها، يقول الجاحظ: "اعلم أن خطب العرب من أهل المدن والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطـوال، ومنهـا القصار، ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه، ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة، ومتشاكلاً في استواء الصفة، ومنهـا ذوات الفِقَـر الحـسان والنتـف الجياد". (3)

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/91- 92 .

2- سلام، علي محمد، الأدب الأموي في الأندلس وأشهر أعلامه، الدار العربية للنشر، بيروت، (د. ط)، 11989م، ص: 445-447، انظر: الجنابي، تاريخ الخطابـة العربيـة إلـى القرن الثاني الهجري، ص: 24-25 .

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 3 / 7.

إن كتب الأدب والتاريخ حافلة بخطب القادة والساسة، وبخاصة فـي فتـرات الصراع الحزبي، وفترات الفتوح الإسلامية، ولطالما استمد السيف إلى مضائه قـوة من الخطابة تزيده مضاء، وكثير ما لجأ القادة إلى الكلمة يشعلون بها الجنود حماسة والشعب ليجود بالدماء والأموال لإحراز النصر على العدو، وأما الخطيـب القائـد، فيتخير في خطبته الجمل القوية القصار، ويلجأ إلى الخيال كثيراً ليستثير به عظمـة الماضي، والأمل في الحاضر، ويمنيهم بـالفوز والنـصر، وينفـر مـن التخـاذل والإنكسار[1]، لما ولى الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي سجستان، وأمره بمحاربة (رتبيل)، وعند قدوم ابن الأشعث سجستان جمـع أهلهـا، وصـعد منبرها، فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال: "أيها النـاس، إن الأميـر الحجـاج ولانـي ثغركم[2]، وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم[3]، وأباد[4]خياركم[5]، فإياكم أن يتخاف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة. اخرجوا إلى معسكركم فعـسكروا بـه مـع الناس"[6].

وقد جاءت خطبة مسلم بن عقبة المري في الغرض نفسه، حيث أقبلـت خيـل مسلم بن عقبة ورجاله نحو عبدا بن حنظلة الغسيل ورجاله حتى دنوا منه، وركب مسلم بن عقبة فرساً له، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم، ويقول: "يا أهل الشام إنكم لستم أفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها، ولا أكثرها عدداً،ولا أوسعها بلـداً ولم يخصصكم ا بالذي خصكم به من النصر على عدوكم، وحسن المنزلـة عنـد أئمتكم، إلا بطاعتكم واستقامتكم، وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا، فغير

1- الحوفي، فن الخطابة، ص: 114-116.

2- الثغر: الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد .

3- استباح البلد: انتهبه وسبى أهله وبنيهم .

4- أباد: أهلك.

5- الخيار: وهو جمع خير وخير، وهو الفاضل .

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 328/6.

ا بهم فتموا[1] على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة، يتمم ا لكم أحسن ما ينـيلكم من النصر والفَلج" [2] وفي أثناء حصار موسى بن نصير لحـصن مـن حـصون سرقسطة الذي استعصى على الجند، فنجد روح القائد تخطب لتثير الحمـاس فـي نفوسهم، يقول: "أيها الناس: إني متقدم أمام الصفوف فإذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا "[3].

إن كثرة الفتوح الخارجية والحروب والثورات والفتن الداخلية فـي العـصر الأموي استدعت ازدهار الخطابة الحربية، وهي الخطب التي تحـض علـى قتـال الأعداء، وتذكي روح الجهاد والحماسة في نفوس المقاتلين، حيث كان سلاحها الفعال الكلام الرائع والبيان الناصع للخطباء والقصاص.

ب- خطب الفتوح:

يعمد الخطيب وهو في الغالب قائد الجيش إلى ترغيب جنده في الجهاد ابتغاء رضوان ا ، وإعلاء كلمة الدين ونشر الإسلام، والظفر في الغنيمة، فنجـده يركـز على الآيات القرآنية الكريمة، التي تزين للجند حب الشهادة في سبيل ا ، والتهـوين من شأن العدو، فهذه خطبة لقتيبة بن مسلم الباهلي، يقـول:" إيـاكم والحِـرص[4]، وطماح الأبصار، وأظْلِفُوا[5] أنفسكم عن المحارم، فإن أفلح النـاس حجـةً أغلـبهم للحرص والشهوة "[6]، وربما يعمد الخطيب إلى التيئـيس مـن إمكانيـة الفـرار، وتخييرهم بين الاستبسال في مناجزة العدو، وبين الهلاك المحقق بأيـديهم، صـنيع طارق بن زياد في خطبته المشهورة أثناء عبوره للأندلس، يقول: "أيها الناس، أيـن

1- تم على الأمر وتمم عليه: استمر عليه.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 489/5.

3- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 125.

4- الحرص: الجشع .

5- أظلفوا: ظلف نفسه، (كفها عما لا يجمل).

6- البلاذري، أنساب الأشراف، 13/ 235 .

المفر، البحر من ورائكم، والعدو مـن أمـامكم ؟ ولـيس لكـم وا إلا الـصدقَ والصبر".[1]

وكذلك نجد طارقاً بن زياد يلجأ إلى أسلوب الإغراء، فيصف لجنده ما تزخر به الأندلس من الحور العين، والجواهر النفيسة، والغنائم الوفرة، فيقول: "وقد بلغكم مـا أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان".[2]

خامساً: الوصايا السياسية والحربية:

من ضروب الخطابة السياسية الوصايا التي كان الخلفاء والولاة وأقطاب السياسة يوصون بها ذويهم أو عمالهم أو قادتهم، يرشدونهم فيها إلى الطريق التي ينبغي لهم أن يسلكوها، والسياسة التي يتبعونها، والخطة التي ينتهجونها.

ولا تصدر هذه الوصية إلا من عارف مجرب خبيـر بالـسياسة، أو المهـارة الحربية والدهاء وبعد النظر، ولو لم يكن كذلك من رجال الحكم وأصحاب الـسياسة والسلطة. وهذه الوصايا منها ما هو سياسي خالص يتناول أسلوب الحكـم وطريقـة معاملة الرعية ومنها ما هو حربي يتناول خطة القتال وفن الحرب، ومن نماذجهـا خطبة موسى بن نصير في الناس، فصعد المنبر، فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين: مسالم يحب العافيـة ويرضـى بالدون من العطية، أو رجلٌ ضعيفُ العقيدة قليلُ المعرفة راضٍ بالهوينا، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر، وأحسن النظر وخاض الغُمر، وسمت به همتُـه ولـم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم".[3]

أما الوصايا الحربية التي تعتمد على (التكتيك) العسكري،فهي ما تمثل في خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي، يوصي رجاله،فيقول:" إذا غزوتم فأطلبوا الأظفار، وقَصروا الشعور، والحظوا الناس شَزراً، وكلموهم رمزاً، وأطعنوهم وخْزاً ".[4]

1- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 225 .

2- المصدر، السابق، 1/ 225 .

3- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، 2/ 99 – 100 .

4- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، 100/2

سادساً - الخطابة الدينية:

نمت هذه الخطابة في عصر بني أمية نمواً واسعاً، ومارسها عدد كبيـر مـن الخلفاء والولاة والوعاظ الذين كانوا يحرصون على وعظ الناس، وتزهيـدهم فـي حطام الدنيا والتفكير بالآخرة فمن حرصهم عليها عـدت فريـضة مكتوبـة علـى المسلمين في الجمع والأعياد، والسنن المؤكدة، كما أن الخلفاء والولاة فـي العهـد الأموي، وما لف الجانب الديني من مسائل حول العقيدة، وقيام المناظرات الجدليـة بين أصحاب الفرق، وما كان يعقد من حلقات للوعاظ في المساجد لقص القـصص الدينية، وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، وفي مثل هذه النوع من الخطابة يظـل السجع بارزاً في تضاعيف نصوصهم؛ ليؤدي نفس مهمته التأثيرية.[1]

لذا، ظلت المؤثرات الدينية قاسماً مشتركاً بين الخطباء، وجدولاً من جداول فكر مثقفي العصر جميعاً في الأطر الخاصة والعامة مـن منطلـق التمـسك بالنظريـة والترويج للمذهب[2] **حيث تشعبت الخطابة الدينية، إلى:**

أ - الخطابة الدينية الوعظية:

انتشرت الخطابة الدينية في عصر بني أمية انتشاراً في كـل أرجـاء الدولـة الإسلامية، وكانت تلك الخطابة تعتمد على تبصير الناس بأمور دينهم وتذكيرهم با ، وحثهم على فعل الخيرات وتحذيرهم من ارتكاب الذنوب والمنكـرات، ولـم تقـف الخطابة في هذا العصر عند خطب الجمع والأعياد بل تم تعيـين الوعـاظ الـذين يقومون بتوجيه الناس ويقصون عليهم القصص ليأخذوا العبرة والعظة، وربما كـان اهتمام الخلفاء والولاة بهذا اللون القصصي من الخطابة لشغل الناس بها وصـرفهم عن ميادين السياسية والحكم[3]**،** ومن الخطباء البارزين في هذا المجال نجد موعظة لعدي بن أرطأة الفزاري حين خطب على منبر المدائن، فجعل يعظ الناس حتى بكى وأبكاهم، ثم قال:"كونوا كرجل قال لابنه، وهو يعظُه: بني، أوصـيك أن لا تـصلي

1- أحمد، دراسات في الأدب الأموي، ص:377، انظر: أبو دياب، الأدب الأموي، ص:334-335.

2- خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، ص: 229-230 .

3- أحمد، دراسات في الأدب الأموي، ص379 .

صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها حتى تموت، وتعال بني نعمل عمـل رجلـين كأنهما قد أُوقِفَا على النار ثم سألا الكرةَ[1]"[2].

وهذه الخطب ذات النزعة الدينية هي في الواقع خطب سياسية، تهـدف إلـى تغيير الأوضاع ومناوأة الحاكمين من بقية الأحزاب الأخرى، وإنما وسـمت بهـذه السمة ؛ لأنها تتشح ببردة الدين للتأثير على النفوس ؛ ولأنها كذلك صادرة من أناس لهم نزعات دينية متمكنة من نفوسهم، ولهم رسالة خاصة يعملون على تحقيقها.

ب- الخطب الدينية، والشروح العقدية:

وهي الخطب التي تلقى في دور العبادة، معتمدة التأثير على السامعين، وحضهم على الفضيلة، وترك متاع الدنيا، والنزوع إلى الشورى، والدعوة إلى التقوى والعظة الدينية الزهدية، والاعتبار بالموت وبؤس الإنسان، وفي غالبها تقليدية تستنفد معاني مكررة، فضلاً عن المناهج والأسس الإصلاحية فهذا عتبة يودع أهل مـصر قبـل وفاته، إذ تحامل على نفسه وصعد المنبر، فقال: "يا أهل مصر: لا غنى عن الـرب ولا مهرب من ذنب، إنه قد تقدمت مني إليكم عقوباتٌ كنت أرجو يومئذ الأجر فيها، وأنا أخاف اليوم الوزر فيها، فليتني لا أكون اخترت دنياي، على معادي فأصـلحتكم بفسادي، وأنا استغفر ا منكم وأتوب إليه فيكم، فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليـه ورجوت ما كنت أخاف اغتيالاً به، وقد شقي من هلك بـين رحمـة ا وعفـوه، والسلام عليكم سلام من لا ترونه عائداً إليكم".[3]

سابعاً - الخطابة الموسمية:

هي تلك الخطب التي تلقى في مواسم الحج، ويكون موضعها في الغالب أحـد أسواق العرب التي تعقد في صور مهرجان أدبي أو ديني أو اقتصادي أو سياسـي عظيم وفيها دعوة إلى عقد الصلح والسلم والمعاهدات والأحـلاف، ومـا يتعلـق بالمناظرات والمفاخرات التي تدور على ألسنة رجال العرب البـارزين، وأُدبـائهم

1- الكرة : البعث وتجديد الخلق بعد الفناء.

2- المزي، جمال الدين، (ت742 هـ) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معـروف، مؤسـسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م، 19 / 521 .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 138.

المرموقين[1]، حيث تمثل خطبة عتبة في موسم الحج لوناً للخطابة الموسمية، حيث ولى معاوية أخاه عتبة موسم الحج سنة(41 هـ)، والناس حديثو عهد بالفتنة فاستفتح، ثم قال: "أيها الناس: إنا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن الأجر، وعلى المسيء الوزر فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإنها تنقطع دوننا، ورب متمنٍ حتْفُه في أمنيته. أقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم. وإياكم ولو، فقد أتعبت من كان قبلكم، ولن تريح من بعدكم فأسألوا الله أن يعين كُلّاً على كل"[2].

ثامناً - الخطابة الرسمية (شؤون إدارية رسمية):

هذا النوع من الخطب يلقى على مسامع الجمهور من أرباب أمورهم من الخلفاء والولاة والرؤساء في الأغراض السياسية، أو ما يلقى من قبل الوفود، أو رسل الملوك والخلفاء والولاة إلى أندادهم،[3] حيث تمثلت في مجموعة من الوصايا والنصائح العامة والخاصة كما في وصية زياد بن أبيه لحاجبه، فقال له: "يا عجلان، إني وليتك حجابتي وعزلتك عن أربعة: هذا المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح لا تحجبه عني، فلا سلطان لك عليه، وطارق الليل لا تَحجبه، فشر ما جاء به، ولو كان خيراً ما جاء في تلك الساعة، ورسول الثغر، فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة، فأدخله علي وإن كنت في لحافي، وصاحب الطعام، فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد".[4] وتواردت هذه الوصايا من الولاة لقادتهم فهذه وصية زياد بن أبيه لقادته: "جنبوني عدوين لا يقاتلان الشتاء وبطون الأودية"! [5]، وخطب زياد (أيضاً)، فقال: "إنه حضرتني ثلاثةُ أشياء، وجدتُ صلاحكم فيها، فمنعتني من غُمضي، فاسمعوها: والله لا أجد ساقطاً رد على شريف قولَه لِيهجنَه إلا أوجعتُ بطنَه وظهره، وأطلت حبسه، ولا ُأوتى بحدث رد على ذي شيبة رأيه إلا فعلت ذلك به ولا أجد جاهلاً رد

1- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 26-28.

2- المبرد، الكامل في اللغة والأدب،3/ـ 311-312 .

3- الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كتاب النثر)، ص: 30-33.

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 199 .

5- البلاذري، أنساب الأشراف، ق4، ج1/ 176 .

على ذي علم تهجيناً له إلا فعلت ذلك به"[1]، أما الحجاج بن يوسف الثقفي فقد وجه وصيته لعماله، فقال لصاحب حرسه: "إني استعملتك على نفسي، ولصاحب شُرطِهِ: إني استعملتُك على سلطاني، ولحاجبه: إني استعملتك على وجهي ولصاحب طعامه: إني استعملتك على مروءتي"[2]، ومن الوصايا والنصائح التربوية والتعليمية ما تمثل في وصية الحجاج بن يوسف لمؤدب بنيه، قال لمعلم ولده: "علم ولدي السباحة قبل الكتابة، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم، ولا يصِيبون من يسبح عنهم"[3]، وأما مسلمة بن عبد الملك، فكان يتحلى بالكرم ورعاية الأدب وطلابه، وبلغت حداً لا يوصف، حيث إنه لم يغب عن باله حتى ساعة وفاته "أنه أوصى بشيء من ماله الثلث من ثلثه يصرف إلى طلاب الأدب عند وفاته".[4]

أما وصايا الولاة لقضاتهم فتمثلت في وصية خالد بن عبد ا القسري لقاضيه بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري حين ولاه قضاء البصرة: "لا يحملنك فضلُ المقدرة على شدة السطوة، ولا تطلب من رعيتك إلا ما تَبذُلُه لها"[5]، (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [6].

ومن الأب القائد تؤخذ الوصايا،فهذه وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد حين ولاه جرجان، قال له: "استظرف كاتبك، واستغفل حاجبك" [7].

تاسعاً- الخطابة الاجتماعية، وتتمثل في:

أ- الخطابة الحفلية (المحافل):

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 119/2 .

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 13 / 419 .

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 119/2 .

4- الأعظمي، الأمير مسلمة بن عبد الملك، ص: 71 .

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/ 41 .

6- سورة النحل، الآية: 128.

7- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، طبع ونشر: مكتبة الخانجي، بمصر (د.ط)، (د.ت)، 2/ 40 .

نمت الخطابة الحفلية في هذا العصر بحكم نمو السلطان العربي، فكانت الوفود تَقْدِم على الخلفاء والولاة وصناع القرار لأغراض متعددة: كالشكوى أو الاستمناح، أو التهنئة أو للتعزية، وقد روي في كتب الأدب كثيراً من أخبار هذه الوفادات التي كانت تفد لمقرات الولاة، وكان خطباء هذه الوفود يمتازون بالفصاحة والبلاغة واللسن.[1] **ومن هذا اللون الخطابي:**

1- خطب التهاني:

وهي الخطب التي تقال في حفلات الزواج والإملاك والبيعة والنصر على العدو، فتقدم التهاني بهذه المناسبة وتلك، وتكون الخطبة قصيرة موجزة، ومن هذا النموذج خطبة عتبة بن أبي سفيان في تزويج ابنته، خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته، فأقعده على فخذه، وكان حدثاً، فقال: "أقرب قريب خطب أحب حبيب، لا أستطيع له رداً، ولا أجد من إسعافه بداً. قد زوجتُكها، وأنت أعز علي منها، وهي ألصق بقلبي منك. فأكْرمها يعذُب على لساني ذكرك، ولا تُهنها فَيصغر عندي قَدرك. وقد قربتُك مع قربك، فلا تُبعد قلبي من قلبك "[2]، ونجد ذلك في تهنئة خالد بن عبد ا القسري لعمر بن عبد العزيز بالخلافة: [3]

"من كانت الخلافة زانتْه فقد زيّنْتها، ومن شرفتْه فقد شرفتها، فأنت كما قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوهٍ كان لِلدر حسن وجهكِ زينا

قال عمر: إن صاحبكم أعطي مِقْولاً، ولم يعطَ معقولاً"!![4]

ج- خطب التأبين والتعزية والنعي:

وهي الخطبة التي تلقى على الراحل العظيم، أو في حفل تأبينه، أو في ذكرى وفاته، فيبين الخطيب عظم الفجيعة فيه، ويعدد مناقبه، ومنها ما جاء في نعي

1- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 70، انظر: أبو دياب، الأدب الأموي، ص: 334-335 .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 149 .

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 169/1 .

4- الجاحظ، البيان والتبيين، 4/ 122 .

الضحاك بن قيس الفهري لمعاوية ابن أبي سفيان لما قبض معاوية صعد الضحاك ابن قيس الفهري المنبر، فحمد ا ، وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إن معاوية أمير المؤمنين كان عود العرب وحدها ونابها، قطع ا به الفتنة وجمع به الكلمة، وملّكه خزائم العباد، وفتح له البلاد. ألا وإنه قد مات، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها، ثم مدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين ربه،ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان يريد أن يشهده، فليحضر عند الظهر".[1]

ولما مات عبد الملك بن مروان قام الحجاج خطيباً، فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال:" أيها الناس، إن ا تبارك وتعالى نعى نَبيكم – صلى ا عليه وسلم – إلى نفسه، فقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) [2]، وتلا قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)[3]، فمات رسول ا – صلى ا عليه وسلم – ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية. ثم وليكم البازلُ الذكر، الذي جربتْه الأمور، وأحكمتْه التجارب مع الفقه، وقراءة القرآن والمروءة الظاهرة واللين لأهل الحق والوطء لأهل الزيغ"[4].

وهذه الخطب تنصرف في الغالب إلى الناحية الجمالية ؛ لأنها لا تعتمد على الأدلة والبراهين والجدل والنقاش كالخطب السياسية والقضائية، بل على اكتشاف الأفكار، وإبداع الصور، وتثقيف العبارة، فهي أقرب الأنواع الأدبية إلى الفن.

قيمة الخطابة:

تعد الخطابة سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، وفي ترقيته والإسراع به نحو المثل العليا التي يجب أن يقصد إليها في الإصلاح والتوجيه والإرشاد، ونشر الفضيلة.

1- الجاحظ، البيان والتبيين،2/ 109 .

2- سورة الزمر، الآية : 30.

3- سورة آل عمران، الآية : 144.

4- ابن عبدربه، العقد الفريد، 4 / 122 .

فمن هنا كانت خطابة الولاة ومكاتباتهم القوة الحاسمة في قيادة الأمة إلى حيـاة أرقى وأبقى إلى العدالة؛ لأنها عدة الزعماء والقادة والولاة والساسة وأصحاب الفكر، وقد روت لنا كتب التاريخ والأدب والموسوعات صوراً كثيرة لهؤلاء الولاة الخطباء وقادتهم من صورة (حرق المراكب)، ووضع المقاتلين أمام الموت أو النصر علـى الأعداء، فنجده يجعل جيشه لا يملك امتياز الاختيار، بل يرمي بنفسه وجيـشه فـي لهيب المعركة، ومن هنا تتأتى قيمة الخطابة، وتظهر بوضوح قوة ودلالة الكلمة. [1]

ومجمل القول: إن الخطابة نزعت في هذا العهد نزعة دينية حماسية في كثيـر من أحوالها، وظهرت فيها معاني القرآن الكريم التي كـان يرغـب الخطبـاء فـي اقتباسها، كما كانوا يرغبون في إرسال الحكم والأمثال، ناهيك عن العاطفة الدينيـة التي تجلت بشدة في خطبهم الحماسية للتأثير والإقناع؛ فأكثروا من أساليب التهديـد والوعيد والتوبيخ والإنذار في أدبهم النثري، مما قادهم إلى صقل ألفـاظهم وتنميـق تراكيبهم، وما حوته من فنـون البلاغـة والفـصاحة، وروعـة التعبيـر البيـاني والبلاغي.[2]

8.1 أجزاء الخطبة:

تمر الخطبة بثلاث مراحل أو أجزاء:(المقدمة والعرض والخاتمة)، ويمكن لنـا عرضها على النحو الآتي:

أولاً- المقدمة، (أهميتها):

تعد المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة، وكالافتتاح في الموسيقى، كل يمهد لما بعده، ويعد السامعين إلى الإصغاء، وهي ضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنهـا؛ لتوضيح أهمية الموضوع، وبيان قيمته، ويجب أن تكون الخطبة متصلة بالموضوع نفسه لتخدمه وتمهد له، بحيث تكون المقدمة واضحة مناسـبة لعقـول الـسامعين، وموزونة المعاني دقيقة التعبير غير مبتذلة أو مشاعة.[3]

1- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 21 .

2- الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 318-319.

3- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص 36-37 .

ومن أنواعها: حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان هذا عرفاً شائعاً لازماً في العصر الإسلامي، وقد دأب المسلمون عليه حتى صارت قاعدة يندر خلافها، فلذا، قال الجاحظ: "إن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لـم تبـدأ بالتحميـد، وتستفتح بالتمجيد (بالبتراء)، ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة علـى النبي – صلى الله عليه وسلم – (بالشوهاء). [1]

وفي مقدمة الخطبة لا بد من الاستدلال بحكمة أو مثل أو بيت رائع من الـشعر يوميء بالموضوع، ويمهد له، كما فعل الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته الشهيرة بالكوفة، ويمكن أن يبدأ الخطيب في مقدمة خطبته بتفنيد حجج خـصومه، أو يـذكر موضوعه على الإجمال.

ثانياً - العرض:

إذا استغنى الخطيب - أحياناً - عن المقدمة، أو عن الخاتمـة فلـيس لـه أن يستغني عن عرض الموضوع؛ لأن الخطبة ذاتها، وأياً كان نوعها، والعرض الجيد يحتاج إلى الوحدة والترتيب والتسلسل والوضوح الذي هو أساس وعمـاد الخطبـة الناجحة،[2] **ويندرج تحتها:**

(أ)- التدليل: كثيراً ما يحتاج الخطيب إلى التدليل على صحة رأيه؛ بأدلـة عقليـة ومنطقية وخطابية. [3]

(ب)- التفنيد: مناقشة آراء الخصم وأدلته لإبطالها وردها، سواء أكان التفنيد للآراء العامة التي دعا الخصم إليها أم للنتائج التي استنبطها، ومـن وسـائل التفنيـد

1-الجاحظ، البيان والتبيين، 1 / 116، انظر: الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 38-39 .

2- الحوفي، فن الخطابة، ص: 127، انظر: الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثـاني الهجري، ص: 39 .

3- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 40.

المعتمدة في الخطابة (المغالطة): وهي صناعة يعرف بها القياس الفاسد، إمـا من جهة الصورة، وإما من جهة المادة، وإما من جهتهما معاً. [1]

(جـ)- الإنكار: على الخطيب البارع أن لا يسلم للخصم مما ادعاه، معتمـداً فـي إنكاره على حجة ملزمة للآخر. [2]

ثالثاً - الخاتمة:

وهي آخر ما يبقى في آذان السامعين وأذهانهم من الخطبة، وفي الخاتمة يتجلى نجاح الخطيب في لعبه بعواطف الجمهور، واستمالته لهممهم.

ولا شك أن الخاتمة ملخصة للأفكار والعناصر البارزة في خطبتـه، بأسـاليب مغايرة لتعبيراته الأولى من حيث الإثارة، واللجوء إلى التحذير والترهيب، أم يلجـأ إلى الوعيد والترغيب، أم يتسلل إلى القلوب بآمال يبثها أم بمخاوف يهول بها ؟ [3]

وعلى الخطيب أن تكون عبارته قوية تهز المشاعر، فيها الروعة والبيان بعيـدة عن الملل والسآمة، [4] ومن هذا النموذج ما قاله زياد بن أبيه في خطبته بالبـصرة " وإذا رأيتموني أُنْفِذُ فيكم الأمر على إذلاله، وايم الله إن لي فيكم لـصرعى كثيـرةٌ، فليحذر كل امرئ أن يكون من صرعاي. "[5]

9.1 الخصائص الفنية للخطابة في العصر الأموي.

1- الطابع البدوي:

ثمة ظاهرة تلفت النظر في الخطابة الأموية، هي أن هذه الخطابة لـم تـساير تماماً حياة التحضر التي انتقلت إليها كثرة العرب في هذا العصر، فظلت الخطابـة بوجه عام تحمل في أسلوبها طابعاً أقرب إلى البداوة، سواء فـي ألفاظهـا، أم فـي

1- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري ص: 41 .

2- المرجع، السابق، ص: 42 .

3- الحوفي، فن الخطابة، ص: 127-128 .

4- الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 43-44.

5- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 62-65، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإداريـة العائـدة للعصر الأموي من (40هـ - 132هـ/ 661م- 750م)، ص: 113- 115 .

تراكيبها، أو في الأبيات التي كان الخطباء يتمثلونها ويستشهدون بها. فلذا أقر عن رسولنا – صلى ا عليه وسلم- "من بدا جفا"[1]، وخير ما يمثل الطابع البدوي خطبة زياد في أهل البصرة وقد خرجت خارجة فيهم، فقال: "يا أهل البصرة: وا لتكفنني هؤلاء أو لأبدأن بكم. وا لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً، فثار الناس بالخوارج فقتلوهم".[2]

ويمتاز الأسلوب الخطابي بشدة الإقناع وروعة التأثير، وقصر الجمل، والازدواج أو السجع بينهما، ومراعاة المقام وحال السامعين، كما يمتاز بجمال التصوير والأسلوب، وجودة المعاني وتخيرها، فعلى الخطيب أن يكون عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، وأن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته، غير مستكره لطبيعته، فإن التكلف إذا ظهر في الكلام هجنه وقبح موقعه كما في الخطبة التالية، خالد بن عبد ا القسري على منبر مكة، إذ قال: "يا أيها الناس: "إنكم بأعظم بلاد ا حرمة، فعليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشبهات؛ فإني وا ، ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا وصلبته في الحرم. إن ا جعل الخلافة منه بالموضع التي جعلها فسلموا وأطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت إنه لا رأي فيما كتب الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه.واعلموا أنه بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم، فإياكم أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة"[3].

2- **التنسيق:**

هو من انتقاء الألفاظ وتخيرها ذات الدلالة الواضحة والألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعاني؛ دون التواء في التعبير، أو اضطرابات في الترتيب، وخطبة زياد البتراء خير نموذج يبرز فيها عنصر التنسيق،

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 13/1.

2- الجاحظ، البيان والتبيين،4 /177، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص: 109.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 464/6.

وأماتكاف الغريب من اللفظ [1]، فقول عبدالرحمن بن الحكم الثقفـي فـي خطبـة المبايعة ليزيد بن معاوية: "أصلح ا أمير المؤمنين، إنا قد أصبحنا في زمن مختلفو أهواؤه، قد احدودبت سيساؤه[2]، واقطوطبت[3]علينا أدواؤه"[4]

3- الإيجاز:

يعد الإيجاز من دعائم الأداء والأسلوب الفني في الخطابة، وهـو مـن سـمات البلاغة العربية التي يكتفي فيها الخطيب المجيد بالعبارات القصيرة المـوجزة فـي التعبير عن فكرته ليوصلها إلى سامعيها دون ملل أو سآمة، لتجنب الحشو وإطالـة الجمل، والاحتراز بالإشارة العابرة، وخطب عتبة بن أبي سفيان خير ما يمثل لنـا سمة الإيجاز في الخطب الأموية، وهذه خطبة له يحذر الناس فيها من الفتنة، يقول: "أيها الناس، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف للمحسنين الأجر، وعلى المـسيء فيه الوزر، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تنقطع من دوننا، ورب متمن حتفـه في أمنيته، فاقبلونا ما قبلنا العافية فيكم، وقبلنا منكم "[5].

4- الأسلوب العاطفي:

من مميزاته أنه يهدف إلى إثارة مشاعر المستمعين و التلاعب بعواطفهم، ومن ركائز هذا الأسلوب الاتكاء على الأسلوب الإنشائي باستخدام صيغ النداء و التعجب والاستفهام والتمني والأمر والنهي، مع ما تؤديه هذه الصيغ مـن معـاني إضـافية كالتوبيخ والتقريع والتهديد والتيئيس والتهكم والسخرية والتحقير، وإيـراد الـصور المثيرة للخيال بقصد التهديد أو الإغراء أو التنفير، ومن ركائزه (أيضاً) اللجوء إلى أسلوب التوكيد والقسم والتكرار وهذا مقطع من خطبة زيـاد البتـراء يمثـل هـذا

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:343-344.

2- السيساء: منتظم فقار الظهر .

3- اقطوطبت: اجتمعت.

4- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 122/1.

5- القالي، أبو علي، (ت356هـ)، كتاب: ذيل الأمـالي والنـوادر، دار الفكـر، بيـروت، د.ط)،(د.ت)، 240/1، انظر: النص، الخطابة السياسة في عصر بني أمية، ص : 134-135.

الأسلوب بركائزه المتعددة، يقول: "أتكونون كمن طرقت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية"[1]، وقد يلجأ الخطيب (أيضاً) إلى التصوير المثير، إذ يعرض صورتين مثيرتين ليست إحداهما جزاء على الأخرى، يقول زياد بن أبيه: "فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قومٍ حرقناه، ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيّا فيه"، وأما القسم، كقول زياد: "وأيم الله، أن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي" [2].

5- التمثيل بالشعر:

يعد التمثيل بالشعر ظاهرة مميزة في الخطابة العربية، لما له من تأثير في النفوس ثم إن الشعر والخطابة يتشابهان في الاستمالة، لتأكيد الدعاوى، فيلجأ الخطيب إلى الاستشهاد، بالشعر دعماً لفكرة أتى بها أو لتصوير حال من الأحوال، وفي أغلب الأحيان تتدرج أبيات الشعر ضمن الخطبة أو في نهايتها، و آثر الحجاج أن يستهل خطبته المشهورة بالكوفة بالشعر بدلاً من البسملة والتحميد والثناء، والأبيات الواردة في الخطبة تهدف إلى تقديم صورة مخيفة عنه تملأ نفوس أهل العراق ذعراً وهلعاً، ولإظهار التحدي والمفاخرة كما هو صنيع الحجاج، بأنه يضفي على خطبه طابع القوة والبداوة والخشونة [3]، ونجده قد استشهد بشعر سحيم ابن وثيل الرياحي[4] في مقدمة خطبته المشهورة بالكوفة، يقول:

أنا ابن جلا[5] وطلّاع الثّنايا[6]   متى أضع العمامةَ تعرفُوني

1- النص، الخطابة السياسة في عصر بني أمية، ص : 134-135.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 65/2، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 135.

3- النص، الخطابة السياسة في عصر بني أمية، ص :136 .

4- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989م، 1/ 123 .

5- ابن جلا: المراد به المنكشف الظاهر.

6- الثنايا : جمع ثنية، أي: الطريق في الجبل .

ثم تمثل بشعر رشيد بن وميض العنبري [1]، يقول:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم[2] قد لفها[3] الليلُ بسواقٍ حطَم[4]

ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولا بجزارٍ على ظهرِ وضم[5]

وقال زياد بن أبيه في إحدى خطبه مستشهداً بالشعر: " أيها الناس لا يمنَعنكم سوء ما تعلمون عنا، إن تنتفعوا فإن الشاعر، يقول [6]:

اعملْ بقولي وإن قصرتُ في عملي ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

6- السجع والتوازن:

كان السجع في العصر الأموي – غالباً- ما يقع في قصار الخطب، وفي الكلام الذي يقال في المحافل السياسية، وإذا تتبعنا الخطب التي اشتملت على السجع، وجدنا ذلك في خطبة عبيدا بن زياد التي ألقاها بين يدي معاوية بعد موت أبيه، والتي قال في مستهلها: "أحمد ا على عدد الآلآء، وأستعينه على اللأواء، وأستهديه من عمى مجهد، وأستعينه على عدو مرصد"[7] والخطبة كلها مسجوعة على هذا النمط.وتمثل هذا السجع المتوازن في قصار الخطابة كخطبة يزيد بن المهلب يستنفر أهل العراق لقتال أهل الشام.[8]

1- الأصفهاني، الأغاني، 15/ 254 .

2- زيم : اسم فرس (الميداني، مجمع الأمثال، 3/ 476) .

3- لفها: أي جمعها .

4- حطَم: العسوف العنيف .

5- وضم: كل ما وقي اللحم من خشب أو خصفة أو جلد.

6- ابن عبدربه، العقد الفريد،113/4.

7- ابن عبد ربه، العقد الفريد،83/4، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:137.

8- الجاحظ، البيان والتبيين،410/1، انظر: النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 138.

7- قوة العبارة وحرارتها :

تعبر عن مشاعر مهتاجة، ونفوس ثائرة خائفة، كقول الحجـاج: "إن أميـر المؤمنين نثر كنانته بـين يديـه، فعجـم عيـدانها، فوجـدني أمرهـا عـوداً"[1].

8- قصر الجمل:

ليشتد وقعها، ويتلاحق تأثيرها[2]، ونجد ذلك في قول زياد بـن أبيـه "قـربتم القرابة وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر"[3].

9- العناية بالوقع والرنين:

سواء أجاء عن طريق سجع غير مستكره، أم عن طريق الإزدواج، أم من تقسيم العبارة إلى جمل متوازية القدر والطول، ونجد هذا واضحاً وجلياً في قول الحجـاج بن يوسف: "يا أهل العراق، هل شغب شاغب[4]، أو نعب ناعب، أو زفر زافـر[5]، إلا كنتم أتباعه وأنصاره !؟ يا أهل العراق، ألم تـنهكم المـواعظ ؟ألـم تَزجـركُم الوقائع؟"[6].

10- الأثر الإسلامي- التأثر بالقرآن الكريم، ويتضمن:

أ – الاقتباس(التضمين):

تتميز الخطابة في هذا العصر بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم،ووضع الآيات بالموضع الملائم لها من الخطبة، حتى ليظن الذي لا يحفظ القرآن أن الكـلام كلـه للخطيب، حيث ظهرت في النثر بوجه عام سـمات وطوابـع إسـلامية واضـحة القسمات، كاستهلال الخطب والرسائل بحمد ا وتمجيده، فإن خلت من ذلك كانـت (بتراء) كما ورد في خطبة زياد المشهورة، وتوشحها بآيات قرآنية وتزينها بالصلاة على نبي الرحمة- صلى ا عليه وسلم - وإلا كانت (شوهاء) كما ورد في خطبـة

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 410 .

2- الحوفي، أدب السياسية في العصر الأموي، ص:333 .

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 47، انظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 217/5 .

4- شغب شاغب: هيج الشر والفتنة .

5- زفر زافر: أي نفخ غضباً ودعا للفرقة والعداوة .

6- الجاحظ، البيان والتبيين، 2 / 117 .

الحجاج بن يوسف الثقفي[1]، لذا، أصبح القرآن المنهل الثر الذي يـردده الخطبـاء والكتاب والشعراء وعلى اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم السياسية، ثـم لا يلبـث أن ينعكس صداه في آثارهم وإنتاجهم الأدبي [2]، يقول الجاحظ :"وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن الكريم، لأن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الوقع. [3] وزيادةً على ذلـك، فـإن الاقتباس من القرآن الكريم كان الطابع الغالب في (الخطـب الدينيـة والوعظيـة)، والأمثلة على الاقتباس كثيرة، فمنها ما استشهد به الحجاج بن يوسف فـي إحـدى خطبه، من قول ا تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [4]، وقوله في خطبة أخرى: بل أنتم يا أهل الشام، من قول ا : "**(**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**)** "[5]**.**

ب- القياس:

في بعض الخطب منطق وقياس معتمد على الفطرة لا على الدرس، ومثاله مـا جاء في خطبة زياد لما شرع يميل إلى معاوية، إنه نظر في أمور الناس بعد مقتـل عثمان فوجدهم كالأضاحي يذبحون في كل عيد،ووجد أن يوم الجمل وصـفين قـد فني فيهما خلق كثير، ثم انتهى من ذلك إلى أنه نظر في الأمر، فوجد السلامة فـي البعد عن النزاع، ووعد الناس أن يعمل ما يحمدون عاقبته، والقياس بين وجلي فـي هذا، فكأنه قال: "المتحاربون يوم الجمل وصفين زعموا أنهم على حق، على حين أن الأمر مشكل، فالسلامة إذن في الكف عن الحرب والفتن أولـى"[6]، ومـن القيـاس

1- الحوفي، أدب السياسية في العصر الأموي، ص: 335.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 139.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 45.

4- سورة النحل، الآية: 112.

5- سورة الصافات، الآية:171.

6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 808 .

(أيضاً) خطبة الحجاج بعد حصار الكعبة ومقتل عبدا بن الزبير سنة (73 هـ ـ)، فنجده قد جارى الناس أول الأمر، وحاول استمالتهم، فـأثنى علـى ابـن الزبيـر، ووصفه بأنه من أحبار الأمة، وهو كذلك، ثم عقب على هـذا بمطمعـه بالخلافـة وتمرد على ولي الأمر فلم يعد بعدها من أحبار الأمة، ثم برر الهجوم علـى مكـة والبيت الحرام، لأن الزبير احتمى فيه، لكن احتماءه بالحرم لم يحـل بـين الدولـة ومعاقبته، فقد كان آدم (عليه السلام) في الجنة، ثم عصى ربه، فأخرجه منهـا، وآدم أكرم على ا من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة والبيت الحرام، فقـال الحجاج:" ألا إن ابن الزبير،كان من أحبار[1] هذه الأمة، حتى رغب فـي الخلافـة، ونازع فيها أهلها، وخلع طاعة ا ، واستكن[2] بحرم ا ".[3]

10.1 الوفادات:

عرف العرب الوفادة في جاهليتهم، والإسلام، واستمرت على مـر العـصور والأزمنة، حيث وفد زعماء القبائل وشعراؤها، ومن يمثلهم رجـالاً ونـساء علـى الملوك والأمراء والخلفاء والولاة، حيث شكل الحوار والمناظرة في أدب الوفادة قناة للتواصل بين الراعي والرعية، ويتراءى للناظر في أدب الوفادات أن لغة الوفود قد اتسمت من الوجهة التعبيرية بالجماعية، والبعد عن الفردية، فيمـا يخـص دلالات الألفاظ على المستوى الديني، والفكري والأدبي، والبيئي، والنفسي،والتكوين الثقافي، لذا، عرض القدماء لمصطلح الوفادة في معاجمهم من خلال مادة الفعل(وفد)، يقـول الجوهري:" وفد خلاف على الأمير، أي ورد رسولاً، فهو وافد، والجمع (وفد)، مثل (صاحب، وصحب)، والوفد: (أوفاد ووفود) والاسم: الوفادة" [4].

1- الأحبار: مفردها حبر، أي الفاضل الصالح .

2- استكن: اعتصم .

3- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 2/ 40 .

4- الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد،(ـت313هـ)، الصحاح – تاج اللغة وصـحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايـين، بيـروت، (د.ط)،(د.ت)، مادة: (وفد) .

أما ابن منظور، فتناول المصطلح، بشكل أوسع، يقول:" فأما الوفد فاسم للجمـع وقيل: جمع، وأما الوفد فجمع وافد، وفد أوفده إليه، وهم القوم يجتمعـون فيـردون البلاد، واحدهم وافد، والذين يقصدون الأمراء لزيارة أو للاسترفاد والانتجاع وغير ذلك".[1]

وبناء على ذلك المعيار الفني فإن الوفادة تنطلق من الواقع الحـضاري للأمـة كدلالة أكيدة على متانة الوشائج التي تربط بين أدب الوفادة كان في معظمـه أدبـاً ارتجالياً، وليد اللحظة والموقف، نازعاً إلى العاطفة، خاضعاً في الوقت ذاتـه إلـى مثيرات وانفعالات محفزة، لذلك جاء في خطاباتهم وأقوالهم وحواراتهم وأشـعارهم مباشراً وعفو الخاطر، حيث يقوم البناء الحواري في أدب الوفادات على شخصيتين تديران دفة الحوار، الأولى ثابتة في صاحب الشأن والمسؤولية (الـوالي)، والثانيـة الشخصية المتغيرة (الوافدة)، لقد برز فن الوفادة،وكثر في خطابات الوفود من خلال محاورات الولاة كصناع قرار مع الوافدين إليهم، إذ يحتل مقام الـشكوى والفخـر والثناء نصيباً من هذا الفن الحواري الذي استوعب كل ما لهم وما علـيهم، ومـن نماذجه، وفود مالك بن بشير الجرشي على الحجاج بن يوسف لما قتل المهلب بـن أبي صفرة عبد ربه الصغير بكرمان، فقال له: "إني موفدك إلى الحجاج فسر، فإنما هو رجل مِثْلُك، وبعث إليه بجائزة، فردها وقال: إنما الجـائزة بعـد الاسـتحقاق، وتوجه، فلما دخل إلى الحجاج قال له ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير، قـال: مِلْـك وبشارةٌ! كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أمل وأمِن ما خاف. قال: كيـف هـو بجنده؟ قال: والد رؤوف. قال: كيف جنده له؟ قال: أولاد بررة. قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل. قال: فكيف تصنعون إذا لقيتم عـدوكم؟ قال: نلقاهم بحدنا فنطمع فيهم، ويلقوننا بحدهم فيطمعون فينا. قال: كذلك الحد إذا لقي الحد. قال: فما بال قطري؟ قال: كادنا ببعض ما كدناه. قال: فما منعكم من اتباعـه؟ قال: رأينا المقام من ورائه خيراً من اتّباعه، قال: فأخبرني عن ولد المهلب. قـال: أعباء القتال بالليل، حماة السرح بالنهار، قال: أيهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم. قال: لتقولن. قال: هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها،قال: أقسمت عليك هل روأت في

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة : (وفد) .

هذا الكلام؟ قال: ما أطلع ا على غيبه أحداً. فقال الحجاج لجلسائه : هذا وا ـِ للكلامِ المطبوع، لا الكلام المصنوع ".[1]

وكذلك وفدت الشاعرة ليلى الأخيلية ابنة عبد ا بن الرحال (ت80هـ) علـى الحجاج، تشكو له ما حل بها وبقومها من شظف العيش والبؤس، وبعد حديثه معهـا أنشدته قصيدة مدحية، وكان الحجاج معجباً بقريحة ليلى الأخيلية، فقالت[2]:

أَحجاجٌ لا تُعطِ الْعصاةَ مناَهـــــم ولا ا ُ يعطِـي للعـصاةِ منـــــاها

إِذَا هبـــَطَ الحجاج أَرضا مريـضةً تَتَبّع أَقْـصى دائِهـا فَـشَـــــفَاها

شفَاها مِن الداءِ الْعضال الـذي بهــا غــلامٌ إِذَا هـز القنـاة شفـاها

فَما ولد الأبكار والعـــون مثلـــه بِبحـرِ ولـا أرض يجـــف ثَراهـا

ونقد الحجاج شعرها في حضرتها، وقال لها: "لا تقولي غـلام، بـل قـولي: "همام"، ولما أُعجب الحجاج بشعرها أعطاها ما خفف عنها وعن قومهـا، وأكـرم وفادتها عليه، ثم أنشدته من شعرها، فقالت[3]:

حجاج أَنْتَ الذي ما فَوقه أحـــــدٌ إِلا الخليفةُ والمستغفر الـصمــــــد

حجاج أَنْتَ شِهاب الحـربِ إِن لحقـت وأَنْتَ للناس نُــــورٌ في الدجى يقِد

والذي نلحظه من هذه المدائح أنهم يذكرون فعال الحجاج في القـضاء علـى الفوضى، وقطع دابر العصاة والمشاغبين واللصوص، فشاع الأمـن بـين النـاس، والذي يحققه يجد له المادحين والشاكرين في كل عصر ومصر.

1- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3/ 159 .

2- القالي، ذيل الأمالي والنوادر، 85/1، انظر: الجومرد، محمود، الحجـاج، رجـل الدولـة المفترى عليه، منشورات شركة مطبعة الأديب البغدادية المحـدودة، بغـداد ط1، 1985م الحجاج – رجل الدولة المفترى عليه، ص: 200 – 201 .

3- القالي، الأمالي، 86/1؛ انظر: حميدة، عبد الرزاق، سيف بني مروان – الحجاج الثقفـي-، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1947، ص: 168 – 169، انظر: بابتي، الـسياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 409، انظر: خفاجي، محمـد عبـد المـنعم، أعـلام الأدب- في عصر بني أمية – دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، 13/1.

ومما تجدر إليه الإشارة، أن خطب الوفادة ومحاوراتهم ومناظراتهم قد تمثلت فيها وحدة الموضوع نمطاً لها، فيندر أن يأتي الخطيب بمعان مختلفة، وإنما يؤكد على غرض محدد، فلذا، جاءت ألفاظهم موجزة، وعباراتهم قصيرة مختصرة، وجملهم متتابعة متصلة، فضلاً عن الوضوح التام في المقصد والغاية متضمنة نصوصاً من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والنصوص الشعرية التي تتجلى فيها فنون الإبداع الأدبي، لقد أبرزت الكتابة نوعاً من أنواع الوفادة في المكاتبات والرسائل، حيث تميزت في بنائها عن الفنون النثرية الأخرى، يقول ابن عبد ربه في الوفادة: "إنها مقامات فضل، ومشاهد حفْلٍ، يتخير لها الكلام، وتُستعذب الألفاظ، وتستجزل المعاني، ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم، وزعيمهم الذي عن قوسه ينزعون، وعن رأيه يصدرون، فهو واحد يعدل قبيلة، ولسان يعرب عن ألسنة"[1]، فالوفد يكون من أرباب البيان، والوفادة روحها اللسان والجنان لذلك كانت الوفادة في ذلك العصر عاملاً من عوامل ازدهار النثر الفني عند الولاة.

11.1 فن المحاورات:

المحاورات نثر شفهي ذاع في العصر الأموي، نتيجة لكثرة الأحزاب السياسية والمذاهب الدينية واختلاف الآراء، وتأثراً بالحرية القولية التي كان يشعر بها مختلفون في الرأي أكثر الأحيان،، وثمرة من ثمرات المقدرة البيانية، وإسعاف الخاطر وذلاقة اللسان، وعفو البديهة، فلا فرصة فيه للتحبير والتجويد والتنميق.[2]

12.1 الخصائص الفنية للمحاورات الشفهية أو الشفوية، منها:

1- **الإيجاز** وقوة العبارة والمهارة في التصوير، وقلب حجة الخصم حجة عليه، كما نرى في أجوبة الشعبي للحجاج أو لغيره، فهذا حوار بين الحجاج والشعبي، وكان لغوياً يقظاً، رقيق الحس، قوي النظر سوي اللسان، حاضر البديهة،

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/ 88، انظر : أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص :298 .

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:363.

متوقد الذهن، فقد ذكروا أن الحجاج بن يوسف، قال له يوماً: "كم عطاءك في السنة، فقال: ألفين، قال ويحك كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، قال: كيف لحنت أولاً؟ قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا" [1].

ولعل هذه المكانة العالية الأدبية والملكة اللغوية للشعبي دعت الحجاج بن يوسف حين طلب منه الخليفة عبد الملك بن مروان مؤدباً لأولاده، فنجده قد أشخص إليه الشعبي. [2]

2- **حسن التخلص والرد بالمثل والتمثيل والاستدلال،** نجده في تخلص المرأة الخارجية من الحجاج، ومثاله: أتى الحجاج بامرأة من الخوارج، فقال لأصحابه:" ما تقولون فيها؟ قالوا: عاجلها بالقتل، قالت: لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك، فقال لها، ومن صاحبي؟ قالت: فرعون، استشارهم في موسى[3]، فقالوا: (أرجه وأخاه)".[4]

3- قلب الأوضاع قلباً فكاهياً، كما في حوار بين عتبة بن أبي سفيان وجماعة من القراء، فدار الحوار الآتي: "إنك سلطْتَ[5] السيف على الحق، ولم تسلط الحق على السيف، وجئت بها عشوةً خفيةً[6]. قال كذبتم: بل سلطتُ الحقّ وبه سلطتُ، فاعرفُوا الحق تعرفوا السيفَ، فإنكم الحاملون له حيث وضعه أفضلُ، والواضعون له حيث حملُه أعدلُ، ونحن في أول زمان لم يأت آخره، وآخر دهر قد فات أولُه، فصار المعروفُ عندكم منكراً، والمنكر معروفاً، وإني أقول

---

1 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 3 /15 .

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3/ 92، انظر: فارس، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 521.

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2/ 145، انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:360 .

4 - سورة الأعراف، الآية:111.

5 - سلط السف: جرده وأطلقه وقهر به.

6- العشوة: الأمر الملتبس .

لكم مهلاً قبل أن أقولَ لنفسي هلا[1]. قالوا: فنخرج آمنين ؟ قال: غير راشدين ولا مهديين" ![2]

فمهما يكن من أمر، فقد ارتقت الخطابة بأنواعها وأغراضها رقياً كبيراً في هذا العصر، ونشطت نشاطاً لعل العرب لم يعرفوه في عصر من عصورهم الوسـيطة، فقد اتخذها الأمويون أداةً للظفر والانتصار في آرائهم السياسية، ومجادلاتهم الفكرية والمذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم ووفاداتهم على الخلفاء والأمـراء والولاة، كما كانت تسود فيها خطبهم ورسائلهم ومكاتباتهم وشعرهم – الروح الدينية الأصلية – وتسري فيها تلك الروح المتأججة بالتهديد والوعيد تارة، وبالترغيب تارة أخرى، لذا، خلّف لنا هؤلاء الولاة، وعلى تنوع اتجاهاتهم، وتباين مقاصدهم سـيلاً هائلاً من الخطب، والمكاتبات، والتوقيعات، والأشعار المتقنة التي وفروا لها قـدراً ظاهراً من الإبداع الذي يجسد عبقريات هؤلاء الخطباء الولاة ومقدرتهم الفائقة على الخطابة، لاسيما وأن الحرية التي منحت للأمة الأموية بأحزابها المتعددة، إضافة إلى ما شاع في تلك الفترة من الخصومات القبلية والمناظرات والمناقضات والمحاورات التي ساهمت كثيراً في ازدهار الخطابة، فكانت لهم الحرية في شرح مواقفهم تأييـداً ومعارضة أمام الخلفاء والولاة مما بعث نهـضة أدبيـة وتاريخيـة شـاملة لهـذا العصر.[3]

1- هلا: حرف معناه الحث والتحضيض .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 166/3 .

3- الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كتاب النثر)، ص:125، انظـر: الجنـابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص: 74.

الفصل الثاني

فن المكاتبات (الرسائل – المراسلات – والتوقيعات)

1.2 فن المكاتبات (الرسائل - والمراسلات) :

اتخذ الإسلام الكتابة دعامة من دعائمه، وأقسم ا تعالى بالقلم والكتاب، كمـا في قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون)[1]، وجاءت لفظة الكتاب في قوله تعالى:(والطور وكتاب مسطور في رق منشور)"[2]، وفي عصر بني أمية نجد الكتابـة ترقـى رقيـاً عظيماً، فقد جد كثير من الأحداث التاريخية، والمشكلات، وظروف الحياة من جميع أطرافها السياسية والمادية والعقلية والعقدية والفكرية[3]؛ نتيجة لتحـضر العـرب، واختلاطهم الواسع بغيرهم من الأمم والأجناس البشرية، فأخذوا يستعيرون كثيراً من النظم الإدارية لتلك الأمم والحضارات، مع الحفاظ على الهوية العربية والإسـلامية، فعينوا الأعاجم في كنف هذه الدولة، وعملوا في الدواوين المتعددة لها.

وإذا ما ذهبنا إلى معنى (الرسالة) في مختار الصحاح، فقد وردت هذه اللفظـة من (راسله مراسلة)، فهو (راسل ورسيل)، وأرسل في رسـالة، فهـو (مرسـل)، (ورسول)، والجمع (رسل) بتسكين السين وضمها، وسمي[4] (الرسول) بذلك لأنه ذو رسالة، وتأتي أيضاً، بمعنى: الإرسال والتوجيه، ومن يتابع تاريخ الأمويين وولاتهم يجد فيضاً ضخماً من المكاتبات والرسائل، التي كان يشترك في تدبيجها كثير مـن الأدباء المتميزين بالبلاغة والفصاحة والتجويد والبيان [5]، إضافة إلى عناية الخلفاء والأدباء والولاة بعلوم اللغة والأدب، ورعاية الكتابة بأنواعها، واتخاذ أعلامها كتابـاً

1- سورة القلم، الآية :1.

2- سورة الطور، آية :1.

3- الفاخوري، تاريخ الأدب العربي،ص:315.

4- الرازي، محمد بن عبد القادر(ت 666ه)، مختار الصحاح، دائرة المعاجم – مكتبة لبنـان، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مادة : (رسلَ).

5- أبو دياب، الأدب الأموي، ص :335.

في دواوين الرسائل والتوقيعات لدى بلاط الخلفاء والولاة والقادة، وزيادةً على ذلك، فقد تكون الرسالة مكتوبة، كما تكون شفاهية.

ولا شك في أن من المكاتبات ما يندرج تحت المراسلات المتبادلة أو الموجهة من الخلفاء إلى ولاتهم، أو من الولاة إلى غيرهم، مع الحفاظ على الـنمط الكتـابي للعصر السابق، يقول القلقشندي:"ولم يزل أمر المكاتبات في الدولة الأمويـة جاريـاً على سنن السلف إلى أن ولي الوليد بن عبدالملك، فجود القراطيس، وجلل الخطوط، وفخّم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك، إلا عمر بن عبـد العزيـز، ويزيد بن عبد الملك، فإنهما جريا في ذلك على طريق السلف، ثم جرى الأمر من بعدهما ما سنه الوليد إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم".[1]

لذا، ازدهرت في هذا العصر كتابة الرسائل بأنواعها: (الديوانيـة، والإخوانيـة والدينية والسياسية الرسمية، والأدبية) والتي نزعت في أول أمرها نزعةً إيجازيـةً، وكانت تنزع منزع الخطب [2]، ولما جاء عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك، ارتقت الكتابة الفنية، وعلا شأنها مع وجود الدواوين فأحكم تنظيمهـا، وعظّـم أمرهـا[3]، ويذكر الجهشياري، بأن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان، يقول:" تكون كتبي والكتب على خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض". [4]

ومعنى ذلك، أن فن الكتابة والمكاتبات نما نمـواً واسـعاً، فنـشطت الكتابـة، والمكاتبات، وأخذ الأدباء والكتّاب يتحدثون ويكتبون عن السير والمغازي والأحداث التاريخية والسياسية والأدبية التي سايرت العصر الأموي على مدار (91 سنة).[5]

فكان لهذا العصر طابع إنشائي خاص تميز بالبساطة والحكمة مع إطالة الكتب، حيث اقتضى الحال على تطويلها والإطناب فيها، فحينها تعددت الرسائل والمكاتبات

1- القلقشندي، أحمد بن علي،(ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمـد حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)،(د.ت)، 391/6.

2- الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 315 .

3- أبو دياب، الأدب الأموي، ص : 335 .

4- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص: 47 .

5- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص :100-101.

فضلاً عن تنوعها وتعددها؛بسبب التوسع والاستقرار والاختلاط مع الأجناس الأخرى، واختلافهم سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وعقدياً.[1]

وفي خضم الأحداث أُنشئ ديوان الرسائل الذي يختص بإرسال وإبلاغ أوامر الخليفة إلى الوالي، أو من ينوب عنه في المهمات إلى جميع البلدان والأقاليم الداخلة تحت سيطرة الخلافة الأموية.

أما السمة المميزة لهذه الرسائل؛ أنها كانت تحوي بين طياتها تعاليم الدين الحنيف ولها أيضا خصائص مشتركة مع الخطابة من حيث جمال التعبير، وروعة البيان، والبداية، والعرض، والنهاية، والاقتباس من القرآن، والسنة النبوية، والأمثال، والحكم، والأشعار، مع فارق مهم، بأن الرسائل كانت تلجأ أحيانا إلى الألفاظ الجزلة عكس الخطبة التي تحتاج إلى ألفاظ سهلة.

ونحن وإن توسعنا في دراستنا هذه، فنذكر ذلك لنرسم صورة للواقع المعيشي الذي كان له أكبر الأثر في حركة الأدب في تلك الحقبة الزمنية من عمر الخلافة الأموية.

2.2 دواعي الكتابة: (المكاتبات - الرسائل – المراسلات) :

كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق المبادئ، وتوجيه القوى، وضمان الحقوق، فمن خلالها وجه الخلفاء والولاة قادتهم وعمالهم؛ إذ رسموا لهم الطريق في المنهج السياسي والحربي والاقتصادي والاجتماعي والوعظي والثقافي الذي عليهم أن يتبعوه في الأقاليم والأمصار التابعة لدولة الخلافة الأموية؛ لأن الكتابة تعد وسيلة اتصال وتواصل بين الخلفاء والولاة والقادة والعمال وأفراد المجتمع.

وفي الكتابة سجلات العهود وصكوك الصلح التي حفظت الحقوق والواجبات للأمم المغلوبة مع اتساع حركة الفتوح الأموية، وتشابك

1- المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، 1982م، ص : 95، انظر: ملحس، ثريا عبد الفتاح، مدخل إلى أدب العصر الأموي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1989م، ص : 49.

المصالح، وتعقـد العلاقات فعندئذ، سجلت كوثائق سياسية وإداريـة، واجتماعيـة، وحربية.[1]

ولما اتسعت الدولة الأموية وتباعدت أقاليمها، وتعددت شؤونها، دعت الحاجـة إلى كتابة الرسائل السياسية والحربية والمشاورات والوصـايا والتوجيهـات بـين الخلفاء والولاة وقادتهم وعمالهم، لتصريف شؤون السياسية العامة والإدارة والأطر الاجتماعية والاقتصادية والأمنية في أقاليم وأمصار الدولة الأموية، فوكّـل الخلفـاء والولاة كتّابا من العرب أو الموالي الحاذقين ليكتبوا لهم، فأنشئت لها الدواوين حتـى صارت الكتابة في آخر العهد الأموي صناعة متميزة ذات نظم وطوابع خاصة.

ولا شك في أن هؤلاء الكتّاب الّذين عهد إليهم الخلفاء والولاة بكتابة الرسـائل، فقد كانوا من عوامل رقي الكتابة وتطورها، ولعل من خير ما يبين عن ثقافة الكتاب في العصر الأموي، قول عبد الحميد بن يحيى الكاتب في وصيته للكتّاب:" فتنافـسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وابـدأوا بعلـم كتـاب ا – عز وجل – والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حليـة كتابكم، ورووا الأشعار غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، فإن ذلك معين على ما تسموا إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام الخراج ".[2]

ومن هنا، لابد من معرفة اتجاهات هذه الآداب بأطرافها ومـضامينها الذاتيـة والسياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والإنسانية، أو ما يمكن أن نسميه المحور الموضوعي.

3.2 أنواع الرسائل الأموية:

لا شك أن العصر الأموي، وكما هو شأن كل عصر أدبي شهد ظهـور أنـواع نثرية جديدة، وكان ذلك تلبية لـبعض الحاجـات النفـسية والفنيـة والموضـوعية والتعبيرية عن روح العصر والمجتمع آنذاك، **وتتمثل في:**

1- قميحة، جابر، أدب الخلفاء الراشدين – روافد الثقافة وعوامل التأثير -، ص: 20-21 .

2- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 85/1، انظر: الحـوفي، أدب الـسياسة فـي العصر الأموي، ص : 416- 417.

1.3.2 الرسائل السياسية:

كان القطب الذي دارت فيه المكاتبات والرسائل والمراسلات السياسية هو نظام الخلافة، الذي دار حوله الصراع بين الفرق والأحزاب والعصبيات القبليـة ضـمن نشاطهم السياسي، وهكذا نرى أن الرسائل السياسية تمثل جانباً مـن حيـاة الأمـة السياسية وتعكس أحداثها وشؤونها ونوازعها في الفتن والثورات والأحداث[1]، ولقد تعددت الموضوعات في الرسائل السياسية، فكانت تدور- غالباً- حـول الأحـداث السياسية الجسام، المتضمنة :

1- الحق الإلهي المقدس للخلافة الأموية:

عمل بنو أمية منذ تسلمهم زمام الخلافة على تبرير فكرة حكمهم على صـعيد الفكر السياسي المؤيد بالفكر الديني، فلذا سنوا بذلك مبدأ ثابتاً لقيـام دولـتهم[2]، إن الأمويين كانوا يصرون على أنهم مميزون، وأنهم كانوا يقفون بوجه أي محاولة من الأحزاب السياسية المناوئة والقبائل لمشاركتهم في هذا التفرد في الخلافـة وتركيـز العرش[3]، وهذا الاتجاه نلمسه عند ولاة بني أمية في الدفاع عن سـلطان الخليفـة الأموي.

وزيادةً على ذلك، فإن الحق الإلهي الذي زعمه الأمويون واستندوا إليه في أمر الخلافة جعلهم يعولون على مقتل الخليفة عثمان بن عفان – رضي ا عنه- فهـم ورثته وإنهم أحق بالخلافة من غيرهم، فراح الأمويون وولاتهم يقنعون الناس بـأن وجودهم وتصرفاتهم مهما كانت أمر إلهي، وقدر مرسوم لا يمكن تغيره وتبديله، ولا جدوى من الثورة عليه أو الانتقاص منه فطاعة الإمام عندهم واجبة فـأي تمـرد أو خروج مصيره الفشل والدمار[4]، وهذا ما كان يردده الولاة جميعهم.

1- فارس، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 43- 44 .

2- الجبيلي، سجيع، البيت السفياني في الشعر الأموي، ص: 205 .

3- زراقط، عبد المجيد حسين، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983م، ص: 36 .

4- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص : 65 .

ومهما يكن من أمر، فإن زعمهم لنظرية الحق الإلهي المقـدس، تمثلـت عنـد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كتب لعبد الملك بن مروان بأنه أفضل من الرسـول إليهم، يقول: "إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليهم من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلةً من المرسلين"[1]، ويمضي الحجاج في رسـالة بعثهـا لأهل العراق وهاتفاً لهم بأن عبد الملك بن مروان خليفة ا في الأرض، ووصـيه على عباده، يقول:" إن أمير المؤمنين استخلفه ا فـي بـلاده، وارتـضاه إمامـاً على عباده" [2].

فكان الغرض الأساس للسياسة الأموية الحصول على طاعة الرعية، فعندئـذ لا بد من أن يتمسح الأمويون بإرادة ا وما تقود إلى الطاعة الراضية المرضية وهـذا ما تمثل في جل رسائلهم، وهو تحذير للمسلمين من الثورة والخروج على الطاعـة ولزوم الجماعة ووحدة الأمة، فلذا؛ تبنى الأمويون وولاتهـم مواجهـة الأحـزاب والفرق المذهبية التي راحت تجادل في أمر الخلافة الأموية، ونظروا إلى الخارجين لصوصاً من لصوص الفتن يجب قمعهم وإرهابهم بالسيف والتحكم بسياسة العطـاء والرزق، فكان لابد من ملجأ للناس الراضين الراضخين أو المناوئين لسياستهم فكان القدر ماثلاً في تحديد طبيعة الصراع ومضمونه، وهذا ما يتضح من الحوار التـالي الذي دار بين الحجاج وقطري بن الفجاءة أحد زعماء الخوارج، إذ يقول له:" أما بعد فإنك كنت أعرابياً بدوياً تَستطعم الكِسرةَ، وتحن إلى التمرة، ثم خرجتَ تحـاول مـا ليس لك بحق"[3]، فرد قطري عليه قائلاً:"بل ا بصرني من دينه ما أعماك عنه! إذ أنت سائح في الضلالة، غَرِقٌ في غمرات الكفر"[4]، فهؤلاء أعراب اختطوا طريق المعارضة، فقراء بصروا بدينهم، فأشهروا السيف يريدون حقهم المغتـصب الـذي اكتسب بصفة الحق الإلهي.[5]

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد،2/ 175 .

2- الجاحظ، البيان والتبيين /300/1.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 251/2.

4- الجاحظ، البيان والتبيين، 251/2.

5- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، 337.

لا شك في أن التمرد والثورة عنوان كبير سأله الحجاج لجحدر الحنفـي عـن أسباب خروجه، فقال جحدر: "جرأةُ الجنان، وجفوةُ السلطان، وكلب الزمان"[1]، ففي هذا التعبير نلمس رؤية الأعراب وأسباب خروجهم، فمنها الفقر، وقسوة الـسلطان، وجفوة الزمان، ونلمس كذلك نتائج السياسة الأموية في رسالة زياد بن أبيـه إلـى معاوية، إذ يقول: "دوختُ العراقَ، وجبيتُ برها وبحرها، وغثّها وسمينها، وحملـت اك لبها وقشورها"[2]، فهذه الرسالة من زياد للخليفة معاوية تمثل سياسـة الـبطش والقسوة للرعية فكأنه يرى في الناس سائمة هو راعيها[3]. وفي مسألة الحق الإلهي يوجه الحجاج رسالته إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، ويصفه بأنه ظـل ا فـي الأرض، وأن ا يحوطه بعنايته ويرشده إلى الصواب والحق، ويمنعه من الـضلال فيقول: " لعبد الملك، أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، المؤيد بالولاية، المعصوم من خَطَل القول، وزلل الفعل بكفالة ا الواجبة لذوي أمره"[4]. وكأن رسالة الحجاج هذه منشور سياسي عنوانه الطاعة من الجميع، ولـذا، جـاءت مقولـة الخـوارج لتدحض حق بني أمية في الخلافة بشعارهم "لا حكم إلا ".

2 - مسألة إلحاق- زياد بن أبيه - بنسب معاوية بن أبي سفيان:

بداية رغب معاوية زياداً بن أبيه بمناصرته، وهو عازم علـى إلحـاق زيـاد بنسبه، ويطالبه بأخذ البيعة له، ليحقن دمه، وإلا سينتقم منه شر انتقام، فدارت بينهما مكاتبات ومراسلات عديدة حول هذه المسألة، فكتب معاوية إلى زياد: "مـن أميـر المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد، أما بعد، فإنك عبـد قـد كفـرتَ النعمةَ واستدعيتَ النقمةَ"[5]، فرد زياد رداً قاسياً على رسالة معاوية، قائلاً: " أما بعد: فقد ورد إلي كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه، فوجدتُك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث

1- الأصفهاني، الأغاني، 22/ 221 .

2- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص: 27

3- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص: 382 .

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 25 .

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،4/ 805-806، انظر: الحـوفي، أدب الـسياسة فـي العصر الأموي، ص: 368-369 .

بالطحلب ويتعلق بأقدام الضفادع طمعاً في الحياة،إنما يكفر النعم ويستدعي النقم من حاد الله ورسولُه وسعى في الأرض فساداً. فأما سبك لي فلولا حلم ينهـاني عنـك وخوفي أن أدعى سفيهاً لأثرت لك مخازي لا يغسلها المـاء. وأمـا زعمـك أنـك تخطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازيـاً يفْزعـه صـفير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكلَه خروفٌ ؟ فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك، فلست أنزل إلا بحيث تكره واجتهد إلا بما يسوؤك، وستعلم أينا الخاضع لصاحبه الطـامع، والسلام"[1].

فحينها لجأ معاوية بن أبي سفيان في تعامله مع زياد إلى أسلوب آخـر، فعـين بسر ابن أرطأة القرشي سنة (41هـ / 661م) والياً على البصرة، وأمره بقتل مـن يخالفه، ولعل معاوية حرضه على التعرض لأبناء زياد الأكابر، ومنهم: عبدالرحمن، وعبيد الله ، وعباد، فحبسهم كمحاولة للضغط على زياد المتحـصن بقـلاع فـارس للتخلي عن ولائه لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، ولكن زياداً لم يـستجب لتهديدات بسر ابن أرطأة، وكتب زياد إليه،: " لست بارحاً مكاني الذي أنا به، حتـى يحكم الله بيني وبين صاحبك، فإن قتلت من في يدك من ولدي، فالمـصير إلـى الله سبحانه، ومن ورائنا وورائكم الحساب".[2](وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون) " [3]، ولكن بسراً بعد مفاوضات أفرج عن أولاد زياد.

وبعد هذه الرسائل القاسية بينهما أدرك معاوية حاجته إلى زياد فبعث المغيرة بن شعبة لزياد، وأقنعه بمهادنة معاوية، حاملاً له الرسالة التالية**:** "علام تهلك نفسك؟ فأقبل إلي فأعلمني ما صار إليك مما اجتبيت من الأموال وما خرج من يديك وما

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،805/4- 806، انظـر: حمـادة، الوثـائق الـسياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:156.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 167 – 168، انظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، لجنـة التـأليف والترجمـة والنشر،القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 20 / 290– 291، انظر: الخربوطلي، علي، تـاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، مصر، ط1، 1959م، ص: 88 .

3- سورة الشعراء، الآية : 227.

بقي معك وأنت آمن، فإن أحببت المقام عندنا أقمت، وإن أحببت أن ترجع إلى مأمنك رجعت"[1]، فرد زياد برسالة لطيفة، يقول:"أما بعد: فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد الذي عرفك الحق وردك إلى الصلة ولست ممن يجهل معروفاً ولا يغفل حسباً، ولو أردت أن أجيبك بما أوجبته الحجةُ واحتمله الجواب لطال الكتاب وكثر الخطاب، ولكنك، إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة، وأردت في ذلك براً فستزرع في قلبي مودةً وقبولاً، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكراً وفساد نية فإن النفس تأبى ما فيه العطب، وإني على أمثال ذلك قدير. وكتب في أسفل الكتاب"[2]:

إذا معشَري لم ينْصِفُوني وجدتني أدفع عني الضيم ما دمتُ باقياً

وبعد ذلك، توجه زياد إلى دمشق بعد أن أمنـه، فخـرج مـن فـارس سـنة (42هـ/662م)، قاصداً معاوية وعند قدومه دمشق أكرم معاوية وفادة زياد، وتلطف له، ثم سأله عن أموال الناس، فأخبره زياد بإنفاقها في وجوهٍ متعددة فصدقه معاوية، وأثنى على أمانته، قائلاً: " قد كنت أمين خلفائنا ".[3]

فهذا الدهاء والحكمة من الرجلين ينُم عن تبدل في الموقف السياسي بينهما على أثر تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب، وبعد أن صالح زياد معاوية، سأله أن يأذن له في نزول الكوفة، فأذن له، فشخص زياد إلى الكوفة، وكان واليها آنذاك المغيرة بن شعبة، صديقه الذي أكرمه.

وفي سنة (44هـ / 664م) حضر زياد من الكوفة إلى دمشق، ومعه الشهود، فجمع معاوية الناس؛ ليلحق زياداً بنسب أبي سفيان، فصار يدعى زياد بن أبي سفيان

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 135، انظر: حمادة، الوثـائق الـسياسية والإداريـة العائدة للعصر الأموي، ص:156- 157.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،4 /807-808 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 178، انظر: الرواضية، صالح محمـد، زيـاد بـن أبيه - ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام -، منشورات – جامعة مؤتة – عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا، ط1، 1994م، ص: 80 .

ولكي يؤكد معاوية صحة إلحاق زياد، ويربطه في أسرته، فقد زوج ابنته من محمد بن زياد[1].

3 - مواقف التأييد والرفض من البيعة - وولاية العهد - :

في سنة (56هـ)، أدرك معاوية بن أبي سفيان بعد انتساب زيـاد لـه أن لا شيء يهدد جبهته الداخلية ويدعم موقفه السياسي والعسكري سوى تمسكه بالخلافـة، فكان لابد من أن يوطئ بأمر هام يعلنه في حينه، وإنه سيقيم أساس المبايعة ليزيـد على أحقيته لها[2]، ومن عادة دهاة السياسة أنهم عندما يقررون أمراً خطيراً يهيئون الناس له ليستطلعوا ردة الفعل عليه، ويقيسون مدى الاستجابة لهذا القرار الـسياسي الذي ينوون تنفيذه، وهذا ما فعله مهندس السياسة الأموية معاوية حين طلب البيعـة لابنه يزيد، ويذكر الحصري في زهر الآداب، قوله: "كان معاوية إذا أراد شيئاً ألقى منه ذرءا إلى الناس فإذا امتنعوا كف وإن رضوا أمضى"[3]، وهذا القـول، بمثابـة المنشور السياسي الذي يتضمن تبينا لآراء الناس لموقفٍ سياسي محدد، وفـي هـذه المسألة بسط الأمويون نظرية الوراثة فيهم وتكاد تكون ولاية العهد وثيقة تاريخيـة مهمة في تاريخ البيت الأموي التي لم يعهدها الناس من قبل "[4].

ولما تمت البيعة ليزيد المسلمون إلى مؤيد ومعارض راضين بالبيعة ونـاقمين وساخطين على سادتها، فكانت الإقليمية الـشامية المؤيـدة والعراقيـة والحجازيـة الساخطة والناقمة، ففي الشام بنو أمية ومقر الخلافة، وفي الحجاز قرشيون رأوا أنهم أولى بالخلافة من يزيد، وأنصار يؤثرون الحسن والحسين ويشايعونهم، وفي العراق متمردون وساخطون على سياسة بني أمية من الخوارج والشيعة، فلم يكتموا سخطهم بل جهروا به بالكلمة وإشهار السيف، فكانت رؤية ورسالة المعارضة لبنـي أميـة

1- العصفري، خليفة بن خياط، كتاب: التاريخ، 191/1، انظر: ابن أبي الحديد، شـرح نهـج البلاغة، 16 / 189 .

2- الجبيلي، البيت السفياني في الشعر الأموي، 212 .

3- الحصري، إبراهيم بن علي،ت(453ه)ـ، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد علـي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1953م، 4/ 1094 .

4- الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب ، 4/ 1094 .

سياسية دينية خالصة[1] جرتها ولاية العهد على الأمة فكان كل حزب سياسي أمـام هذه المسألة يزعم أنه على حق، وأنه حزب ا وا ناصره، فكان يصف خـصومه بالضلال والكفر، وهذا صريح في كثير من الرسائل المتبادلة بين الأحزاب ونظرتهم إلى الحكم الأموي وسياسته.

لذا، كانت طبيعة المعركة بين مكونات السياسة الأموية جهاد مقدس في سـبيل الخلافة[2]، وفي خضم الأحداث المتسارعة قامت الأحزاب السياسية تناضل وتكـافح السياسة الأموية في استحالة الخلافة ملكاً وراثياً، لذا رأينا تأييداً ومعارضـة عنيفـة وثائرة تارة، أو مهادنة متربصة تارة أخرى، فكانت حالة الانشقاق والتشظي والفرقة ماثلة في الأمة إذ تمحورت في الأحزاب والعصبيات القبلية والجنسية أثناء خـروج الساسة من بني أمية وعمالهم وولاتهم لكبح جمـاح المعارضـين لفكـرة توريـث الخلافة[3]، فجاءت ردود الفعل المؤيدة لبيعة يزيد ماثلة في قول عمر بـن هبيـرة الفزاري لما ولي العراق وخراسان إن ا كتب الخلافة ليزيد بن عبد الملك لجماعة من القراء فيهم الحسن البصري، والشعبي، وأمرهم بالانصياع له، فقال:" إن يزيـد ابن عبد الملك خليفةُ ا ، استخلفه على عباده، وأخذ ميثاقهم بطاعته، وأخذْنا عهـدنا بالسمع والطاعة "[4].

وظل معاوية يناشد ولاته فأمر سعيد بن العاص أن يأخذ أهل المدينة أخـذاً شديداً بالبيعة ليزيد، فحاول ذلك سعيد فلم يقدر فكتب إلى معاوية، "إنه لم يبايعني أحد وإنما الناس تَبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً لم يتخاف عنك أحد"[5]،

1- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 21- 22، 159 .

2- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص: 83 .

3- عبود، مارون، أدب العرب – مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسـير مـشاهير رجالـه – وخطوط أولى من صورهم، دار مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1979م، ص: 115 – 116.

4- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 212/3، انظر: الحـوفي، أدب الـسياسة فـي العصر الأموي، ص:159.

5- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،1/ 286 .

وكان هذا موقف لرفض البيعة من العبادلة والحسين لأنهم خير منه، ولكن البيعة في نهاية الأمـر تمـت بقـوة الـسيف، ومـا جرتـه مـن شـرور علـى النـاس، وكذلك فعل عبد الملك بن مروان في أخذ البيعة لابنه الوليد، وخلـع شـقيقه عبـد العزيز بن مروان من ولاية العهد، فكتب: عبد الملك"إني رأيت أن تُصير هذا الأمر لابن أخيك"[1]. فجاء الرد سريعاً من عبد العزيز إلى عبد الملك، فكتب: "يـا أميـر المؤمنين: إني وإياك قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقـاؤه قلـيلاً، وأني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت أن لا تَغْثُثُ علـي بقيـة عمري فافعل"[2] فكل هذه الرسائل عنوانها الارتهان والاحتراف لصاحب الـسلطان، أي توظيف المقدرة في خدمة السلطان القائم وتنفيذ سياسته، وهذا ما تمثل في رسالة عبيد ا بن زياد إلى مروان بن الحكم عندما اضطرب أمـر النـاس يحثـه علـى المطالبة بالخلافة لنفسه، جاء فيها: "ادع الناس إلى بيعتك واكتب إلى حسان بن مالك فليأتك فإنه لن يردك عن بيعتك، ثم إلى الضحاك فقد أصحر لك".[3]

4- الحملة على الخصوم:

كان كل حزب سياسي يزعم أنه حزب ا ، وأن ا ناصره، وكـان يـصف خصومه بالكفر والضلال، وهذا صريح في كثير من ألوان الأدب الأمـوي بنظمـه ونثره.[4]

فلذا، جاءت الحملة من البيت الأموي الحاكم وولاتـه علـى خـصومهم إثـر اضطراب الحملة السياسية، نتيجة البدع التي أحدثها الأمويون على الساحة العربيـة من اغتصاب الخلافة وتوريث الحكم، فمن هنا جاء رد الخصوم ضد بني أمية بأنهم طلاب دنيا وملك حيث تركز التوجيه والرد من الخلفاء والولاة حول تكفير الخارجين

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك 207/5 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،208/5.

3- ابن سعد، محمد بن سعد، (ت230هـ)، الطبقات الكبـرى، دار صـادر، بيـروت (د.ط)، (د.ت)،41/5، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعـصر الأمـوي، ص :230.

4- الحوفي، أدب السياسية في العصر الأموي، ص: 150- 151 .

على السياسة والنظام والمنكرين لإرادة ا ،فوصفوا المناوئين لهم بالمشاغبين الـذين توجب ملاحقتهم وتأديبهم، ونلمس ذلك في رسالة زياد بن أبيه إلى الحسن بن علي، وذلك حين طالبه برجل دخل في الأمان عنده، يقول: "من زياد بن أبي سفيان إلـى الحسن،" أما بعد، فقد أتاني كتابك في فاسقٍ يؤيه الفُساقُ من شيعتك وشـيعة أبيـك، وأيم ا لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك، وإن أحب الناس إلي لحماً أن آ كُلَه لَلحـمٍ أنت منه"[1]، فكانت مواقف المعارضة من أمر المبايعة ليزيد بن معاوية أمراً لا يقبل المساومة، ولذا، جاءت رسائلهم في أغلبها على شكل سباب وتهديد ووعيد وقسم، بل كادت تتخذ شكل الهجاء المقذع، فكما رأينا في رسالة زياد السابقة الموجهة للحـسن ابن علي، ومثيلاتها كثر في رسائل الولاة إلى المعارضين لسياستهم، فجل الولاة من بني أمية لم يداجوا المعارضة، ولم يقبلوا منهم شق عصا الطاعة، فكانت المواجهة الدامية بين تلك الفرق والأحزاب الذين أعيوا السلطان الأموي وأتعبوه، وهذا ما نقله رسول الحجاج له بعد عودته من جبهة المعركة مع الخوارج، إذ يقـول :" رأيـت قوماً لا يعين عليهم إلا ا "[2].

وتوالت الثورات وتسارعت الأحداث في وجه بني أمية وولاتهم، ومهما يكـن من أمر، فقد ازدادت حالة العراق سوءاً بوفاة بشر بـن مـروان والـي الكوفـة والبصرة في أوائل عام (75هـ / 694م)، فواجه العراق فراغاً سياسياً، اضطربت معه الأمور، واشتدت شوكة الخوارج وضغطهم على الأهواز والعراق، مما اضطر المهلب بن أبي صفرة إلى أن يكتب إلى عبدالملك بن مروان، قائلاً: "لـيس عنـدي رجال أقاتل بهم، فإما بعثت إلي بالرجال، وإما خليت بينهم وبين البصرة"[3].

وكتب الحجاج رسالة إلى قطري بن الفجاءة يعـرض عليـه إقطاعـه بعـض الأرضين جاء فيها: "سلام عليك، أما بعد: فإنك مرقت من الدين مروق السهم مـن الرمية، وقد علمتُ حيث تَجرثمتَ ذاك بأنك عاصٍ ولولاة أمره. غير أنك أعرابي جِلْفٌ تستطعم الكسرة وتستشفي بالتمرة، والأمور عليك حسرةٌ، خرجتَ لتنال شبعةً،

---

1 - الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 299 .

2- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 2/ 271 .

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3/ 126.

فلحق بك طَغَام صلوا بمثل ما صليت به من العيش، فهم يهزون الرماح ويستنشئون الرياح على خوف وجهد من أمورهم، وما أصبحوا ينتظرون أعظـم ممـا جهلـوا معرفته ثم أهلكهم ا ، والسلام".[1]

فيرد قطري على الحجاج بكتاب أعنف أسلوباً، وأقـسى عبـارة ممـا يجعـل الرسالتين أقرب إلى سهمي تراشقٍ ورمحي طعان منهما إلى كاتبين كبيـرين مـن رؤوس رجال العصر، يقول قطري في رسالته: "من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف، سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حـريم ا ويرهبـون نقمـه، فالحمد على ما أظهر من دينه، واطلع به أهل السفال، وهدى به مـن الـضلال، ونصر به عند استخفافك بحقه، كتبت إلي تذكر أني أعرابي جلف أمـي، اسـتطعم الكسرة واستشفي بالتمرة! ولعمري يابن أم الحجاج إنك لميت في جبلتك مطَّلِخِم فـي طريقتك، واهٍ في طريقتك، لا تعرف ا ولا تُجِزه من خطيئتك يئست واستيأست من ربك، فالشيطان قرينك، لا تجاذبه وثاقك، ولا تنازعه خناقك فالحمد لو شاء أبرز لي صفحتك، وأوضح لي طلعتك، فوالذي نفس قطري بيـده لعرفـت أن مقارعـة الأبطال، ليست كتصدير المقال، مع أني أرجو أن يدحض ا حجتك، وأن يمنحنـي مهجتك"[2]

تبين هذه الرسالة القوة وسياسة البطش آنذاك لإخضاع رقاب النـاس لـسياسة الدولة، الأمر الذي دعاهم لخلع الطاعة والخروج والتهديد والوعيد، حيث نجد فـي الرسالتين الترتيب والتشذيب والرشاقة والترابط ونـضوج الـذوق الفنـي وحـسن التصوير وقوة العقل والفكر مع متانة التراكيب وقوة الألفاظ، ومهما يكن من أمـر، فإن الحجاج قد بعث برسالة جوابية كلها تهديد ووعيد إلى سليمان بن عبـد الملـك، يقول:" بسم ا الرحمن الرحيم. من الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملـك، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإنك كتبت إلي تذكر أني امرؤٌ مهتـوك عنـي حجاب الحق، مولَع بما علي لا بما لي، منصرفٌ عـن منـافعي، تـارك لحظـي، مستَخّفٌ بحق ا وحق ولي الحق، وتذكر إنك ذو مصاولةٍ، ولعمري، أنك لـصبي

1- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 270/1-271 .

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 310/2-311 .

حديث السن تُعذَر بقلة عقلك وحداثة سنك وتُرقب فيك غيرك. فأمـا كتابـك إلـي فلعمري لقد ضعف فيه عقلُك واستخِف به حِلْمك. فلله أبوك! أفلا انتصرت بقـضاء ا دون قضائك، مع أني أرجو أن ترغب فيما فيه أبوك وأخوك فأكون لـك مثلـي لهما، وإن نفخ الشيطان في مِنْخَريك فهو أمر أراده ا ونزعه عنك، وإخراجه إلـى من هو أكملُ به منك، ولعمري إنها لنصيحةٌ، فإن تَقْبلْها فَمِثْلُها قُبِلَ، وإن تردها علي اقتطعتها دونك، وأنا الحجاج"[1]، وهذا الأمر لم يكن مألوفاً بين الوالي ورعاة البيـت الأموي.

5- خلع الطاعة والثورة:

ما كان بنو أمية يجهلون أنهم،ظفروا بالحكم عن طريق القوة، وأن جل أهل الأمصار ما دانوا لحكمهم إلا مكرهين، وأن أعداءهم – وإن تظاهروا أحياناً بالطاعة وأخلدوا إلى السكينة – يتربصون بهم الدوائر ويتحينون الفرص للثورة عليهم فكان الولاة في الحزب الأموي يعمدون في رسائلهم وتوقيعاتهم إلى تهديد الخارجين عليهم ويتوعدونهم بالنكال وسوء المصير[2].

وخير ما يمثل هذا الاتجاه كتاب عبد الرحمن بن الأشعث الذي أنـشأه ابـن القرية وأملاه حين اقترح عليه تأنيب الحجاج وتقريعه، وفيه يقول: "سلام على أهـل طاعة ا الذين لا يسفكون دماً حراماً، ولا يدرسون أعلاماً، ولايدللون الفجـرة، ولا يتراضون الجورة، وبعد، فإن ا أنهضني لمصاولتك، وبعثني لمناضلتك، حـين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك، فأصبحت عريان حيران مهيناً، لا تُوافقُ وفْقاً، ولا تُرافقُ رِفْقاً، ولا تلازم صدقاً، أؤمل من ا أن يجيء في القرن[3]، ويسحبك للذقن، وخلت أن لن تبور وأنت في فلك الملوك تدور"[4]، ويلاحظ أن السجع هـو الـسمة الغالبة على هذه الرسالة وقرائنها، ويعلق العمد في معرض حديثه، بقولـه:"ومهمـا

1-ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/41-43.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 94 .

3 - القرن: الحبل الذي يقرن به البعيران .

4- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 26، انظر: صفوت، جمهرة رسـائل العـرب، 2/191- 192 .

تعددت أسباب ثورة ابن الأشعث ودوافعها، فإنها ستبقى ثورة عراقية في المقام الأول تفاعلت فيها عوامل إقليمية وشخصية"[1]، وجرت مواجهات ضارية بين الطـرفين، حيث رغب أهل الشام الخليفة عبدالملك بمـصالحة أهـل العـراق، وأن يـستجيب لمطالبهم وشروطهم حقناً للدماء، فكأن صاعقة تنزل على الحجاج لما سـمع بهـذه المصالحة، ونتائجها السلبية فيما بعد، فكتب إلى أمير المؤمنين عبدالملك "وا لـئن أعطيت أهل العراق ما يحبون من نزعي، وعرفوا أنك تحب مداراتهم لم يلبثوا قليلاً حتى يخالفوك، ويسيروا إليك" [2]، فمن رسائله الموجهة إلى الخليفة عبدالملك نلمس رأي الحجاج السياسي في إقناع الخليفة عبدالملك بأن أهل العراق لن يقبلـوا هـذه الشروط، ويتخلو عن ابن الأشعث، ويقـع الانقـسام فـي صـفوفهم، واسـتمرت الاشتباكات بين الطرفين، حيث تمكنت القوات الأموية من سحق ثورة ابن الأشـعث في عام (82هـ / 701م)، ومن سانده من القراء الذين لقوا مـصرعهم علـى يـد الحجاج فيما بعد، ولعبدالملك والحجاج خطب عديدة، ورسائل كثيرة في هذه الثـورة المريرة من عمر الدولة الأموية، فكان انسحاب وانكسار ابن الأشعث مـع بعـض اتباعه ومطاردة القوات الشامية لهم، حيث تمكن ابن الأشعث من طلب حق اللجـوء السياسي عند عدوه الأول (زونبيل) صاحب الترك، غير أن مكاتبات التهديـد التـي بعث بها الحجاج لـ (زونبيل)، دفعته لتسليم ابن الأشعث، ومنهـا تلـك الرسـائل الموجهة من الحجاج إلى (زونبيل):" إن الكذاب الشرود عبدالرحمن بـن الأشـعث رجلٌ غدار فاجر مائق، معرق له في الغدر والفجور، فلا تثق به، ولا تؤويه "[3].

كذلك حاول بعض ولاة بني أمية خلع الطاعة، نتيجة للوشاية وضغوط الخلفاء عليهم وكثرة الأحداث والثورات كما جاء في رسالة جوابية بعثها عمرو بن سـعيد (الأشدق) إلى عبد الملك، جاء فيها: أما بعد: "فإن استدراج النعم إياك أفادك البغـي، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة؛ زجرت عما وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولو كان ضعف الأسباب يؤنس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز، وعما قليـل

1- العمد، إحسان، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 272- 273.

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 7 / 30 .

3- البلاذري، أنساب الأشراف 7/ 38 .

يتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع، والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك ما غيرك أقوم به منك، والسلام"[1].

ومن هذا اللون (أيضاً)، رسالة قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك يعلـن فيها نزع الطاعة:" لئن لم تقرني على ما كنت عليه لأخلعنك خلع النعل، ولأملأنهـا عليك خيلاً ورجالاً"[2].

وتوالت عوامل وأسباب نزع الطاعة كما توضحه نص بيعة يزيد بن المهلب التي بايعه الناس عليها لما خلع طاعة يزيد بن عبد الملك: "تبايعون على كتـاب ا وسنة نبيه - صلى ا عليه وسلم -، وعلى أن لا تطأ الجنود بلادنا، ولا بيـضتنا، ولا تعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج، فمن بايعنا على ذلك قبلنـا منـه ومـن أبـى جاهدناه، وجعلنا ا بيننا وبينه "[3].

6- العصبية القبلية والجنسية (الشعوبية)، وأمر الدعوة العباسية:

كانت سياسة التفريق سلاحاً من أسلحة الأمويين، اسـتغلوه وانتـصروا بـه، وشغلوا الناس بأنفسهم، وشغلوهم بالعصبية، وتقووا بها، ثم ارتـد الـسلاح علـيهم فقوض ملكهم الذي بنوه، وهذه العصبية، نوعان: نوع بعثه بنو أمية من مرقده، بعد أن اختفى في صدر الإسلام، ونوع جديد لم يعمدوا إلى بعثه وإيقاظه، بل نجم فـي عصرهم، نتيجة لبواعث اجتماعية وسياسية واقتصادية ومذهبية.[4]

لذا، كان مقتل الخليفة عثمان والمطالبة بدمه تأريثاً لهـذه العـصبية وتوسـيعاً للعداء بين القبائل العربية النزارية والقحطانية[5]، وأدت هذه القبلية إلى انقسامهم إلى شيع وأحزاب متناحرة بأسهم بينهم شديد، وكان بعض الولاة بتعصبهم لقبائلهم أشـد إغضاباً للناس من الخلفاء مثلما كان يفعل خالد بن عبد ا القسري والي هشام بـن

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 4 / 87 – 88، انظر: حمـادة، الوثـائق الـسياسية والإداريـة العائدة للعصر الأموي، ص:295.

2-العسيلي، قتيبة بن مسلم الباهلي، 69 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 339/5 .

4- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 432 .

5- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:435 – 436 .

عبد الملك على العراق حيث كان شديد التعصب لقومه اليمانية يؤثرهم بالمناصب وينحي غيرهم من المضرية؛ فلذلك اشتعلت العصبية في البيئات والأقاليم والبوادي والحواضر، وتفاقم خطرها فلم يقتصر بعض الولاة على التقريب والإيثار أو الإبعاد والحرمان والوشاية، بل تجاوزوا ذلك إلى سفك الدماء،[1]، وجعل كثير من الولاة يفعل مثل ذلك، فكانت نيران العصبية لا تخبو أوارها في كل صقع، وإذا خبا فإنه لا يلبث أن يشتعل، فبنو أمية بهذه السياسة التي حسبوها خيراً لهم في أول الأمر تجرعوا مرارتها في نهاية دولتهم، وبهذا صارت العصبية مرضاً في المجتمع وهذا ما ورد في رسالة يوسف بن عمر إلى هشام بشأن ترشيح عدد من الأشخاص وذكر في آخرهم نصر بن سيار، يقول:"يا أمير المؤمنين: نصر بخراسان قليلُ العشيرة"[2].

وزيادةً على ذلك، فقد نجمت عنها فتن وثورات ومنازعات بالعراق وخراسان وفارس ومصر والشام وإفريقية والأندلس، وفي هذا المجتمع الممزق الساخط بث بنو العباس دعاتهم، فجعلوا يشهرون ببني أمية ويدعون لبني العباس، وجعلوا يستغلون حنق النزارية وحنق اليمانية الذين قد تزايد غضبهم على سياسة بني أمية، وعلى آخر خلفائهم مروان بن محمد. وسرعان ما دنت النهاية المحتومة، وأنذر نصر بن سيار والي خراسان بني أمية، بقوله[3] :

أرى خَلَلَ الرمادِ وميضَ نارٍ ويوشِكُ أن يكون لها ضِرام [4]

لذا، تكهن نصر بن سيار بما تجره العصبية النزارية واليمانية من شرور تحيق بالعرب وبدولتهم من العباسيين والفرس المتربصين بهم في، قوله:

أبلغْ ربيعةَ في مروٍ وإخوتِهم فَلْيغْضبوا قبلَ ألا ينفع الغضب[5]

1- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:438 -439 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 471 .

3- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 440 .

4- الأصفهاني، الأغاني، 15/ 116، انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2/ 25، انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 240 .

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 241 .

لكن التحذير لم يغن من الأمر شيئاً، إذ كانت دعوة بني العباس أقوى من الحيطة والمقاومة، فكانت القبائل اليمانية قد رحبت بالدعوة العباسية وآزرتها، فهدمت صرح بني أمية، وأقامت صرح بني العباس،[1] وقد تجلى تأثيرها الأدبي في الرسائل المتبادلة بين الولاة مع بعضهم بعضاً ومع الخلفاء، ثم إن بعض ولاة بني أمية احتقروا بعض العرب لأبناء الإماء، ثم إن بعض ولاة بني أمية قد أساءوا معاملة الموالي كالحجاج: " فإنه أمر بألا يؤم الناس في الصلاة إلا عربي".[2]

ونفى الحجاج كذلك النبط من واسط، وكتب إلى عامله بالبصرة يأمره بنفيهم منها، لأنهم مفسدة للدين والدنيا، فرد عليه الحجاج، بقوله: "إذا قرأت كتابي هذا فادعوا من قبلك من الأطباء، ونم بين أيديهم، ليقفوا عروقك، فإن وجدوا فيك عرقاً نبطياً قطعوه"[3]، وأمام هذا الحنق والازدراء من العجم والموالي تولد الصراع الجنسي الذي سمي (بالشعوبية) بينهم وبين العرب، وتلك العصبية الشعوبية كان لها دوي في العصر العباسي حيث ألفت فيها رسائل وكتب وأشعار كثيرة.[4]

ولما أضرمت نار الخلاف بين الأمويين والقبائل، ووقعت العصبية بين المضرية واليمانية، لأن الحكومة كانت في عهد مروان بن محمد لا توظف إلا مضرياً، فوالي خراسان نصر بن سيار، كان متعصباً على اليمانية لبغضهم، فغضب زعيمهم الكرماني، واعتزل الحكومة، وناصب العداء، لهم فوجد أبو مسلم الخراساني ضالته حيث استمال الكرماني لصفه؛ لأنه على خلاف مع نصر الذي زج به في السجن، وظل العرب يقتتلون بخراسان أشهراً، والخراساني يتربص بهم دوائر الشر والهلاك، فتألم نصر بن سيار لما أصاب العرب، فاستنجد بمروان بن محمد ليدرأ عنه خطر العباسيين، فكتب نصر إلى مروان بن محمد رسالة جاء فيها:" تدارك

1- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 441 .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/ 207 .

3- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 1/ 218 .

4- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:457، انظر : النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 29 – 32 .

الأمر يا أمير المؤمنين، وابعث إلي بجنود من قبلك يقوى بهم ركني، وأستعين بهـم على محاربة من خالفني "، وختمها بأبياته المشهورة [1]:

أرى خَلَلَ الرمادِ وميض نارٍ   ويوشِكُ أن يكون لها ضِرام

فقلتُ مِن التعجبِ: ليتَ شِعري   أأيقـاظٌ أمية أم نـــيام ؟

وتوالت رسائل نصر إلى الخليفة مروان بن محمد، يقول[2] :

والثوب إذا نَهج فيـه الـبِلَى   أعيا عـلى ذي الحيلةِ الراقِـع

وتكررت نداءات الاستغاثة وطلب المدد، فبث رسالة إلى والي العراق يزيـد بـن هبيرة، يقول[3]:

أبلغْ يزيد وخير القول أصدقُه   وقد تَبينتُ أن الخير في الكذبِ

وبعث ابن سيار برسالته الأخيرة لمروان بن محمد بعد أن هرب من خراسـان ومنع عنه المدد، فكتب شعراً[4]:

أنـا وما نَكْتُم مِن أمرِنَا   كالثور إذا قُـرب للـناخِعِ

2.3.2 الرسائل الحربية:

استدعت كثرة الأحداث والفتن والثورات الداخلية والعصبيات القبلية والفتـوح الخارجية في عصر بني أمية إلى ازدهار الرسائل الحربية، وهي التي تحض علـى قتال العدو، وتذكي الحماسة فـي نفـوس المقـاتلين وتحملهـم علـى الاستبـسال والاستشهاد، فتلك الرسائل نجدها مليئة بالانفعال والتأثر، وبعضها يجنح إلى العتاب والتقريع والإنذار والوعيد والوعظ والقسم، إذا آنس من رجاله الوهن والتراخي في قراع الأعداء. لذا، كانت الحروب والثورات مذكية للمكاتبات، فالقـادة الفـاتحون،

1- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 255/3 .

2- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال،ص: 304-306 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7 /37 .

4- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3 /358.

والقادة المقاومون للثورات، فكل منهم يتخذ من المكاتبات سلاحه، لهذا نجد كثيراً من الرسائل المتبادلة موصولة بأحداث سياسية ومواقع حربية.[1] **تمثلت في:**

1 - الأحداث الداخلية:(**الفتن والثورات وحركات التمرد)**:

شهد هذا العصر ببيئاته المتعددة العديد من الفتن والثـورات الداخليـة، ظـل أوارها مشتعلاً طوال هذا العصر، وأهم هذه الثورات ثـورات الـشيعة والخـوارج والزبيرية، والفتن والصراعات القبلية، والصراع بين أبناء البيت الأمـوي، إضـافةً إلى الحروب بين الأمويين والعباسيين[2]،**ومنها :**

أ- ثورات الشيعة:

أما ثورات الشيعة، فقد كانت مدينة الكوفة مقرها وموئلها، وقد اضطروا فـي بعض الأحيان للجوء إلى خراسان هرباً من بطش الأمويين، فقد لجأ إلى خراسـان يحيى ابن زيد [3]، بعد مقتل والده والتنكيل به فكان مصيره شبيهاً بمصير والده.

وكانت فكرتهم السياسية تقوم على أحقية علي بن أبي طالـب وأبنائـه فـي الخلافة، ويعتقد الشيعة أن الأمويين اغتصبوا منهم الخلافة، لذلك ثاروا عليهم منـذ القرن الأول الهجري، حيث تعمقت هذه الفكرة بعد مقتل الحسين بن علي في كربلاء سنة (61هـ)[4]، وجاءت هذه الأحداث وتفاصيلها في العديد من الرسائل المتبادلة، فكانت رسالة عبيدا بن زياد إلى يزيد بن معاوية، شاهدة على مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة إذ بعث برؤوسهم، ومن قتل من زعماء الشيعة مع رسولين، يقول: "أما بعد: فالحمد الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه. أخبر أميـر المؤمنين – أكرمه ا – أن مسلم بن عقيل لجأ الى دار هانئ بن عروة المـرادي، وإني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال وكـدتهما حتـى اسـتخرجتهما

1- الحوفي، أدب السياسية في العصر الأموي،ص: 347 .

2- الهليس، عمرو سعيد، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، وزارة الثقافة، عمـان، ط1، 2002، ص: 29 .

3- الأصفهاني، أبو الفرج، (ت 356هـ)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: أحمد صـقر، دار إحياء الكتب العلمية،القاهرة، (د.ط)،(د.ت)، ص: 152 .

4- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري الثقافة، ص: 10 .

وأمكن ا منهما فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهـل الـسمع والطاعـة والنصيحة، والسلام "[1]، وسرعان ما بدت الوشاية تسيطر على المشهد السياسي بين الولاة، فهذه رسالة يوسف ابن عمر إلى هشام يحرضه على قتـل خالـد القـسري ويتهمه بالتعاون مع زيد بن علي، فيقول له:" إن أهل هذا البيت من بني هاشـم قـد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عـن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقريـة علـى مدرجـة العـراق يستنـشئ أخبارها"[2]، ولكن هشاماً لم يصدق ذلك، فطلب يوسف بن عمر إلى عاملـه علـى الكوفة يأمره بإخراج زيد منها فوراً، فكتب إليه:"أخرجه ولا تؤخره، وإن ادعى أنـه ينازع فليجري جرياً، وليوكل من يقوم مقامه فيما يطالب به"[3].

ب - ثورة عبد ا بن الجارود:

وإزاء تلك المعارضة فكر الخليفة عبد الملك في اختيار والٍ للعـراق يتـصف بالحزم والشدة وحسن التدبير، ليضبط الأمن ويكبح جماح التمرد في هـذا الإقلـيم، والقضاء على الخوارج، فوقع الاختيار على الحجاج بن يوسف الثقفي الذي نفذ تلك السياسة وقضى على عدد من الفتن وحركات التمرد كما هي ثـورة عبـد ا بـن الجارود ضد الحجاج وسياسته، التي كان لها أسبابها العديدة، ومنها حرمانهم الزيادة التي منحهم إياها ابن الزبير، وجاء رد الحجاج بلهجة عنيفة على ما بلغه مـن ابـن الجارود، فقال له: "أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك؟"[4]، تعد هذه الفتنة أول حركة تمرد خطيرة يواجهها الحجاج بن يوسف منذ قدومه العراق، إضافة إلـى قتال جيش (الحجاج بن يوسف) بقيادة المهلب بن أبي صفرة الخوارج.[5]

1-الطبري، تاريخ الرسل والملوك،4 /285-286 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 558 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 448/5 .

4 - البلاذري، أنساب الأشراف، 6/7.

5 - العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 211 .

لقد كان سبب ودواعي ثورة ابن الجارود ضد الحجاج إنقاصه الزيادة التي كان منحهم إياها عبدا بن الزبير، فلذا، كان للعطاء إضافة إلى قيمته المادية الأساسـية في جلب المناوئين لصف بني أمية قيمة معنوية، فكانت قيمته بمثابة مرتبة لصاحبه في المجتمع، ولهذا استغل بنو أمية العطاء في سياستهم بالترغيب والترهيب، وتارة بالتحكم بمصدر العيش والرزق، فهذا هو جوهر التحول حيث نجد سيد القبيلة صار يسوقه شرطي السلطان ودرهمه، ولا تستطيع قبيلته منع هذا السوق أو الحد منه[1]، فلذا، تأزمت الأمور بين الطرفين، وأدرك أهل العراق أن الحجـاج مـصمم علـى إنقاص أعطياتهم، فعندئذ ترامت أنباء الاستعدادات للحرب، فبعث الحجاج برسـوله (لابن الجارود) يستدعيه، فأبى، فما كان من الحجاج إلا أن بعث برسـالة تهديـد شفوية [2]، يقول له: "والذي نفس الحجاج بيده لئن لم تأتني لأدعن قومـك عامـة، وأهل بيتك خاصة كأمة قد بادت وحديثاً للغابرين". [3]

وبعد هذه الرسالة التهديدية الموجهة لابن الجـارود، وكيـف أسـاء لمبعـوث الحجاج؟ فجاء رد ابن الجارود برسالة للحجاج مفادها: "أيها الأمير، إنها ليست زيادة ابن الزبير، وإنما هي زيادة أمير المؤمنين عبدالملك إذ نفذها وأجازها، وجرت لنـا على يد بشر بن مروان أخيه" [4]، فأجابه الحجاج: "وما أنت والكلام، لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنك إياه"[5]، واستنكر ابن الجارود قول الحجاج، فـرد عليـه بلهجـة عميقة التهديد، فقال: "ولم هذا القول، وا إني لك لناصح، وإن قـولي هـذا قـول من ورائي"[6]، ويبدو أن لهجة الخطاب والتهديد والتقريع والتحدي بـين الطـرفين

1- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص:40 -42 .

2- العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية ص : 214 .

3- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 6 .

4- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 6 .

5- ابن الأثير،عز الدين علي بن محمد، (ت 630هـ)، الكامل فـي التـاريخ، دار صـادر، بيروت، (د.ط)، 1982م،4/ 381 .

6- البلاذري، أنساب الأشراف، 7 / 6 .

أشعلت نار الحرب والمواجهة المسلحة، حتى كان النصر حليف الحجاج وجيشه في النهاية.

ج- ثورات الخوارج:

تعد ثورات الخوارج ضد الحكم الأموي سياسية في أسبابها ودواعيها وأهدافها، فكانت مطالبهم تنحصر في أحقية الخلافة الشورية بين أبناء المسلمين، ولا يمكن أن يتقبل من بني أمية ما فعلوه، فأخذ الخوارج يعدون العدة تارة بالخطـب والرسـائل والشعر وتارة أخرى بالسيف، لتقويض حكم بني أمية.

فتجددت ثورات الخوارج في بيئات الدولة الأموية، لذا، تضافرت العوامـل السياسية والقبلية والدينية في دعم حركة الخوارج، وكثُر أتباعهم، وفي ولاية المغيرة ابن شعبة على الكوفة، نشطت دعوة الخوارج لمهادنته إياهم، ولما ولي زياد البصرة والكوفة اشتد على الخوارج، وأخمد حركاتهم، فاستتب الأمر في أوله لبني أميـة.[1] وكان الخوارج لا يفوتون فرصة للوثوب على بني أمية، وكانـت لهـم أول الأمـر مشاركة نجدية في الدفاع عن البيت الحرام مع ابن الزبير، يوم حاصر جيش يزيـد بن معاوية البيت الحرام بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث أرسل عبـد الملـك الحجاج إلى حرب ابن الزبير، وطلب منه ألا يرمي الكعبة، وأن يحاصر ابن الزبير حتى يجوع، فأقام الحجاج بالطائف، ثم كتب إلى عبد الملك، يقول: "إنك يـا أميـر المؤمنين، متى تدع ابن الزبير يعمل فكره ويستجيش ويجمع أنصاره، وتثـب إليـه فلوله كان في ذلك قوة له، فأذن في معالجته لي، فأذن له"[2]، وبعد محاصـرة ابـن الزبير، ورمي البيت الحرام والكعبة المشرفة بالمنجنيق تمكن من إلحـاق الهزيمـة بابن الزبير وقتله، وهروب أتباعه عنه، وبهذا الحقد السياسي من الحجـاج انتهـى الحزب الزبيري ومعارضته لبني أمية.[3]

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 17 .

2- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص :273 .

3-المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 105/2، 153، انظر: النص، الخطابة الـسياسية فـي عصر بني أمية، ص:18 .

ولم يحتفظ الخوارج بوحدة كلمتهم طويلاً، فسرعان ما دب الخلاف بينهم حول نواة الفقه الخارجي، إذ يذكر الطبري أن اختلافهم كان سنة (64 هـ) بعد مفارقتهم لابن الزبير[1]، وتمثل ذلك في رسالة المهلب إلى الحجاج حول انقسامهم على أنفسهم ومحاربة بعضهم بعضاً، يقول:" أما بعد: فإن الله قد ألقى بأس الخوارج فخلع عظمهم قطرياً وبايعوا عبد ربه الكبير، وبقيت عصابة منهم مع قطري يقاتل بعضهم بعضاً غُدواً وعشياً، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم والسلام".[2]

توضح هذه الرسالة اختلاف الخوارج وانشقاقهم وانقسامهم فأصبحوا فريقين: فريقاً يتزعمه قطري بن الفجاءة، وفريقاً يتزعمه عبد ربه الكبير، واحترب الفريقان حرباً لا هوادة فيها، وظل الأمل يحدو فكر المهلب وشجاعته الحربية أثناء انقسام الخوارج، يقول في رسالة جوابية إلى الحجاج، جاء فيها:" أما بعد : فقد بلغني كتاب الأمير وكل ما فيه قد فهمت، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً، وينتقص بعضهم عدد بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد، وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً فأناهضهم على تفيئة ذلك، وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة- إن شاء الله -، والسلام".[3]

ولما جاء الحجاج إلى العراق كان متلهفاً للقضاء على جميع الثورات وحركات التمرد الداخلية، ليعزز موقفه عند الخليفة عبدالملك بن مروان الذي فوضه صلاحيات كبيرة أثناء ولايته لمواجهة كل الخارجين على شرعية الخلافة.

وزيادةً على ذلك، فقد وجهت رسائل عديدة بين الدولة ومعارضيها فقد أورد البلاذري نص كتاب الحجاج إلى المهلب باستخدام الشدة مع العصاة والخارجين، كمرسوم سياسي، فقال الحجاج في كتابه: "إن بشراً – رحمه الله تعالى – بعثك مستكرهاً لنفسه عليك، وأراد غناه عنك، وأني أعرفك حاجتي إليك، فناهض عدوك ودع العلل" [4].

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:19.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 121/5.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 122/5.

4- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 67.

فرد عليه المهلب بن أبي صفره، بقوله: "إن ليس معي إلا مطيع، وإن النـاس إذا أمنوا العقوبة صغروا الذنوب، وإذا يئسوا من العفو كفرهم ذلك، فهـب لـي الـذين سميتُهم عصاةً فإنهم فرسان، أرجو أن يقتل ا بهم هذا العدو إن شاء ا "[1].

يقول إحسان العمد، في معرض تعليقه على رسالة المهلب "أن رده هذا ينسجم مع طبعه وسياسته في تودده مع جنده، وحسن تعامله معهم".[2]

والواقع من ثورات الخوارج أنها اتسمت بنظرية الدفاع عن الحـق المقـدس المنهوب ورد الخلافة إلى مبدأ الشورى، ورفع الظلم وإقامة العدل، فعقيدتهم حربية استشهادية ترفض الاستسلام والخنوع وظلوا خنجراً دامياً فـي خاصـرة الدولـة الأموية وساستها فهذه رسالة وجهها الحجاج إلى جيشه المتجه لحرب شبيب بقيـادة ابن الأشعث، يقول:" أما بعد: فقد اعتدتم عادة الأذلاء، ووليتم الدبر يـوم الزحـف، وذلك دأب الكافرين، وإني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة ومرة بعد مرة، وإني أقسم لكم با قسماً صادقاً لئن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعاً يكون أشد عليكم مـن هـذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب، وتستترون منه بأفناء الأنهـار وألواذ الجبال، وقد أعذر من أنذر"، وذيلها شعراً [3]:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لِمن تُــنـــادي

ومع تصاعد قوة الخوارج الشبيبية وشدة بأسهم أن الحجاج كان، يقول: "أعيـاني شبيب!! " [4].

ومع استفحال خطر الثورة والتمرد ظلت آمال الحجاج معلقة بجند الشام فأبرق رسالة طلب من أمير المؤمنين عبدالملك فيها، أن يمده بأهل الشام لعجز أهل الكوفة عن مواصلة القتال، يقول: "إن أهل الكوفة عجزوا عن قتال شبيب في مواطن كثيرة،

1- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 67.

2- العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 233.

3- تاريخ الرسل والملوك للطبري، 5 /78 .

4- الذهبي، تاريخ الإسلام، 3/ 122 .

فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلي أهل الشام، فيقاتلوا عدوهم، ويأكلوا بلادهـم، فليفعل ذلك" [1].

وفي خضم الأحداث الحربية، وانتصارات شبيب الخارجي على جيش الحجاج، وتهديده بقتله والنيل منه، أرسل الحجاج إلى عبدالملك يستمده الغوث والنجدة، يقول: "الغوث الغوث يا أمير المؤمنين، وجه إلي أهل الشام، فإنـه لا غنـاء عنـد أهـل الكوفة"[2]. لقد أرهق الخوارج الحجاج، وأفشلوا الكثير من خططه الحربية فما كـان منه إلا طلب النجدة والغوث، فرسالته التالية إلى عامله على البصرة تنبئ عن ذلك، يقول: "أما بعد: فأبعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعـة آلاف إلـى شبيب ومره فليلحق بسفيان بن الأبرد، وليسمع له وليطع.[3]

فكانت هذه الرسائل (شيفرات) حربية كلفت الدولة الأموية خسائر فـي الأرواح والممتلكات والسياسات، فرسالة الحجاج إلى عبد الملك يستغيث ويطلب منه النجدة؛ لأن ابن الأشعث هزم عدة جيوش للحجاج، واحتل البصرة وعجز عنه،فأرسل إلـى عبد الملك، يقول:" أما بعد: فياغوثاه ثم ياغوثاه".[4]

ومع الاستعداد والنجدة ووضع الخطط العسكرية في مواجهة الخـوارج تمكـن الحجاج وجيوشه من إخمادها والقضاء عليها، وبقيت رسائل اليقظة والولاء للعـرش الأموي ماثلة عند ولاته فهذه رسالة والي الكوفة والبصرة خالد بن عبد ا بن أسيد القسري التي أذاعها رسوله في الناس، جاءت لتحذيرهم من الفتنة، وشـق عـصا الطاعة، يقول: "من خالد بن عبد ا إلى من بلغـه كتـابي هـذا مـن المـؤمنين والمسلمين، عباد ا ارجعوا إلى مكتبكم وطاعة خليفـتكم، ولا ترجعـوا عاصـين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون،أقسم با لا أثقف عاصياً معه كتابي هـذا إلا قتلتـه إن

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 259 .

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 94 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،5 / 102 .

4- اليعقوبي، تاريخه، ص:278 .

شاء ا ، والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته "[1]، وهذه الرسالة تنم عن تقاعس أهل الكوفة والبصرة بقيادة المهلب بن أبي صفرة في قتال الخارجين على طاعة الدولة.

ومع اشتداد شوكة الخوارج وازدياد ضغطهم على الأهواز والعراق، اضطر المهلب إلى أن يكتب إلى الخليفة عبد الملك، قائلاً: " ليس عندي رجال أقاتل بهم"[2]

أثار الخوارج الأزارقة موجة من الخوف والذعر والفزع في العراق نظراً لتطرف مبادئهم، فلما قدم الحجاج وجه همه الأول للقضاء عليهم، واتخذ الحجاج أشد الإجراءات من أجل حمل عرب الكوفة والبصرة على الالتحاق بجيش المهلب لمواجهة الأزارقة في عام (75 هـ / 659م)، وبعث إلى المهلب بكتاب ضمنه ثقته فيه، وحاجته إليه وتعهد بمؤازرته، ومده بالرجال، وأوصاه باستخدام الشدة مع العصاة، ويعد هذا الكتاب بمثابة توجيه سياسي عسكري للمهلب، يقول الحجاج :" إن بشراً رحمه ا تعالى بعثك مستكرهاً لنفسه عليك، وأراك غناه عنك، وإني أعرف حاجتي إليك، فناهض عدوك ودع العلل "[3]،لما عين الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (75هـ / 694م) والياً جديداً على العراق خلفاً لأخيه المتوفى بشر بن مروان [4]، وجد الحجاج أن أولى مهماته إعادة الأمن والنظام في صفوف جيش العراق، حيث أسند هذه المهمة إلى المهلب بن أبي صفرة، فبعث له الحجاج بكتاب يحثه فيه على الجد في قتال الأزارقة، وفرض الأمن، فقال له: "أنه سوف لا يألُ جهداً في مساندته" [5]، ولقد لبث المهلب على حرب الأزارقة زهاء اثنى عشر عاماً، حتى شتت شملهم وأفنى جموعهم، وقضى على زعمائهم وقادتهم، فكانت مواقفه العسكرية مشهودة عند ابن الزبير، وعند بني أمية، أما عن مواقفه

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 37-38 .

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 133/3 .

3- البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 67، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية،ص: 233 .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،6/ 203- 205.

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 197.

السياسية فإنه لم يعتنق عقيدةً معينةً يخلص لها، وإنما تحول من صف إلى آخر، حيث تتوفر إمكانات تحقيق طموحه ونجاحه[1] .

وفي أثناء ولاية المهلب الثانية على خراسان سنة (78هـ/697م)[2]، علت مكانة الأزد علواً كبيراً على سائر القبائل العربية من تميم وقيس المضريتين، ومال المهلب إلى محالفة ربيعة المضرية.[3]، وتم تعيينه بأمر من الحجاج بن يوسف لكي يوجد نوعاً من التوازن القبلي، ويشغل تلك القبائل بالفتوح الشرقية لما وراء النهر، وفي رسالة جوابية بعثها للحجاج، يقول: "أن ليس معي إلا مطيع، إن شاء ا ".[4]

وقد اتبع المهلب خططاً عسكرية وسياسية حكيمة للقضاء على الأزارقة، وكتب إلى الحجاج، قائلاً: "إني منتظر في الخوارج إحدى ثلاث: موت ذريع، أو جوع مضر، أو اختلاف بين أهوائهم" [5]، وقد حفظت لنا بعض المصادر طائفة من الرسائل القيمة التي تبادلها الحجاج والمهلب، والتي تدل على اختلاف سياسة كل منهما عن الآخر في مقاومة خطر الخوارج، ومن تلك الرسائل التي توضح تلك السياسية، ما كتبه الحجاج إلى المهلب يحثه على مناجزة الخوارج، والتسريع في القضاء عليهم، يقول: "أما بعد، فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلي فترجع بعذرك، وذلك أنك تمسك[6] حتى تبرأ الجراح، وتنسى القتلى ويجم الناس، ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشية القتل وألم الجراح، ولو كنت تلقاهم

1- العبود، نافع توفيق، آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص: 69، 74.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 319/6.

3- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 289، انظر: العلي، صالح أحمد، مقالة بعنوان: إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى، بحث منشور، مجلة: كلية الآداب - جامعة بغداد، عدد 15، سنة 1973م، ص: 316.

4- البلاذري، أنساب الأشراف، 67/7، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي– حياته - وآراؤه السياسية، ص: 233 .

5- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 3/ 374، انظر :العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص :235 .

6- تمسك: تتوقف عن القتال .

بذلك الجد لكان الداء قد حسِم، والقَرن[1] قد قُصم، ولعمري ما أنت والقوم سواء، ولا يدرك الوجيف[2] بالدبيب ولا الظفر بالتعذير " [3].

فلما قدم رسول الحجاج على المهلب يحمل إليه هذا الكتاب بعث إليـه جوابـاً، يقول فيه: "أما بعد، فإنه أتاني من قبلك رجلان لم أعطهما على الصدق أجـراً ولـم أحتج مع العيان إلى التقدير؛ ولم يكذبا في ما أنبآك به من أمـري وأمـر عـدوي، والحرب لا يدركها إلا المكيث، ولا بد لها من فرجة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب، فأما أن أنساهم وينسوني فهيهات من ذلك، والقوم سـدى، فـإن طمعـوا أقاموا، وإن يئسوا هربوا، وأنا أعوذ با مـن سـخط الأمـراء ومقـت الأئمـة، والسلام."[4]

وقد نزل الحجاج آخر الأمر عند رأي المهلب، فكتب إليه الحجـاج يفوضـه التصرف بما يراه مناسباً في مواجهة الأزارقة سياسياً وعسكرياً، وقال له: "إني قـد رددت الرأي إليك فدبر ما ترى واعمل ما تريد "[5]، فلما أتاه كتاب الحجاج نـشط المهلب في طلب الخوارج وأخذ يطاردهم ويحاصرهم في كل مكان.

د- الفتن القبلية:

أطلت العصبيات القبلية برأسها في بيئات الدولة الأموية، وتطورت حالها إلـى وقائع وحروب سالت فيها دماء المسلمين، ومن هذه الوقائع وقعة البروقان[6] التـي حدثت بين القبائل اليمانية والمضرية، وكان على رأس المضرية نصر بـن سـيار

1- القرن: سيد القوم.

2- الوجيف: سير الإبل والخيل السريع .

3- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 277- 278، انظر: المبرد، الكامل في اللغـة والأدب، 395/3، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه الـسياسية، ص: 236 .

4- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 278، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفـي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 236 – 237 .

5- الدينوري، أبو حنيفة،الأخبار الطوال، ص: 278، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 237 .

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/ 30 .

وتجددت الوقائع بين القبائل النزارية واليمانية في بيئة خراسان، فقـد شـعر الأزد بفقدان مركزهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في خراسان بعد هزيمة يزيد بن المهلب في وقعة العقر.[1]

وشهد هذا العصر، ضرباً آخر من الوقائع القبلية العربية التي استوطنت بـلاد فارس والشام نتيجة الفتوحات الإسلامية، فحملت معها فيما حملت أحقادهـا القبليـة الموروثة، ولا بد من تبيان أثر السلطان ومساهمته في العصبيات القبليـة، وبيـان أهمية ذلك في الصراع السياسي الذي كان دائراً آنذاك، فهذه رسالة الجراح بن عبد ا الحكمي شاهدة على هذا الأثر:" إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قـد أبطـرتهم الفتنة فهم ينْزون فيها نَزواً، أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق ا عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك"[2].

ولعل العصبية القبلية بين القيسية واليمانية، إذ كانت من أبـرز مظـاهر هـذا الصراع بين القبيلتين وغيرهما من القبائل في مناطق شتى بسبب غياب قوة الدولـة المركزية، وضعف الولاة، وتدخل العباسيين الذي ساهم في غياب دولـة الخلافـة العربية الأموية إثر وقعة الزاب سنة (132ه) [3]، ثم محاصرة واستسلام وقتل والي واسط يزيد بن هبيرة، فانعكس ذلك في الرسـائل الـسياسية والحربيـة والإداريـة والرسمية والاجتماعية.

هـ - حركات التمرد:

شهدت بيئة العراق العديد من حركات التمرد ضد الخلافة، وكان من أهمهـا ثورة يزيد بن المهلب ضد الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان، وقد حظيت هـذه الثورة باهتمام الكتاب والشعراء بين مؤيد ليزيد ومعـارض لـه منحـازٍ للخلافـة، واحتلت مجالاً رحباً في مكاتبات العصر.[4]

1- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، ص: 38.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 315.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 562، انظر: الهليس، شعر الوقائع في القـرن الثـاني الهجري، ص: 12- 13.

4- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، ص: 52.

فحينما وصل يزيد بن المهلب إلى البصرة، شاقاً عصا الطاعة على الأمـويين، فأخذ ينفق الأموال على الناس لتأليف قلوبهم حوله، وإقصائهم عـن بنـي أميـة.[1]

وإليك، نص بيعة يزيد بن المهلب التي بايعه الناس عليها، لما خلع طاعة يزيد بـن عبد الملك، لذا جاء فيها: " تبايعون على كتاب ا وسنة نبيـه- صـلى ا عليـه وسلم-"[2]، وحدثت مناوشات بين أنصار ابن المهلب، وقوات عدي بن أرطأة، حتى تمكن يزيد بن المهلب من إحكام قبضته على البصرة، ثم جهز له يزيد بن عبد الملك جيشاً بقيادة أخيه مسلمة والعباس بن الوليد، فالتقيا قرب العقر، فكانت نهاية يزيد بن المهلب وفلول أتباعه [3]، ومن صور الفتـن في هـذا العـصر تمـرد القـــادة العسكريين على الدولة، واستنزاف طاقاتها ومواردها كتمرد ابـن الأشـعث علـى الحجاج سنة (83 ه) ـ

و- الحملة المشؤومة، (جيش الطواويس):

تذكر المصادر أن الحجاج بن يوسف أعد جيشاً كبيراً من عرب العراق فزوده بأحسن الخيول، وأكمل الأسلحة، وسماه جيش (الطواويس) لتكامل عدته وشـجاعة مقاتليه[4]، وكان قائد جيش الطواويس عبدالرحمن بن الأشعث، الذي قدم سجـستان في أواخر سنة (79هـ / 699م)، حيث ضم إلى هذا الجـيش جميـع الحاميـات المرابطة في ذلك الإقليم لمحاربة (زونبيل) وفتح بلاده [5].

شرع ابن الأشعث في التوغل في أرض الترك، ودك حصونهم والاستيلاء عليها أمام تقهقر (زونبيل) الذي طلب الصلح من ابن الأشعث، ومع الإمعان في التوغـل أمر ابن الأشعث قادة جيشه بالتوقف، والاكتفاء بما تم فتحه من تلك الأراضي، فكتب ابن الأشعث إلى الحجاج عن أسباب توقف الفتوح هناك، غير أن الحجاج لم يوافـق وسفّه رأي ابن الأشعث، وقال:" أتاني– كتابك- كتاب رجل يحب الهدنة والموادعـة

1- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، ص: 53 .

2- الطبري، تاريخ الرسل، 339/5.

3- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، ص: 54 .

4- البلاذري، أنساب الأشراف،7/ 18.

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 328 .

لعدو قليل ذليل، إني لم أعدد رأيك مكيدة، ولكني عددته ضعفاً وجبناً والتيـاثُ رأي، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم"[1].

ومع تهديد الحجاج لابن الأشعث ووصفه له بالخور، وعدم الكفاءة، قرر ابـن الأشعث عدم الانصياع لأوامر الحجاج، وأعلن التمرد، وانضم إليـه جيـشه مـن الطواويس، وقالوا: "بل نأبى على عدو الله أمره، ولا نسمع له ولا نطيع، فإن ابـن أبي رغال لا يريد بنا خيراً" [2]، وساءت العلاقة بين الوالي الحجـاج وقائـده ابـن الأشعث وتبادلوا رسائل التهديد والوعيد، كما في رسالة ابن الأشعث التاليـة إلـى الحجاج:" أما بعد؛ فإن مثلي ومثلك ما قال القائل[3]:

سائل مجاور جرمٍ هلْ جنَيتُ لهم حرباً تفرقُ بين الجِيرة الخُلُطِ

وأما تمرد قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك سنة (96ه)، فلـه أسـبابه وملابساته، فقتيبة قائد عظيم المكانة، مرهوب الجانب، ولما مات الوليد، واسـتخلف سليمان بن عبدالملك، جاهر بنزع الطاعة،فكتب إلى سليمان بن عبد الملك، قـائلاً: "سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فوالله لأوثقن لـك آخيـةً لا ينْزعهـا المهـر الأرن "[4]، ولكن خلع طاعة قتيبة للخليفة سليمان لم يجد قبولاً عند جيشه فـاختلف عليه القادة، فقتله وكيع بن حسان التميمي، بفرغانة سنة (96هـ)، وهكذا، فقد بقيت أسماء قادة الفتح رغم نهاياتهم المأساوية، منارات مضيئة في سماء (فن الحـرب)، والفتوحات عبر التاريخ.[5]، وقد أذكت هذه الحركات جذوة الأدب، وتبادلـت فيهـا الرسائل بين مؤيد، ومعارض، وظلت رياح الفتن والثورات مستمرة تـشتعل مـرة،

1- البلاذري، أنساب الأشراف، 19/7 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 334/6.

3- الدينوري، ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،2 /58-60**.**

4- ابن قتيبة، عيون الأخبار، 1/ 197 .

5- الزركلي، خير الـدين، الأعـلام، دار العلـم – للملايـين -، بيـروت، ط15، 2002م، 190/5، انظر: العسيلي، قتيبة بن مسلم الباهلي، ص: 160- 161 .

وتخبو مرة أخرى، في أمصار مختلفة مما أضعف سلطة الدولة التي عمتها الفـتن والثورات في سائر الولايات، حتى دالت دولة بني أمية سنة (132هـ).[1]

2- **الفتوح الخارجية:**

بلغت الفتوحات الإسلامية أوجها في القرن الأول الهجري، حين بلغت قـوات محمد بن القاسم الثقفي حدود الصين، إضافة إلى العديد من المناوشات العسكرية بين المسلمين وأعدائهم طيلة القرن الأول والثاني الهجري، وقد زخـرت هـذه الوقـائع والحروب الخارجية بالعديد من الرسائل المتبادلة، وكانت الرسـائل صـفحة ذلـك وأداته، وكان الأمويون أحرص الناس على الملك، فبرروا في سبيله كـل وسـيلة، وكان منهم أساطين السياسة دهاقينها. [2]

لذا، استمرت الفتوحات شرقاً وغرباً مناجزة مع الروم غرباً، والتـرك ومـن إليهم شرقاً والفرس الذين تم القضاء على دولتهم، وكانت تلك المغازي والفتوح فخراً وحماسةً ووصفاً وإشارةً ببلاء الجيوش، وإخضاع الشعوب الأخرى وإقرار السياسة الإسلامية في البلاد المفتوحة التي شهدت معاهدات الصلح وطلب الأمان، ووثـائق الخراج، فأسسوا المدن وحموا الثغور، وفتحوا القلاع والحصون كما فعل يزيد بـن المهلب في "باذغيس" وصالحه ملكها " نيزك " على ما فيها من الخزائن، وأن يرتحل عنها بعياله[3]، وكان للحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم، وموسى بن نصير، ومسلمة بن عبد الملك، مواقف مع الترك عظيمة أنطقت الألسن والأقلام برسائل وفنون جيدة [4].

وهكذا، سارت الرسائل المتبادلة مع الفتوح تفخر بالنصر، وتعتذر عن الهزيمة وتبعث الحماسة في الجيوش الغازية شرقاً وغرباً [5]، حيث لعب الولاة دوراً أساسياً في جميع الفتوحات الإسلامية التي تمت في الجناح الشرقي للدولة الأموية.

1- الهليس، شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري، ص: 11- 12 .

2- الشايب، أحمد، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ص: 198 .

3- الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ص: 358- 360.

4- المرجع، السابق، ص:362 .

5- الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ص:363 .

استهل يزيد بن المهاب ولايته لخراسان سنة (97-99 هـ/716 -717م) بتجهيز جيش كثيف، وتأهب لغزو جرجان وطبرستان وفتحها، ولكن أهل جرجان نقضوا العهد والصلح مع يزيد بن المهاب، فتوجه لمحاربتهم، وهو يقول: "أعطى ا عهداً لئن ظفر بهم ألا يقلع عنهم، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم،ويخبز من ذلك الطحين ويأكل منه" [1]، وقد عبر يزيد بن المهاب عن فخره واعتزازه بذلك الفتح المبين (لجرجان وطبرستان) في كتابه الذي بعثه إلى الخليفة سليمان بن عبدالملك بهذا النصر العظيم، حيث قال: "أما بعد، فإن ا قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قباذ، وكسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق – عمر بن الخطاب – وعثمان بن عفان، ومن بعدهما من خلفاء ا حتى أفاء ا ذلك لأمير المؤمنين كرامة من ا له، وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من خمس ما أفاء ا على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفئ والغنيمة ستة آلاف درهم، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين". [2]

ولا يخفى في هذه الرسالة التي بعثها الحجاج إلى محمد بن القاسم لما ولاه ثغر الهند، وأمره بمواصلة الفتح، يقول: "سر فأنت أمير على ما تفتحه". [3]

ولكون هذا العصر عصر الفتوحات التي لم يهدأ أوارها، فقد كثر فيه التحريض على قتال العدو، وتوالت الرسائل بين الولاة وقادتهم، فقد تضمنت رسالة الحجاج إلى عبيد ا بن أبي بكرة لما أرسله لفتح سجستان وقتل ملكها(رتبيل) هذه الوصية، يقول: "ناجزه بمن معك من المسلمين، فلا ترجع حتى تستبيح أرضه، وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريته" [4].

1 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 544 -546 .

2 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 546.

3- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص: 289، انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 128/5.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 136/5 – 137.

وكما هو الحال في إثارة العزائم وشحذ الهمم وتقويتها جاءت رسالة موسى بن نصير إلى مولاه طارق بن زياد الذي أصاب ست سـفن يـأمره بإتمامهـا سـبعاً، وشحنها والتوجه إلى الأندلس، فطلب منه: "أتممها سبعاً ثم سر بها إلى شاطئ البحر واستعد لشحنها، فإذا كان يوم واحد وعشرين منه، فاشحن على بركة ا كما أمرتك - إن شاء ا - ".[1]

3- المشاورات والوصايا السياسية والحربية:

كانت الأحوال السياسية المضطربة في عصر بني أمية كثيراً ما تدعو إلى عقد مجالس للتشاور وتبادل الآراء حول الحدث السياسي الخطير الذي أوجـب اجتمـاع القوم لتبادل الرأي والمشورة، ومن مجالس المناظرة والمشاورة في عصر بني أمية تلك التي عقدها الحجاج مع أعوانه في مواجهة الخوارج،[2] وبعث الحجاج برسـالة إلى عبد الملك يستنجده ويستمده للوقوف بوجه شبيب والقضاء عليه، يقول: "أما بعد: فإني أخبر أمير المؤمنين – أكرمه ا – أن شبيباً قد شارف المدائن وإنمـا يريـد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، فإن رأى أمير المـؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فليقاتلوا عدوهم ويكلأوا بلادهم فليفعل، والسلام "[3].

ومن متابعة الحجاج لقادته وجنده رسالته إلى عبد الملك يستشيره في إرسـال جيش إلى سجستان؛ لتعزيز جيش عبيد ا بن أبي بكرة الذي هـزم وقتـل معظـم أفراده، فكتب إلى عبد الملك يطلب منه الإذن بإعادة الكرة، يقول: "أما بعد: فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم، وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين، فأحببت أن استطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك"[4].

1- الدينوري،ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 122.

2- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص: 121 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 /85.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 138/5.

ومن ضروب الرسائل والمكاتبات السياسية هذه الوصايا التي كـان الخلفـاء وأقطاب السياسة يوصون بها ذويهم أو عمالهم أو قادتهم، ويرشـدونهم فيهـا إلـى الطرق التي ينبغي أن يسلكوها، والسياسة التي يتبعونها، والخطة التي ينتهجونهـا، وربما صدرت الوصية عمن عرف بالخبرة السياسية أو المهارة الحربيـة والـدهاء وبعد النظر، ولو لم يكن من رجال الحكم وأرباب السلطة، وهذه الوصايا منها ما هو سياسي خالص يتناول أسلوب الحكم وطريقة معاملة الرعية، ومنها ما هـو حربـي يتناول خطة القتال وفن الحرب،[1] ومنها رسالة الحجاج إلى قتيبة يوصيه ويعلمـه سلوك القائد، فكتب إليه: "إذا غزوت فكن في مقدم الناس وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقتهم"[2]، وكتب الحجاج (أيضاً) رسالة ووصية لقتيبة يعلمه ويشرح لـه نظريـة (التكتيك) الحربي، يقول:" إياك والتحويط، ودعني من بنيات الطريق، وارجع إلـى مراغتك، فتب إلى ا مما كان منك، وأتها - بمعنى هاجمها - مـن مكـان كـذا وكذا"[3].

أما الوصايا الحربية فكانت الغاية منها تعريف الموصي له بأسـاليب وفنـون القتال والحرب في حالتي الهجوم والدفاع، وفقاً لأصول (التكتيك) الحربي المتبعة في قيادة الجيوش، وبين أيدينا مجموعة من الرسائل والمكاتبات التي توضح لنا الخطـط الحربية، التي كان قادة الجيوش يسيرون عليها، ومنها رسالة الحجاج أثنـاء فتـوح الشرق بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، والتي جاءت بشكل وصية، فقال موجهاً قتيبـة: "لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهمك" [4].

وقد كانت الوصايا الحربية المكتوبة أكثر شيوعاً، وأوفـر عنايـة بالتفـصيل والتوضيح والتوجيه والنقد وتحقيق الهدف وتنفيذه، وأخذ الحيطة والحـذر واليقظـة وعدم التغرير بالمسلمين وتعريضهم للمخاطر.

1- النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص:128 - 129 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 /215.

3- العسيلي، قتيبة بن مسلم الباهلي،ص:143.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 218/5 .

أراد يزيد بن المهلب غزو سجستان وما جاورها من البلدان وحاول اســتغلال الخلافات المحلية بين الزعماء الأتراك، ذلك أن زعيماً اسمه (صول) تحـصن فـي جرجان، ولجأ زعيم آخر اسمه (فيروز) إلى يزيد بن المهلب فطلـب منـه يزيـد المساعدة في حرب (صول) ؛ فقال له (فيروز): لا تقدر عليه إلا أن يترك جرجـان وينزل بالبحيرة فاكتب إلى (الأصبهبذ)، وهو صديق (لصول) لا يخالفه – كتاباً تسأل فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان وأجعل له على ذلك جعلاً ومنة، فإنه يبعـث بكتابك إلى (صول)، (وصول) من جهته سوف يترك جرجان ويتحول إلى البحيرة، فكتب يزيد إلى (الأصبهبذ) صاحب طبرستان، ما يلي:" إني أريد أن أغزو (صولاً)، وهو بجرجان فخفت إن بلغه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها، فإن تحول إليها لم أقدر عليه، وهو يسمع منك ويستنصحك، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال، فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان، فإنه إن أقام بها ظفرت به". [1]

وقد تم ما توقعه (فيروز) إذ أرسل (الأصبهبذ) الكتاب إلى (صول)، فتحول إلى البحيرة فحاربه يزيد وظفر به.[2]

وفي سنة (85 هـ / 706 م)، أمر الحجاج يزيد بن المهلب بغـزو خـوارزم، فاعتذر يزيد بن المهلب عن غزوها متذرعاً، بقوله: "بأنها قليلـة الـسلب، شـديدة الطلب" [3] فهيأ بذلك الاعتذار عن الغزو مجالاً لمعاداة الحجاج له، فأخذ الحجـاج يستطلع أخباره ويوغر صدور الناس عليه، ثم عزله عن الولاية، واعتقله ثم هـرب من السجن ولجأ إلى سليمان بن عبد الملك، فحينها قرر الحجـاج الانتقـام مـن آل

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 297/5 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 297/5.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 396، انظر: العبود، آل المهلب بـن أبـي صـفرة ودورهم في التاريخ – حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص : 86 .

المهاب[1]، وهنا نكتفي بالإشارة إلى تلك الفتوح دون الخوض في تفاصيلها حرصـاً على وحدة البحث وتقيداً بنطاقه.

4- العهود:

مفردها العهد: والعهد هو الوصية والأمر، إذ جاء في قوله تعالى: " (ألم أعهد إليكم يا بني آدم)"[2]، والعهد يأتي للحفاظ ورعاية الحقوق والحريات، والعهد الأمان والذمة والعهد الالتقاء والمعرفة، والعهد الموثق واليمين، ومواثيق البيعـة والـصلح والعهد يكون كتابة وشفاهة، ومثل العهد الوصية التي يغلب على مضمونها الفكـري طابع التوجيه والإرشاد في الخاص والعام، كما أن صدى هذا السعي للوحدة والتآلف لدرء الفتن عن أبناء الإسلام وطلب عقد الصلح والأمان مقابل الطاعة وترك الشقاق، حيث ذهب عبدا بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي مكة من قبل يزيـد وكلمـه، وقال له:" اكتب إلى الحسين كتاباً له فيه الأمان وتمنيه فيه الود وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال له عمرو: اكتب ما شئت، وائتني به حتى أختمه ففعل وختمه وأرسله مع أخيه يحيى بن سعيد والي مكة إلى الحسين بـن علـي يـدعوه الرجوع إلى مكة، يقول: "بسم ا الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحـسين بن علي، أما بعد: فإني أسأل ا أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشـدك. بلغني أنك قد توجهت إلى العراق وإني أعيذك با من الشقاق، وإني أخاف عليـك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدا بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إلي معهما فـإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار، ولك ا علي بـذلك شـهيد وكفيـل ومراع ووكيل، والسلام عليك".[3]

تتسم العهود والمواثيق بالشمولية والدقة مع مراعاة الواقع التاريخي والسياسي للدولة الأموية، فقد وقع عهد بين الجراجمة ومسلمة بن عبـد الملـك حـين ثـار

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 396 – 397، انظر: شاكر، محمود، سلسلة الخلفـاء – الوليد بن عبدالملك – وأسرته، ص: 40.

2- سورة يس، الآية: 60.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 291، انظر: حمادة، الوثـائق الـسياسية والإداريـة العائدة للعصر الأموي،ص: 196 .

الجراجمة سنة (89ه)ـ، وهم قوم مسيحيون من سكان جبال اللكام، فحاربهم مسلمة حرباً شديدة، وأخيراً صالحهم على أن ينزلوا حيث أحبوا من الشام، ويجري علـى كل امرئ منهم ثمانية دنانير، وعلى عيالهم القوت من القمح والزيت، وهو مديان من قمح، وقسطان من زيت وعلى ألا يكرهوا أحداً من أولادهم ونـسائهم علـى تـرك النصرانية، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين، ولا يؤخـذ مـنهم ولا مـن أولادهـم ونسائهم جزية، وعلى أن يغزو مع المسلمين، فينفلوا أسلاب من يقتلونـه مبـارزةً، وعلى أن يؤخذ من تجارتهم وأموال مؤسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين".[1]

لقد رعى الإسلام حقوق غير المسلمين، فجاءت رسائل عقد الصلح لتكفل حماية الشعوب التي وصلها الفتح الإسلامي، وخير شاهد على ذلك مقولة قتيبة بـن مـسلم لأهل سمرقند لما تمردوا على (طرخون):" أنا ثائر بدم طرخون "[2].

ومن العهود والاتفاقيات التي أبرمت باسم الحجاج بن يوسف صلح قتيبـة بـن مسلم مع (غوزك) ملك سمرقند عام (94ه)، يقول اليعقوبي في تاريخه إن قتيبة جعل له على ذلك الصلح: "عهد ا وذمته وذمة الأمير الحجاج بن يوسف. باعتبار الأخير هو المسؤول المباشر عن قتيبة بن مسلم".[3]، فقد وردت وثيقة عهد الصلح بنـصها الآتي: "هذا ما صالح عليه قتيبة بن مسلم (غوزك إخشيد السغد إفشين) سمرقند على السغد وسمرقند وكش وكسف، صالحه على ثلاثة آلاف درهم يؤديها (غوزك) إلـى رأس كل سنة، وجعل له عهد ا وذمته وذمة الأمير الحجاج بن يوسف وأشهد لـه شهوداً، وكان ذلك سنة (94هـ)".[4]

1- البلاذري، فتوح البلدان، ص:168، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:396.

2- العسيلي، قتيبة بن مسلم الباهلي، ص:129.

3- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، 2/ 287 .

4- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، 287/2 .

3.3.2 رسائل- الشؤون الإدارية - وموضوعاتها:

حرص الولاة على أن تتوفر صفات طيبة في عمالهم وأعـوانهم ومـساعديهم الذين ضمهم جهازهم الإداري والمالي، فكانوا يجتهدون لدى اختيار عمالهم وقادتهم العسكريين على الأقاليم والنواحي، وأن تتوفر فيهم صفات رئيسة هي الولاء المطلق للخليفة والدولة والكفاءة في العمل والأمانة في الأداء، واحـتلال العامـل مركـزاً مرموقاً في قومه، لجلبهم لمصلحة الدولة من حيث اختياره، وهذا ما قاله الحجاج بن يوسف في كتابه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان: "إني أيقظت رأيي، وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلـدت الخـراج الموفر لأمانته " [1]

لما طالت ولاية نصر بن سيار في خراسان، كتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك حسداً ووشاية لنصر:" إن خراسان دِبِرةٌ دبـرة[2]، فـإن رأى أميـر المؤمنين أن يضمها إلى العراق "[3].

وزيادةً على ذلك، فقد أكد الحجاج على هذه الصفات عندما بعـث أدهـم بـن مِحرز الباهلي عاملاً على سجستان، وكتب إلى أهلها، يقول: "أما بعد، فإني قد بعثت إليكم أدهم بن محرز وهو ما علمته طويل الجلوس، دائم العبوس، سـمين الأمانـة، أعجف الخيانة، فاسمعوا له وأطيعوا" [4]، ويعتبر هؤلاء العمال مسؤولين أمام الوالي مباشرة، ويتولون أعمالهم نيابة عنـه، ويعقـدون العهـود والمواثيـق باسـمه.[5]

1- الدينوري، ابن قتيبة، عيون الأخبار،1/ 16، انظر: العمد، الحجاج بـن يوسـف الثقفـي – حياته - وآراؤه السياسية،ص: 371 .

2- الدبرة: قرحة الدابة، فهي متقرحة، أي كثيرة القلاقل .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،193/7.

4- أدهم بن محرز الباهلي: شاعر أموي مقل من أمراء الجند، وفارس أهل الشام فـي أيامـه، انظر: (التوحيدي)، أبو حيان، البصائر والذخائر، (1/ 535)، انظر: العمد، الحجاج ابن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 371 .

5- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، 2/ 287، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفـي – حياتـه - وآراؤه السياسية، ص : 372 .

ويذكر البلاذري في الأنساب أن الحجاج عزل حمزة بن المغيرة عامله على همدان، وحبسه عندما علم بمساعدته السرية لأخيه مطرف بن المغيرة لدى خروجـه علـى طاعة الدولة[1] لقد **ا**رتكزت موارد الدولة في عصر بني أمية **على مـصادر عـدة، منها:**

أ – الزكاة، التي يدفعها المسلمون إلى بيت المال.

ب- الخراج والجزية، وتمثل مصدراً رئيساً للدولة الأموية، فقد أبقيت الأرض فـي حوزة مالكيها، وفرض عليها مبالغ محدودة بحكـم أن الأرض أصـبحت ملكـاً للدولة، وبحكم الفتوح تفاوت مقدارها حسب ظروف الفتح، فتارة تكون ضريبة الجزية جماعية على المدن والأقاليم مثل خراسان، وتارةً نقديةً، وأخرى عينيةً أو معاً.

وفي عهد عبد الملك بن مروان، ومن بعده الوليد بن عبد الملك نتيجة لـتقلص حركة الفتوح وانشغالهم بالفتن والأحداث الداخلية، حاولوا تنظيم الجهـاز المـالي، فركزوا على الشدة في الجباية وفرض الضرائب [2]، فكانـت هـذه الرسـالة بـين الحجاج وعمال الخراج، جاء فيها **:**" إن الخراج قد انكسر وإن أهـل الذمـة قـد أسلموا، فكتب الحجاج إلى البصرة، وغيرها: "من كان له أصل في قريـة فليخـرج إليها"[3]**.**

لذا، كانت الضرائب والثراء الشخصي واستغلال المنصب سبباً من أسباب قيام الثورات في الأمصار، وفي هذا العصر،أصبح للوالي سلطات واسعة فـإلى جانـب سلطته السياسية والعسكرية، جاءت مهمة أخرى هي الإشراف على جمع الأمـوال وإرسال ما تبقى بعد الإنفاق على ولايته إلى بيت مال المسلمين، فقد تم فـي هـذا العصر كذلك دمج الشؤون الإدارية ممثلة بالسلطة المالية والعـسكرية والقـضائية

1- البلاذري، أنساب الأشراف،7/ 58، العمد، الحجاج بن يوسف الثقفـي – حياتـه - وآراؤه السياسية،ص: 373 .

2- الشباني، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية – منذ صدر الإسلام إلى سـقوط الدولـة العباسية،ص: 37- 40**.**

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 128/5.

للوالي مما أعطته القدرة على السيطرة الكاملة على إدارة إقليمه، فكانت لـه بمثابـة الاستقلالية، يعد ديوان الخراج من أهم الدواوين في الدولة الإسلامية، ومن هنا فقـد كانت مهمته تسجيل جميع الأراضي، وضبط الحسابات، وطرق الجباية والنفقـات، وقد أرهق بعض الولاة الناس بالضرائب، كقول زياد بن أبيه إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان:" إني قد شغلت بشمالي العراق ويميني فارغة، فإن رأى أمير المـؤمنين أن يوليني الموسم" [1]، ومن شدة الحجاج وحرصه على جباية الأمـوال ومحاسـبة جباته على المقادير التي تجبى في أقاليمهم، ما كتبه إلـى أحـدهم، يقـول: "إيـاك والملاهي حتى تستنظف خراجك" [2]، وقيل أن الحجاج كتب إلى الخليفة عبـدالملك يستأذنه بأخذ الفضل والزيادة من أموال السواد، فمنعه من ذلك، وكتب له: "أبق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً" [3]، وفي الدولة الأموية وولاياتها كان يقوم بجباية الخراج مجموعة من الدهاقين من غير العرب، فيذكر الطبري أن عبيد ا بن زياد برر هذا الإجراء، بقوله: " فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهـون علـي مطالبةً " [4]، ولا شك أن الحجاج ونظراءه مع ذلك ينتمون إلى صنف مـن رجـال الحكم والسياسة والإدارة، عرفوا بالطاعة العمياء والولاء المطلق للعرش الأموي.

أ- المكافآت السياسية:

قدم الكثير من الخلفاء لمن ساعدوهم في بعض المهمات السياسية مكافأة لهـم، بأن ولوهم بعض المناطق وأطعموهم خراجها، أو سمحوا لهم بالتصرف بوارداتهـا كيفما شاءوا، وهذا ما فعله معاوية عندما ولى عمرو بن العاص مصر، طعمة له مدة

1- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص:229.

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 218 .

3- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص: 249 .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 523، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته - وآراؤه السياسية، ص: 419 .

حياته على موقفه معه في معركة صفين[1]، وهذا نصه: "هذا ما أعطى معاوية بـن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر، أعطاه أهلها فهم حياتـه، ولا تـنقص طاعتـه شرطاً "[2].

وقد ولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف العراق مكافأة له، في قمـع ثورة ابن الزبير، أما بعد يا حجاج: "فقد وليتك العراقين صدقة، فإذا قـدمت الكوفـة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة. وإياك وهوينا الحجاز؛ فإن القائل هناك يقول ألفاً ولا يقطع بهن حرفاً"[3]، لقد أدت سياسة البطش والقسوة والتعسف التي مارسـها الولاة والعمال في تحصيل الضرائب من السكان إلى تبعات خطيرة، حيث انعكست على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة[4]، وتمثل ذلك فـي طمـع بعض الولاة كما في الرسالة الجوابية التالية من معاوية إلى زياد حول الـسماح لـه بالحج: "إني أذنت لك واستعملتك على الموسم، وأجزتك بألف ألف درهم "[5].

ب- الأموال المنهوبة:

على الرغم من وجود رقابة على الولاة والعمال إلا أن ذلـك لـم يحـل دون السرقات، واستغلال وظائفهم، ومنهم خالد القسري، والمهلب بن أبي صفرة، ويزيـد ابن المهلب، وموسى بن نصير، وعمر بن هبيرة، ومحمد بن يوسف الثقفي.

بعث الحجاج برسالة إلى الوليد بن عبد الملك بشأن أموال محمد بـن يوسـف الثقفي والي اليمن لعبد الملك بن مروان والوليد، فقد وجهـت إليـه تهمـة الخيانـة

1- الدينوري، الأخبار الطوال، ص:149، انظر: عياش، الولاة والعمال فـي صـدر الإسـلام دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحى نهاية الدولة الأموية، ص: 114 .

2- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص: 221 .

3- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص: 273 .

4- عياش، الولاة والعمال في صدر الإسلام دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحى نهاية الدولة الأموية،ص: 135.

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 810/4 .

والسرقة فعلم الحجاج بهذه الوشاية، وكتب إلى الوليد يخبره بذلك، يقول: "إن يكن أصابها من حلها فرحمه ا ، وإن تكن من خيانة فلا رحمه ا "[1].

كان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان، فاتصل به الحجاج مجمعاً على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله، ففر إلى عبد الملك، وعاذ به تخوفاً من بطش الحجاج، فلما بلغ الأمر إلى الحجاج،كتب إلى عبد الملك بن مروان يقول له: "أما بعد، فإن لواذ المعترضين بك، وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك، فليعبث به أمير المؤمنين"، فلما قرأ الكتاب بعث به إلى عروة، ثم قال له:" إن كتاب الحجاج قد ورد فيك، وقد أبى إلا إشخاصك إليه، ثم قال رسول الحجاج شأنك به، فالتفت إليه عروة بن الزبير مقبلاً عليه، وقال:" أما وا ما ذل وخزي من مات، ولكن ذل وخزي من ملكتموه، وا لئن كان الملك بجواز الأمر، ونفاذ النهي إن الحجاج لسلطان عليك، ينفذ أموره دون أمورك إنك لتريد الأمر يزينك عاجله، ويبقى لك أكرومة آجله، فيجذبك عنه، ويلقاه دونك، ليتولى من ذلك الحكم فيه، فيحظى بشرف عفو إن كان، أو بجرم عقوبة إن كانت، وما حاربك إلا على أمر هذا بعضه ".[2]

ونعلق على رسالة الحجاج للخليفة عبد الملك والرد عليها أن الحجاج لم يظهر لنا إن كان عروة بن الزبير قد بدد المال أم لا، وأنه سيعامل برفق ولين، فرضي بحساب الخليفة لأهون عليه من محاسبة الحجاج، أو العفو من الخليفة، فهنا تتراءى صورة الحجاج وغلاظته وشراسة طبعه، وسوء معاملته وتعامله مع الخليفة وعروة بن الزبير، فكانت تلك الرسالة ذريعة لعروة بن الزبير لإثارة الخليفة عبد الملك على الحجاج وتشويه صورته، لأن عروة كما هو ظن الخليفة ومعرفته به من بيت شريف، وسيد من سادات العرب، ولكن بطش الحجاج بالناس غيب عنه الصواب

1- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 2/ 110، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية، ص: 334.

2- أبو الخشب، الأدب الأموي – صورة رائعة من البيان العربي، ص:179-181.

3- أبو الخشب، الأدب الأموي – صورة رائعة من البيان العربي، ص:181-183.

أمام الولاء المطلق للخليفة، فقد جاءت رسالة الحجاج مرآةً عاكسةً لسلوكه وطباعه وسياسته، فلو أمسك بالعصا من وسطها لنال ما في نفسه.

ج- السجون – وضبط الأمن الداخلي والخارجي:

أما ضبط الأمن خارج نطاق المدن فقد ألقيت مسؤوليته على السكان من القبائل والسكان الأصليين، وجعل كل قوم مسؤولين عن أي حادث يقع في المنطقة، وأنذروا بإنزال أشد العقوبات الجماعية بهم إذا وقع حادث في منطقتهم، ويروى أن بني عمر بن حنظلة قطعوا الطريق الذي يمر بهم، فتناهى الأمر إلى الحجاج، فكتب إليهم محذراً:"أقسم بالله لو عاودتم الظلم وسعيتم في الإثم لأبعثن إليكم خيلاً تدع نساءكم أيامي وأولادكم يتامى، فالانتقام يعقب العفو، والإنذار لا بقية معه، والسلام" [1]، ومن هذه الإجراءات الأمنية المتبعة، إقامة مراكز الشرطة (المخافر) على مفارق الطرق لحفظها، وإجازة السابلة، فجاءت رسالة الحجاج إلى قوم من عمرو بن تميم وقد بلغه إفسادهم في الطريق وقطعها، يقول: "من الحجاج بن يوسف. أما بعد: فإنكم قد استبحتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنتهون، وأيم الله إني لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى، والأبناء يتامى، والديار خراباً، والسواد بياضاً فأيما رفقة مرت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذي يليه تقدمة مني إليكم، والسعيد من وعظ بغيره، والسلام "[2]. ويبدو أن هذه الإجراءات الأمنية كانت متبعة زمن زياد بن أبيه، إذ يروى عنه، قوله:" لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه"[3]، وكان الهدف من هذه المراكز الأمنية إشاعة الأمن والاستقرار في الولاية، والتفرغ لمناهضة أعداء الدولة، ومواصلة فتوحها وجباية الأموال،

1- الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 3/ 151، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية، ص: 388- 389 .

2- الجاحظ، البيان والتبيين،1 /397.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 223 .

وتحقيق هيبة الحكم، يقول الحجاج :" إن المعصية لو صاغت لأهلها ما قتل عـدو، ولا جبي فيء، ولا عز دين " [1].

كان من نتائج الفتن والثورات الداخلية، وقوع العديد من الثوار فـي قبـضة الدولة، ليتم إيداعهم بعد ذلك في السجن، حيث المعاناة والضغوط النفسية والجـسدية التي يتعرضون لها، فقد سجن الشاعر ثابت قطنة لمعارضته عامل خراسان آنـذاك، وقد دفع ثابت قطنة ثمن معارضته بأن زج في السجن، إلا أن نصراً بن سيار ترفق به، وعامله المعاملة التي يستحقها باعتباره جندياً مقاتلاً وفارساً شجاعاً، فقال هـذه الأبيات التي أبرقها في رسالة يشكر فيها نصراً على حـسن صـنيعه ومعروفـه، يقول:[2]

إني وإن كنتُ من جذمٍ الذي نُضِرتْ ... منه الفروع وزندِي الثاقب الواري

لـذَاكِرٌ منك أمراً قد سـبقتَ بـهِ ... من كان قبلك يا نصر بن سيارِ

فهي رسالة الفارس الرابط الجأش أمام عذابات السجان وقسوته، وزيادةً على ذلك، فإن سجن الحجاج كان يضم عدداً من رجال الحكم والسياسة أمثال يزيـد بـن المهلب، وسفيان بن الأبرد الكلبي وغيرهم، ممن وقعوا في الاعتقـال الاحتـرازي، فجاءت رسالة الحجاج إلى الوليد بشأن عدد من اللاجئين السياسيين الذين هربوا إلى مكة خوفاً منه، لتوضح ذلك: "إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قـد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة، وأن ذلك وهن"[3]، ومن القـادة الـذين طلبوا حق اللجوء السياسي ابن الأشعث عند (رتبيل) ملك الترك، ولكـن الحجـاج لاحقه هناك وطالب بتسليمه: "ابعث به يعني - ابن الأشعث – إلي وإلا فوا الـذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل "[4].

1- البلاذري، أنساب الأشراف 7 / 46 . انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية، ص:390 .

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7 / 57، انظر: الهليس، شعر الوقائع في القـرن الثـاني الهجري، ص: 146 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 /256.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 /188 .

د- الإصلاحات التنموية:

ولاشك أن الإصلاحات والتنمية، واكبت مسيرة الدولة الأموية في بيئاتها المتعددة والمتباعدة، من استصلاح للأراضي الزراعية، وحفر الآبار، وشق العديد من القنوات وروافد الأنهار ومد الجسور، لتنفيذ مشاريع تنموية، ويعزز ذلك ما أورده الطبري في تاريخه، إذ يقول:" إن الفلاحين كانوا للطرق والجسور والأسواق والحرث والدلالة مع الجزاء على أيديهم على قدر طاقتهم" [1]. أراد خالد القسري بناء قنطرة على نهر دجلة، فأرسل إليه هشام: "لو كان هذا ممكناً لسبق إليه الفرس"[2]، ولما راجعه القسري بشأنها ثانيةً، قال له الخليفة هشام: إن كنت متيقنا أنها تتم فافعلها"[3].

هـ- نقل الصلاحيات والترتيبات الإدارية:

لما أيقن الحجاج بدنو أجله، واستفحال مرضه بعث برسالة للوليد، وكتب في آخرها هذه الأبيات، فقال [4] :

إذا ما لقيتُ الله عني راضياً	**فإن سرور النفس فيما هنالك**
فحسبي حياةُ الله من كل ميتٍ	**وحسبي بقاء الله من كل هالك**
لقد ذاقَ هذا الموتُ من كان قبلنا	**ونحن نذوقُ الموتَ من بعد ذلك**

4.3.2 الرسائل الاجتماعية – الإخوانية –:

عرف هذا اللون من النثر في العصر الأموي، إذ تراسل الأدباء وأرباب السياسة فيما بينهم لنقل وجهة نظر معينة، أو وسيلة لتحقيق غاية، وجاءت على شكل مقطوعات نصية قصيرة في أغلبها نظراً لمحدودية الهدف الذي صيغت لأجله. [5]

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 32 .

2- البلاذري، فتوح البلدان، ص: 175 .

3- البلاذري، فتوح البلدان، ص: 175 .

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،1 /347.

5- فارس، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 255 .

وعلى نحو ما نشأت الكتابة الرسمية، ونمت نـشأت الكتابـة الاجتماعيـة أو الشخصية فأخذ الناس يتكاتبون في مهام شؤونهم الشخصية، في التهـاني والبـشائر والتعازي، والشكوى، والعتاب والاعتذار، والفخر والثناء، ومن هذا اللـون الفنـي رسالة عقال بن شبة إلى الوالي خالد القسري يوصيه بأحد أقربائه، ويقول فيها : "إن ا انتجبك من جوهرة كرم ومنبت شرف".[1]

ويبدو أن هذه المراسلات التي جرت بين الولاة وأقرانهم والخلفاء والأمراء كانت تهدف إلى غاية بعينها لأداء مهمة أو حل مسألة أو مشكلة، كما أن هذه المكاتبـات أصابها ما أصاب الفنون النثرية من الرقي والازدهار، وأن أصحابها تمرنوا علـى الخطابة والجدال والحوار في المناظرات والمسائل الدينية والفكرية والمذهبية، التي دعت إلى الاهتمام بالكتابة والمكاتبات.[2]**حيث تضمنت الموضوعات التالية** :

أ- **الوشاية والتعريض والذم والشكوى :**

هجا بعض الكتاب خصومهم من الأشخاص والأقوام، وذكروا مفاسدهم أثنـاء تسلمهم السلطة، كما صوروا تخاذلهم وذموا قبائلهم ونسبهم، ونكلوا بشخوصهم عند الخلفاء، كما تعرضوا في مراسلاتهم لذم بعض الأماكن، كما في رسالة يزيـد بـن المهلب واعتذاره للحجاج عن غزو خوارزم متذرعاً، بقوله:" بأنها قليلـة الـسلب، شديدة الطلب"[3].

1- أحمد، دراسات في الأدب الأموي، ص: 419-421، انظر: صفوت، أحمد زكي، جمهـرة رسائل العرب، في عصور العربية الزاهرة، مكتبة مـصطفى البـابي الحلبـي وأولاده، مصر، القاهرة، ط2، 1971م،2 / 537 .

2- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربـي، ص: 105، انظـر: الفـاخوري، تـاريخ الأدب العربي، ص: 320 . الطبري، تاريخ الرسل والملـوك، 6 /396، انظـر: العبـود، آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ – حتى منتصف القـرن الرابـع الهجـري، ص:286.

3-البلاذري، أنساب الأشراف، 7/ 40، 44، انظر : العمد، الحجاج بن يوسف الثقفـي حياتـه وآراؤه السياسية،ص: 348 .

وقد شكا قتيبة بن مسلم للحجاج ترك أهل الشام لطاعته بخراسان، فكتب إليه الحجاج بهذه النصيحة:" أحرمهم أطماعهم وأفقرهم فإن الفقر جند ا الأعظم الذي يذل كل جبار عنيد "[1].

ودارت مراسلات عنيفة بين سليمان بن عبد الملك والحجاج تضمنت الكثير من عبارات التهديد والوعيد، وكان سببها تأليب يزيد بن المهلب على الحجاج عند سليمان ابن عبد الملك حين فر من سجن الحجاج، والتجأ إلى سليمان بن عبد الملك في فلسطين فتبادلا مجموعة من الرسائل وكان الحجاج في رسائله يخاطب سليمان بن عبد الملك مخاطبة الند للند[2]، غير أن الحجاج حاول مد جسور المحبة مع سليمان ونصحه بالعزوف عن عدائه له، مقابل الإخلاص والوفاء له، فقال: "مع أني أرجو أن ترغب فيما رغب أبوك وأخوك، فأكون لك مثلي لهما، وإن نفخ الشيطان في منخريك فهو أمر أراد ا نزعه عنك، ولعمري إنها لنصيحة فإن تقبلها فمثلها قبل، وإن تردها علي اقتطعتها دونك، وأنا الحجاج "[3].

ولكي تتضح صور الوشاية والشكوى، وفي إطار التعريض بالمتخاذلين، نجد هذه الرسالة التي بعثها يوسف بن عمر إلى الخليفة هشام يحرضه على قتل خالد القسري، ويتهمه بالتعاون مع زيد بن علي، يقول: "إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجة العراق يستنشيء أخبارها"[4]، ولكن هشاماً لم يصدق ذلك.[5]

1- صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 291 .

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 43 . انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية،ص: 311 .

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد،41/5-43.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 /558 .

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 558/5.

وفي رسالة قتيبة بن مسلم الباهلي للحجاج، التي يشكو فيها سوء حالته وقلة أكله وقلة غشيانه النساء وحصره على المنبر، فكتب إليه الحجاج، يقول: "استكثر من الألوان لتصيب من كل صفحة شيئاً، واستكثر من الطروقة تجد بذلك قوة على ما تريد، وانزل الناس بمنزلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك،وأرم ببصرك أمامك تبلغ حاجتك "[1].

ب - العتاب والموجدة والاعتذار:

لون من ألوان الرسائل الاجتماعية يتبادله الإخوان والأصدقاء فيما بينهم، لأمور بدرت من أحدهم لم يقبلها الآخر، فشكا إليه من تصرفه، لابتعاده عنه، وكذلك شاع بين الخلفاء والولاة، ومن نماذجه التي جاءت موجهة من الولاة لغيرهم، قول زياد إلى معاوية**:**" إني قد شغلت بشمالي العراق ويميني فارغة فإن رأى أمير المؤمنين أن يوليني الموسم "[2]. ومن رسائل النصح والتوجيه الممزوجة بنكهة العتاب والنقد ما قاله المهلب إلى ابن الأشعث لما بلغه شقاقه: "أما بعد: فإنك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد - صلى ا عليه وسلم-، ا ا فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها. فإن قلت: أخاف الناس على نفسي، فا أحق أن تخافه عليها من الناس فلا تعرضها في سفك دم ولا استحلال محرم، والسلام عليك " [3].

بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان إسراف الحجاج وتنكيله بأسرى معركة دير الجماجم، فأرسل إليه الخليفة برسالة يتهدده ويتوعده فيها، فرد الحجاج ملاطفاً ومعتذراً للخليفة عن سوء فعله، ومبرراً سلوكه مع الأسرى لأنهم من أهل المعصية، يقول: " أما بعد: فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري في الأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله، وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه؛ فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفاً، وإعطائي أولئك المطيعين تبذيراً فليسغني- أمير المؤمنين- ما سلف، وليحد لي فيه حداً انتهي إليه

1- الدينوري، ابن قتيبة،عيون الأخبار، 2 /174.

2- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص:229.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 149/5.

إن شاء ا تعالى ولا قوة إلا با ، ووا ما علي من عقل ولا قود: ما أحببت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم. ولا أعطيتهم إلا اك ولا قتلت إلا فيك، وكتب في أسفل كتابه [1]:

إذا أنا لم أتبـع رضــاك وأتـقي أذاك فيومـي لا تزولُ كواكبـــه

وما لامرئ بعد الخليفــة جنــةٌ تقيه من الأمر الـذي هو كاسبـُه

أُسالِم من سالمتُ من ذي قرابــةٍ ومن لم تُسالِمه فإني مــحاربـه

ولا عجب أن يبعث المغيرة بن شعبة برسالة إلى معاوية يلتمس منه الاعتـذار عن العمل السياسي والإداري، ولعل المغيرة أراد أن يعرف مكانته عنـد معاويـة أيعزله أم يبقيه، وهي بمثابة استطلاع الرأي: "أما بعد: فقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وسفهني سفهاء قريش، فرأي أمير المؤمنين في عمله موفق". [2]

ج- المدح والثناء:

شاع هذا اللون الاجتماعي في النثر الترسلي كما هو شيوعه في الشعر، يفـزع إليه المادح ليعدد ويذكر مناقب ممدوحه، ويخصه بميزات ومناقب يرى أنه يخـتص بها فيسجل ذلك في مقطوعة نثرية فيذيع صيته، وقد تمثل ذلك في مدح عبد الملـك بن مروان لفعل الحجاج في رستقباذ، وأثنى على قتله عبد ا بن الجارود والقضاء على ثورته، فكتب له:" أنت الناصح الجيب الأمين الغيب القليل العيب"[3].

وتتكرر الفكرة ذاتها في رسائل المدح والثناء فهذا مسلمة بن عبد الملك يبعث إلى يزيد بن المهلب قبل نشوب القتال بينهما يمدحه ويثني عليه، يقول: "إنك وا ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور وأنت مـشهور وغيـر موتور". [4]

1- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3/141-142.

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 /83، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:162 .

3- البلاذري، أنساب الأشراف، 7 / 10، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية ص: 219 .

4- الجاحظ، البيان والتبيين، 2 /240.

د- التعازي:

تدخل التعازي في باب المشاركة الوجدانية، لتبعث على السلو، وتعمل على تضميد المصاب، وحسن العزاء، إذ تحمل في أثنائها العاطفة الصادقة والمعاني السامية، والشعور الحقيقي، لتؤثر في القلب، وتسري عن ذوي الفقيد لحظات الفقد وتكون التعزية بعبارات محدودة، ومعانٍ جامعة، تبعث على طلب المغفرة والدعاء والمواساة، ومن هذه التعازي ما كتبه الحجاج جواباً إلى الوليد على تعزيته له بوفاة أخيه محمد:" يا أمير المؤمنين: ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاماً واحداً، وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يتفرق فيها مؤمنان " [1].

ه- التهاني والبشائر:

باب من أبواب الرسائل الاجتماعية (الإخوانية) التي تتضمن رسائل البيعة والنصر والزواج وغيرها، ومن كتب التهاني الموجهة ما وجهه الحجاج إلى الوليد لما أصبح خليفة، جاء فيه: " أما بعد: "فإن الله تعالى استقبلك، يا أمير المؤمنين، في حداثة سنك بما لا أعلمه استقبل به قبلك من التمكين في البلاد والملك للعباد والنصر على الأعداء، فعليك بالإسلام فقوم أوده وشرائعه وحدوده، ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم، فإنهم قل ما يؤتي الناس من خير أو شر إلا أفشوه في ثلاثة أيام، والسلام".[2]

كان للانتصارات التي حققها المهلب بن أبي صفرة على الخوارج، نغمة فرح، تسري وتنتشر في مختلف أقاليم الدولة الأموية وكانت أنباء هذه الانتصارات تشكل معالم بهجة وفرح لدى الخلفاء والولاة والقادة، فيتبادلون التهاني، فقد بعث المهلب بن أبي صفرة بعد انتصاره في موقعة سلى وسلبرى[3] بعد حرب طاحنة وقتل في المعركة أمير الأزارقة عبيدالله بن بشير بن الماخور، فكتب المهلب إلى الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المعروف (بالقباع) أمير البصرة، يهنئه بالنصر، يقول: "بسم

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 348/1.

2- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 93 .

3- سلى وسلبرى: اسم لموضعين بالأهواز.

ا الرحمن الرحيم، أما بعد، فإننا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت في النـاس جولة، ثم تاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة، وأبدان شـداد، وسـيوف حـداد، فأعقب ا خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فـصاروا دريئـة[1] رماحنـا، وضرائب سيوفنا، وقتل ا أميرهم (ابن الماحوز)، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها، والسلام "[2]، وبتجدد الانتصارات أثناء الفتوح تتجدد أصداء ومظاهر الفرح في كل مكان، وتُزف إلى الخلفاء والولاة والقادة رسائل التهاني والبـشائر كرسـالة يزيد بن المهلب إلى الحجاج يبشره بانتصاره على عدو له،وتمكنه من فـتح قلعـة (باذغيس)، والكاتب يحيى بن يعمر، "إنا لقينا العدو، فمنحنا ا أكتافهم، فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال، وعراعر الأودية، وأهضام الغيطـان، وأثناء الأنهار" [3]، فكانت الانتصارات المتتالية في هذا العصر تشكل بعثاً جديداً لقوة الإسلام والدولة، وكان هؤلاء الأبطال محط رجاء الأمة وأملها في نـشر الإسـلام، فلذا، واكب الأدب مسيرة الانتصارات على الأعداء فهذه رسالة موسى بن نصير إلى الوليد يبشره بالفتح الذي أحرزه بالأندلس، يقول**:**" إنها ليـست كـالفتوح يـا أميـر المؤمنين، ولكنه حشر".[4]

و- طلب الشفاعة:

حين تغيب مظاهر العز والسؤدد قد يعمد الخليفـة أو الـوالي إلـى ملاحقـة الشخص الهارب من وجه العدالة أو غض الطرف عنه، وهذا يعود لنوع الذنب الذي ارتكبه الإنسان، ومدى خطورته على أمن الدولة الإسـلامية، إذ لـيس شـرطاً أن يشترك المتهم في الحركات الثائرة أو التمرد على الدولة، فقد يسجن على الظنـة أو بسبب وشاية لدى الوالي سواء كانت صحيحة أم لا، فرسالة يزيد بن المهلـب فـي طلب الشفاعة لخالد القسري من الخليفة سليمان بن عبد الملك لما ضـرب القـسري

1- دريئة: حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي، والمقصود (الهدف).

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،1/ 388، انظر: الحوفي، أدب السياسة فـي العـصر الأموي، ص: 390 .

3- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص: 25.

4- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2 / 123.

ولد الأعجم، قاضي مكة توضح قسوة الولاة، لذا، كتب يزيد بن المهلب للخليفة طالباً الشفاعة منه، يقول:" إن كان ضرب يا أمير المؤمنين بعدما قرأ الكتاب تقطع يده، وإن كان ضربه قبل ذاك، فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك "[1].

وتوضح هذه النصوص من الرسائل التي بعثها أهل الأمصار أنهم كانوا يكتبون إلى بني أمية بشؤونهم الفردية والجماعية، ويصورون للخلفاء مساوئ العمال ومفاسدهم وعدوانهم وتسلطهم على رعيتهم، فيقع على الولاة بجرائر أعمالهم عقوبات الخلفاء بالتأنيب والتقريع والتهديد بالخلع لظلمهم الرعية، وتمثل ذلك في رسالة أنس بن مالك إلى عبد الملك يستجير به من الحجاج، فقد اتهم الحجاج أنس بن مالك بممالأة ابن الأشعث، فأساء معاملته وأغلظ له، فكتب أنس بن مالك لعبد الملك كتاباً يخبره بذلك، يقول: "لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ولعرفوا له ذلك، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة ما استطاعوا، وإني خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورأيته وأكلت معه ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه، وإن الحجاج قد أضر بي وفعل وفعل"[2].

5.3.2 الرسائل الدينية:

لا شك في أن الرسائل الدينية وفن الوصية والموعظة في أدب الولاة، سارت وراء النصوص الشرعية لا أمامها، فالكاتب يأخذ معانيه ومراميه من أفكار الإسلام

1- الكوفي، أبو محمد، أحمد بن أعثم (ت 314هـ)، كتاب: الفتوح، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- بحيدر آباد-، الهند، ط1، 1975م، 35/8.

2- ابن كثير، إسماعيل، (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1992م، 8 /65.

ومفاهيمه فيعمل فكره في صياغتها صياغة مؤثرة، ثم يدفع به إلى أولئك النفر مـن الناس ليوجههم وجهة يرتضيها ديننا الحنيف.

وتتنازع الوصية والموعظة موضوعات محدودة كالالتزام بـالتقوى، وإقامـة العدل، والزهد في الدنيا، وتخويف السلطان من ا ، والإقبال على الآخـرة، وآداب التعامل الخاص والعام، كما تتطرق إلى التوجيه والنصح في إطار بنـاء العلاقـات الإنسانية في المجتمع، حيث أصبحت هذه الرسائل مظهراً من مظاهر حضارة الدولة ومجتمعها. [1]

وعندما أحس الحجاج باستفحال مرضه واحتمال وفاته كتب بذلك إلى الوليد بن عبد الملك، فقال له:" قد نزل بمولاك ما نزل بأيوب الصابر، وأرجو أن يكون الجبار أراد بعبده غفراناً لخطاياه، وتكفيراً لما حمل من ذنوبه" [2].

6.3.2 الرسائل الأدبية- الوصفية-:

يعد الوصف فناً من فنون النظم والنثر الأدبي، وهو ينقسم إلى صنفين: وصف حسي، وآخر معنوي، ويلاحظ أنه وصف صادق صادر عن واقعيـة، بعيـد عـن التكلف، وأكثر ما يكون الوصف في المحسوسات كوصف الطبيعة وأشيائها.

ومن نماذجها التي تمثلت في مراسلات الولاة مع قادتهم حين طلب الحجاج من قائده تصوير المواقع الإستراتيجية في (الديلم)، ودعا أهلهـا أن يـسلموا أو يقـروا بالجزية فأبوا فأمر بتصويرها، فلما صورت له، دعا من قبله من (الديلم)، فقال: "إن بلادكم قد صورت لي، فرأيت فيها مطمعاً فأقروا إلي بما دعـوتكم إليـه قبـل أن

1- فارس، أدب الفقهاء –حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 280 –281 .

2- القالي، ذيل الأمالي، ص: 172، انظر: العمد، الحجاج بن يوسـف الثقفـي حياتـه وآراؤه السياسية، ص: 528 .

أغزيكم الجنود فأخرب البلاد، وأقتل المقاتلة، وأسبي الذرية "، فاجتمع بهـم، فـدعا بالصورة، فنظروا فيها فقالوا هذه صورتها"[1].

ويتردد صدى الفتوحات طوال هذا العصر، وهذا ما تمثل في رسالة جوابية من موسى بن نصير إلى الوليد،التي رسم فيهـا مـشهداً تفـصيلياً للعبـور للأنـدلس فكتب فيها: "إنه ليس ببحر متسع،وإنما هو خليج يبين ما وراءه".[2]

وهذه رسالة من الحجاج إلى عامله على فارس، يطلب منه عسلاً، فكتب إليه: "ابعث إلي من عسل خلار[3] من النحل الأبكار من الاستفشار[4] الذي لم تمسه نار".[5]

وتعد كذلك نوعاً نثرياً اشتق وخرج من عباءة (الرسـالة الترسـلية) إن جـاز التعبير، بعد فن التوقيعات التي نشأت على هوامش تلك الرسالة إلـى أن اكتـسبت شخصية خاصة ومستقلة عنها.[6]

غير أن الرسالة الأدبية ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري، وظلت تـسير في ركاب الرسالة الترسلية حتى أواخر العصر الأموي إلى سنة (132هـ)، وتمثل هذا النوع النثري في ميله إلى الإطالة بإطراد مع العصر الأموي، وهذا الميل إلـى الإطالة كان بشكل ما خاضعاً للمؤثرات الموضوعية الجديدة التي ترسخت في أسس الحضارة والثقافة العربية بعد تلك النقلة التاريخية الكبيرة، وتحديد معـالم تـصور الإنسان والمجتمع في الكون والمصير، وامتلاك القدرة على التأثير في سبيل المبادئ والقيم والمثل؛ لأنها محركات أساسية لابد منها، لكل ازدهار فكري أو أدبـي فـي مختلف العصور.[7]

1- ابن الفقيه، أبو بكر، أحمد بن إبراهيم، (ت: في القرن الخامس الهجري)، مختـصر كتـاب البلدان، مصور عن طبعة ليدن، 1906م، ص: 283، انظر: العمد، الحجاج بن يوسـف، ص: 353 .

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 132.

3- خلار: مكان بكرمان، يكثر فيه العسل الجيد.

4- الاستفشار: كلمة فارسية، تعني: العسل المعصور باليد.

5- الجاحظ، البيان والتبيين، 103/2.

6- المقداد، محمود، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني: (النثر)، ص: 7.

7- المقداد، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني: (النثر)، ص:8.

أما في هذه الفترة، فقد رأيت أن الرسائل والمكاتبات كانت سجلاً سياسياً شاملاً لكل خطوة منذ مقتل عثمان إلى بداية خلافة معاوية وحتى انتهاء دولة الخلافة الأموية، فتناولت تلك الرسائل السياسة والفتن والحروب والمجتمع والشؤون الإدارية، والنظام الداخلي، والنزعات الحزبية الثورية، حيث كان السلوك السياسي عنيفاً صارماً، أو ليناً حازماً، فكانت تلك النصوص الكتابية سياسية صريحة مباشرة.[1]

فكان الولاة الذين يحكمون الأقاليم الإسلامية باسم الخلفاء يتزعمون الجيوش الفاتحة شرقاً وغرباً، كزياد، والحجاج، وبشر بن مروان، وسعيد بن العاص، وآل المهلب، وقتيبة بن مسلم الباهلي، إذ نجد لكثير منهم سياسة خاصة بعثت فنوناً أدبية ممتازة.[2]

4.2 خصائص فنية في رسائل الولاة:

امتاز النثر عامة(الخطابة والرسائل والتوقيعات) بالجزالة، وعدم التصنع الإنشائي والإيجاز البليغ، ولا سيما في الأمور السياسية والإدارية والمستعجلة، وامتاز أيضاً بظهور الأثر الإسلامي في العاطفة، وفي السجع والتوازن والترادف والعطف والتكرار، والمماثلة والموازنة والتصوير، وحرارة الأسلوب، وعنف اللهجة الخطابية، وفي منتصف العصر الأموي وأخرياته غلب على رسائل العصر ومكاتبته الإطالة والتسلسل المنطقي والتبسيط والإطناب، وكثرة العطف وعدم التكلف في السجع والمحسنات البديعية، مع رشاقة الألفاظ ودلالتها [3]، والتروي قبل البدء في الكتابة، والتحقيق ووضوح المعاني وقربها، مع مراعاة الفواصل بين الجمل والعبارات، وارتباط المعاني بعضها ببعض، والإيجاز في اللفظ مع الإفاضة في المعنى، وحفظ النصوص الأدبية شعراً و نثراً مع سعة الثقافة اللغوية والأدبية

1- الشايب، أحمد، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، دار القلم، بيروت، ط5، 1976، ص: 190 -191 .

2- الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ص: 97 ..

3- ملحس، مدخل إلى أدب العصر الأموي، ص: 54 -55.

وأسرارها البيانية، وأساليبها التعبيرية، يقول العسكري: "وأعلم أن الرسائل والخطب متشابهتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضاً مـن جهـة الفواصل والألفاظ، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السيولة والعذوبة، وكـذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما، إلا أن الخطبة يشافه بهـا، والرسائل يكتب بها"[1]، وزيادة على ذلك، فلم يكن ظهور الرسائل الأموية فجأة، فقد استمدت معينها من رسائل عدة في عهد النبوة، والخلافة الراشدة، وكانت لها سماتها التي طبعت بطابعها إلى حد بعيد في العصر الأموي، فكانت نوازع التطور ماثلـة فيها، واستغلت وصارت أساساً لما استجد من رسائل في العصر العباسي كذلك [2]، وهناك أيضاً الملامح والسمات الفنية لهذا الأدب في أطواره المتعددة، والمختلفـة أو ما يمكن تسميته بالمحور الفني، لذا، فإن الأدب ظاهرة اجتماعية دائمة الحضور في التاريخ الأممي، وعندها تكون للظاهرة الأدبية وظيفتها نثراً وشعراً وفكراً، والتـي تعد مرآة في مفهوم الإنعكاس؛ لأنه يمثل قوة أو ضعف شخصية صاحبه وعـصره بل يشمل على كل ما أنتجته خواطر علمائها وقرائح كتابها وشعرائها.[3]

لعل من الطريف أن بعض الرسائل الصادرة عن ديوان الرسائل تطبع بطوابع أسلوبية واحدة، فتجري في أسلوب من الإزدواج ومن اللغة الجزلة الرصينة، علـى شاكلة الكثير من القطع النثرية التي ستوضح فيما بعد.

لقد مضت الكتابة في العصر الأموي، وشقت طريقها إلى التطور والتجديد في الشكل والمضمون، إذ تجلى هذا الفن الكتابي في **ظواهر فنية، عدة:**

1- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد ا ، (ت395هـ)، كتاب : الصناعتين، تحقيق: علـي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبـي وأولاده، مـصر، ط2، 1971م ص: 102 .

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص :393 .

3- حسين، طه، في الأدب الجاهلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبـي، القـاهرة، (د.ط)،(د.ت)، ص: 317

1- **مذهب التلميح والإشارة:**

يقوم هذا المذهب على إيراد المترسل شيئاً من الإثارة أو التلميح إلى بعض الشخصيات أو الحوادث أو الأشعار أو الموضوعات أو المعاني أو الأقوال المأثورة أو الوصايا من غير التصريح بها، ولا يذكر نصها التام، اعتماداً في فهمها على ذكاء المتلقي وفطنته وثقافته على فك المقصود بهذه الإشارة، أو ذاك التلميح من غير عنت ولا عناء[1]، وفي مذهب الإشارة والتلميح يرتقي مستوى الخطاب في سياق النص لاختصار الكلام وتأويله من المتلقي، ومن نماذجه في ترسل العصر الأموي ما جاء في رسالة موجهة من الخليفة عبد الملك بن مروان للحجاج رداً على رسالة الأخير في أمر الخوارج أتباع قطري بن الفجاءة، إذ يقول:" إني أحمد إليك السيف، وأوصيك بما أوصى به البكري زيداً ".[2]

لقد فهم الحجاج الشطر الأول من مضمون الرسالة، ودعوته إلى الثبات في حرب الخوارج، واستعمال السيف دون هوادة، ولكن الشطر الثاني التبس على الحجاج، إذ لم يدر من (البكري) ومن (زيد)، وما فحوى وصيته، مما اضطر الحجاج لدفع جائزة تقدر بعشرة آلاف لمن يفسر له شطر الرسالة الثاني، فقدم عليه رجل يعرف الخبر، فذكره للحجاج، وقبض الجائزة، فإذا بالبكري هو (موسى بن جابر الحنفي) والذي يوصي ابن عم له يدعى (زيداً) في شعره، ليقول [3]:

أقولُ لزيدٍ لا تُتَرتِر فإنهم يـــرون المنايا دون قتْـلِك أو قَـتْلـي

فإن عضتِ الحرب الضروس[4] بنابِها فَعرضةُ نارِ الحربِ مِثْلُك أو مِثلي

فلما سمع الحجاج ذلك المقصود، قال:" صدق أمير المؤمنين عرضة نار الحرب مثلي أو مثله، وصدق البكري".[5]

1- المقداد، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني – (النثر)، ص:32.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2/ 159 .

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2/ 159 .

4- الحرب العضوض: وأصله من الناقة الضروس، وهي السيئة لحالبها .

5- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،2/ 159 -160، انظر: المقداد، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني – (النثر)، ص: 33- 34 .

2 - مذهب الإغراب والتقعير:

عزف بعض مترسلي العصر الأموي على وتر (الألفاظ الغريبة) أو (الحوشية المتوعرة) في اللغة، ويعد النزوع إلى الغريب على وجه العموم شذوذاً عن القاعدة في مراسلات ذلك العصر، الذي يميل إلى الوضوح لإظهار الغاية والهدف في الترسل، ومما يوضح ذلك قول الجاحظ محدداً سمات هذا التعبير اللغوي: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام، يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي".[1] ومن نماذجه ما كتبه يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب والي خراسان، إلى الحجاج يبشره فيه بفتح الفتوح، فيقول: " إنا لقينا العدو فمنحنا ا أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال، وعراعر الأودية[2]، وأهضام الغيطان[3]، وأثناء الأنهار"[4]، فلما قرأ الحجاج هذه الرسالة، وما شاع فيها من الإغراب والتقعير، سأل عن كاتبها فذكروا له أنه يحيى بن يعمر، وليست من كلام يزيد بن المهلب، فقال الحجاج: "ما لابن المهلب وهذا الكلام، ليس يزيد بأبي عذر"[5]، ومن النماذج الأخرى المماثلة، رسالة الحجاج إلى عبد الملك يخبره بهطول الأمطار قبله، يقول: "أما بعد: فإنا نخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب أرضنا وابل[6]منذ كتبت أخبره عن سقيا ا إيانا، إلا ما بل وجه الأرض من الطش[7] والرش والرذاذ حتى دقعتِ[8] الأرض

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 110 .

2- عراعر الأودية : أسافلها .

3- أهضام الغيطان: مداخله.

4- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص: 25، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 203/2، انظر : حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص: 357 .

5- الجاحظ، البيان والتبيين،378/1، انظر: صفوت، جمهرة خطب العرب، 203/2، انظر: المقداد، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني – (النثر) ص: 35-36.

6- الوابل: المطر الشديد .

7- الطش: المطر الخفيف .

8- دقعت الأرض: أصبحت لا نبت فيها .

واقشعرت[1] واغبرت"[2] ومن الواضح أن هذه الرسالة ليست مسجوعة، ولكنها مع ذلك قد أحكمت صنعتها، سواء من حيث اختيار ألفاظها والذهاب بها مذهب الغريب المقبول، أو من حيث دقتها في تصوير الجدب ثم نزول الغيث، وهي مليئة بالاستعارات والتشبيهات، يقول شوقي ضيف: "وكأن الحجاج شاعر يجمع أشتات خياله، ليؤلف هذه اللوحة البديعة".[3]

3- مذهب الرمز:

أي استعمال إشارة معينة أو صورة أو لفظة للتعبير بها عن معنى معين أو حالة أو حدث، بدلاً من التعبير المباشر عنها بنفسها، أي تغليف القصد الأصلي بقناع له ومن نماذجه في ترسل العصر الأموي، ما كتبه بشير بن أبي دلجة، وكان من كتاب ديوان الرسائل زمن الخليفة هشام بن عبد الملك إلى صديق له من حاشية خالد بن عبدا القسري والي العراق، يعلمه بعزل خالد القسري عن العراق، وتولية يوسف بن عمر الثقفي واليه على اليمن مكانه في ولاية العراق، فكتب ذلك رمزاً، فقال:" قد بعثوا إليك بالثوب اليماني، فإذا أتاك، فألبسه وأحمد ا عليه، وأعلم طارقاً[4] بذلك" [5].

4- التجويد والازدواج:

ومن يقرأ ما أثر من رسائل سياسية لهذا العصر يلاحظ أنها تجري في عبارة جزلة مصقولة يغلب عليها الإيجاز الذي يقصد إلى أداء الغرض، فصار كثير من يملون الرسائل ويكتبونها، يتعمدون التحبير والتجويد والتأنق والتنميق والتنقيح، ويعد التجويد وأطره الفنية من ثمرات الإعداد المسبق، وأما (الازدواج والسجع) فهو تقسيم الكلام إلى فقر متساوية ومتوازنة في الطول والقصر والوزن، بل هو تماثل

1- اقشعرت: تقبضت من الجدب .

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 99/4.

3- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 108- .109 .

4- طارق: عامل لخالد القسري على الكوفة .

5- الجهشياري، الوزراء والكتاب، 62-63. المقداد، قراءات في أدب العصر الأموي – القسم الثاني – (النثر)، ص:40.

الحروف في مقاطع الفصول"[1]، أو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حـرف واحد[2]، وأكثر ما تمثل هذا اللون كذلك في الرسائل الاجتماعية والسياسية الرسمية التي تستخدم الأسلوب المزدوج الذي يأخـذ بـأطراف مـن التـصوير والطبـاق والتشبيهات والترادف الصوتي والتكرار كما يلحظ في الرسالة التالية،"إنا لقينا العدو فمنحنا ا أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال، وعراعر الأودية، وأهضام الغيطان، وأثناء الأنهار"، والرسالة على قصرها مثلاً يتضح فيهـا جهد كاتبها في تحبيرها، فقد بناها على الطباق والمقابلة بـين المعـاني والألفـاظ، والتوازن بين العبارات والكلمات الفصيحة ذات المخارج الحسنة،وواضح أن بعض الرسائل تعتمد في بنائها الفني على خاصية الترادف الموسـيقي فـي عبـارتين أو عبارات، وبعض الكتاب يوشي أسلوبه بحلية التصوير وما يدمج فيه من اسـتعارات وطباق ومقابلة وجودة التقسيم ودقة المنطق والإيقاعات والموازنات الصوتية، يقول صاحب الصناعتين: "لا يحسن منثور الكلام، ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً خالياً من الازدواج، ولـو اسـتغنى كـلام عـن الازدواج لكـان القرآن ".[3]

5- المحاجة:

تتجلى في الرسائل المتبادلة بين الخصوم، وتركيز حرصهم على تفنيد الحجة، والرد على الخصم بأقسى الألفاظ والمعاني، بما يفوت عليه غرضه، فـي ترتيـب للفكرة ونقض للدعوة، ونجد هذا جلياً في رسالة جوابية من موسى بن نـصير إلـى عبد العزيز بن مروان حول حقيقة رقم السبي الذي بعثه إليه، فكتـب:" بلغنـي أن الأمير – أبقاه ا – يذكر أنه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء ا علي وأنه ظن،

1- الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة،(ت 644ه)، مطبعة الخانجي، القـاهرة، ط1، 1932م، ص: 163، انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 394 .

2- ابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين،(ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والـشاعر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبـي وأولاده، القاهرة، (د.ط)،(د.ت)، 1/ 114 .

3- العسكري، كتاب: الصناعتين، ص:250 .

أن ذلك وهم من الكاتب، فقد كان ذلك وهماً على ما ظنه الأمير، والخمس أيها الأمير ستون ألفاً حقاً ثابتاً بلا وهم" [1]، وفي رسالة الحجاج لقطري بن الفجاءة يعرض عليه إقطاعه بعض الأرضين، جاء فيها:"سلام عليك، أما بعد: "فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية، وقد علمت حيث تجرثمت ذاك أنك عاص ولولاة أمره،غير أنك أعرابي جلف تستطعم الكسرة وتستشفي بالتمرة، والأمور عليك حسرة، خرجت لتنال شبعةً فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش فهم يهزون الرماح ويستنشئون الرياح، على خوف وجهد من أمورهم، وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ثم أهلكهم ا ، والسلام "[2]، فيرد قطري على الحجاج بكتاب أعنف أسلوباً، وأقسى عبارة مما يجعل الرسالتين أقرب إلى سهمين تراشقا، ورمحي طعان منهما إلى كاتبين كبيرين من رؤوس رجال العصر، يقول قطري في رسالته: "من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم ا ويرهبون نقمه، فالحمد على ما أظهر من دينه، واطلع به أهل السفال، وهدى به من الضلال، ونصر به عند استخفافك بحقه، فكتبت إلي تذكر أني أعرابي جلف أمي، استطعم الكسرة واستشفي بالتمرة ! ولعمري يابن أم الحجاج إنك لميت في جبتك مطلخم في طريقتك" [3].

6- الإيجاز:

بقيت الرسائل موسومة بالإيجاز في أكثر حالاتها، اكتفاء بتأدية المعنى بأقصر عبارة، من غير إطناب أو تكرار أو تفصيل ممل، ونجد ذلك ماثلاً في العديد من الرسائل المتبادلة بين الخلفاء وولاتهم، أو بين الولاة وعمالهم وقادتهم وخلفائهم ومعارضيهم من زعماء الأحزاب والفرق المذهبية، كما في رسالة المغيرة بن شعبة إلى معاوية لما كبر وخاف العزل، فكتب:" أما بعد،فقد كبرت سني، ورق عظمي،

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،101/2 – 102، انظر: ابن عذارى، البيان المغرب في حلى المغرب، 33/1 .

2- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 27/1- 271 .

3- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 27/1- 271.

واقترب أجلي، وسفهني سفهاء قريش، فرأي أمير المؤمنين في عملـه موفـق" [1]، ومن نماذجه الأخرى رسالة سعيد بن العاص إلى معاوية بشأن بيعة يزيد، فكتب إلى معاوية: "إنه لم يبايعني أحد، وإنما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك النـاس جميعاً لم يتخاف عنك أحد"[2]، ومنه كذلك رسالة الحجاج إلى محمد بن القاسم لمـا ولاه ثغر الهند، فأرسل يبشره بالظفر ويستأذنه بالتقدم، يقول: "سر فأنت أمير علـى ما تفتحه".[3]

7- قصر الجمل وتوازنها:

تميزت بعض رسائل الولاة الأمويين لهذا العصر بقـصر الجمـل وتوازنهـا؛ لتكون أسرع في تأدية الفكرة، وأقوى في التأثير، وأبقى في النفس[4]، ومـن أمثلـة ذلك، قول الحجاج بن يوسف لقطري بن الفجاءة: "غير أنك أعرابي جلف تـستطعم الكسرة، وتستشفي بالتمرة، والأمور عليك حسرة ".[5]

8- الخيال:

لم تلتزم المكاتبات في هذا العصر التعبير بالألفاظ في مواضعها الحقيقية، ففـي كثير منها مجاز وخيال، وفي بعضها تمثيل وتصوير[6]، ومن أمثلة ذلك قول المهلب بن أبي صفرة بعد انتصاره في إحدى المواقع على الأزارقة، فكتب إلـى الحـارث

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 /83، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:162 .

2- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 /286، انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص: 169.

3- اليعقوبي، كتاب: التاريخ، ص: 289.

4- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 405 .

5 - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 1/27- 271، انظر: حمادة، الوثائق الـسياسية العائـدة للعصر الأموي، ص:370.

6- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 407.

أمير البصرة، يقول: " فصاروا دريئةَ[1] رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل ا أميرهم ابن الماحوز"[2].

9 – التصوير الكاريكاتوري:

هو أسلوب قائم على المبالغة في التصوير لخلق أسلوب ظريف سهل يعتمد فيه الأديب على "التخيل والتصوير الدقيقين لالتقاط صورة مشوهة مضحكة للمهجو"[3]، حيث يلتقط عيوب المهجو" التقاطاً سريعاً لا يتركه إلا بعد أن يجعل منـه سـخرية للناس جميعاً "[4]، بصورة كاريكاتورية يعتمد فيها على أسلوب الغلو والمبالغة فـي وصفه له، ومن أمثلة ذلك قول زياد لمعاوية رداً على رسالة الأخير، قائلاً**:**" أما بعد: فقد ورد إلي كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحاب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة، إنما يكفر النعم ويستدعي الـنقم (من حاد الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً)[5]. فأما سبك لي فلولا حلم ينهـاني عنـك وخوفي أن أدعى سفيهاً لأثرت لك مخازي لا يغسلها المـاء، وأمـا زعمـك أنـك تخطفني بأضعف ريش، وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازيـاً يفزعـه صـفير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف ؟ وستعلم أينا الخاضع لـصاحبه الطـامع، والسلام" [6].

1- دريئة: حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي، والمراد (الهدف) .

2- المبرد،الكامل في اللغة والأدب، 2/ 195 .

3- إبراهيم، وليد عبد المجيد، الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2001 م، ص: 214 .

4- جيدة، عبد الحميد، قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي، منشورات دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1985، ص: 284 .

5- سورة المائدة، الآية : 64 .

6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 805/4- 806، انظـر: حمـادة، الوثـائق الـسياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص:156.

جاءت هذه الرسالة جامعةً للبعد الانفعالي الصادق، وتأثير انعكاسات رواسب الموقف السياسي[1]، حملت رسالة زياد في أثنائها لمعاوية تهديداً قاسياً[2]، فالمتأمل في هذه الرسالة يجد نقداً وتنديداً لشخصية سياسية تطمح وترغب في جذبه لمصلحته، فالقارئ لهذه الرسالة يجد فيها التصوير الساخر وسعة الخيال، كما في قوله:" فوجدتك كالغريق يغطيه الموج، فيتشبث بالطحاب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة "، كما حوت الرسالة في طياتها ألواناً من التشبيه في قوله :"وجدتك كالغريق"، والتشبيه الضمني في قوله:" فهل رأيت بازياً يفزعه صفير القنابر ؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟ " وأما الكناية، فجاءت في قوله:" مخازي لا يغسلها الماء"، وجاء التضمين والاقتباس القرآني ماثلاً في قوله تعالى: "**من حاد ا ورسوله وسعى في الأرض فساداً** "[3]. فالرسالة، في بنيتها الفنية مليئة بعاطفة الغضب والعزم على الانتقام.

10 - الاستعمال غير الدارج:

لجأ الحجاج إلى إدخال كلمات جديدة وتعابير خاصة، وهذا من تأثير الحضارات وابتكر الأدباء من أرباب السياسة ألواناً جديدة مصورين الطبيعة والبيئة بأدق صور، فقد تفننوا في رسم مظاهر حياتهم العامة، والكشف عن مواطن الجمال والذوق، لاستخراج الصور الوصفية الجديدة والمعاني الطريفة[4] في أدبهم، فكانت رسالة الحجاج إلى عامله على فارس يطلب منه عسلاً، فكتب إليه:"ابعث إلي من عسل خلار من النحل الأبكار من الاستفشار الذي لم تمسه نار".[5]

1- خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي – دراسة تحليلية -، ص: 201 .

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي،ص: 369 -370 .

3- سورة المائدة، الآية :64 .

4- أبو حلتم، نبيل خليل، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري(من خلال يتيمة الدهر)، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1985، ص: 181 .

5- الجاحظ، البيان والتبيين، 103/2.

11- الصنعة في الرسائل:

ولا غرابة في ذلك، فإنهم إنما كانوا يريدون برسائلهم في أكثر أحوالها إقنـاع الناس وإسكات الخصوم، واستمالة القلوب، حتى يصنع فيها صنيع الغيث في التربة الكريمة[1]. لجأ كتاب الرسائل إلى ضروب من الترداد والتكرار والترادف، فلم يلبثوا أن تحولوا بها إلى صورة من الأسلوب المزدوج، الذي يقف في منزلة وسطى بـين أسلوب السجع والأسلوب المرسل، وقد تمثل ذلك في رسالة عبدالرحمن بن الأشعث التي أنشأها ابن القرية في تأنيب وتقريع الحجاج:" ولا يدللون الفجرة، ولا يتراضون الجورة "[2]، ونراهم كذلك يستخدمون ضروباً مـن التـصوير أو مـن التـشبيهات والاستعارات " فأصبحت عريان حيران مهيناً، لا توافق وفقا، ولا ترافق رفقـاً، ولا تلازم صدقاً"[3]، وهم يستلهمون في كثير مـن جوانبهـا آي الـذكر الحكـيم كمـا يستلهمونها في أكثر معانيها وقد جعلهم حديثهم عن الثواب والعقاب والجنة والنـار والطاعة والعصيان والحياة والموت والإيمان والكفر أن يقيموا كلامهم على الطبـاق والمقابلة[4]، "وخِلْتَ أن لن تبور[5]، وأنتَ في فلكِ الملوكِ تدور "[6].

وكذلك بان في رسائل الولاة أثر الصنعة والتأنق الفني، ونسوق مثاله من رسالة عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) حين وثب على عبد الملك بن مـروان، جـاء فيها:" أما بعد: فإن استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أورثتك الغفلـة؛ زجرت عما واقعت مثله، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولو كان ضـعف الأسـباب

1- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 80 .

2- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 26، صفوت، جمهـرة رسـائل العـرب، 2/ 192- 193 .

3- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 26، صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 192- 193 .

4- ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 91 .

5- تبور: تهلك .

6- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 26، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 192- 193 .

يؤنس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عز، وعن قليل يتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع، والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك مـا غيـرك أقـوم بـه منـك، والسلام"[1].

12- التكرار:

ظاهرة مهمة تعتمد على تأثير الكلمة المكررة في إحداث نتيجة إيجابيـة لـدى المتلقي؛ لأن المعاني تتولد من المعاني، ومن الأفكار تتولد الأفكار، ويشير إلى ذلك العسكري، يقول: "وقد أقدم المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني فيما بيـنهم، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله، أو أخذه فأفسده، وقصر فيـه عمـا تقدم"[2]، والتكرار يتحقق بجمال الكسوة اللفظية،لإحداث التجانس بـين العبـارات، فيكرر كلمة واحدة أو أكثر ليضفي على نصه الأدبي " زيادة في الأداء وحلاوة فـي المعنى والنظم [3]، ومثال ذلك ما جاء في رسالة عبيد ا بن زياد إلى ابـن سـعد، يقول: "بسم ا الرحمن الرحيم. أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعـل ذلـك رأينـا رأينا، والسلام ".[4]، فجاء التكرار في قوله: "رأينا رأينا"، وينصب ذلك على الألوان الجمالية والمعاني العامة التي تصاحب جو النص، يقـول التميمـي: "لأن التكـرار يضفي على المعنى بيناً وتوكيداً، وعلى الأسلوب قوة في البناء والإيقاع"[5]، والتكرار يعتمد في حد ذاته أسلوب المبالغة والتهويل والتوكيد والتهكم اللاذع، فمـن تكـرار كلمة مفردة بكلمة مفردة، ما تمثل في رسالة الحجاج إلى المهلب لما بلغه أنه حـبس

1- الجاحظ، البيان والتبيين،4/ 87 – 88،انظر: حمادة، الوثائق السياسية والإداريـة العائـدة للعصر الأموي، ص:295.

2- العسكري، الصناعتين، ص: 203 .

3- المجذوب، عبد ا الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، تقديم: طه حسين، دار النهضة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 1/ 56 .

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 /311.

5- التميمي، قحطان رشيد، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري،دار الميـسرة، بيـروت، ط1، 1982م، ص: 266 .

أقواماً من مضر، ثم أطلق سراحهم، جاء فيها: "إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم، وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم "[1]، وجاء التكرار في كلمة " بحبسهم، حبستهم، تخليتهم، بتخيلتهم ".

إن تكرار الحروف في سياق النص الأدبي، يشكل بعداً أسلوبياً يكـشف عـن دلالات نفسية، ومحدثاً جمالاً في الأسلوب يتعلق بعضوية النص وترابطـه، ويعـد مفتاحاً لتفكيك النص والوقوف على أسراره، كذلك يهـدف التكـرار إلـى تثبيـت الأحاسيس والمشاعر،كما في رسالة نصر بن سيار إلى مروان بـن محمـد يـذكر اعتقال ابن هبيرة رسله الذين أرسلهم إليه لطلب المدد والعون، فكتب: "ثم أخـرج من حجرته إلى داره، ثم أخرج من داره إلى فناء داره " [2]، فنجد أن التكرار فـي هذه الرسالة قد ورد في حرف العطف " ثم ".

13- الاقتباس والتضمين، ويتمثل في:

أ- **القرآن الكريم:**

القرآن الكريم أثر في ملكات العرب، وهذب من ألسنتهم، ورقق من مشاعرهم وطباعهم، فكانوا يعمدون إلى الإفاضة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التـي تبصر الناس بأمور دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولا ينكر أحد ما لهذا من أثر بالغ فـي تهذيب اللفظ وروعة المعنى ودقة الفكرة وقوتها لتلبس ثوباً براقاً من اللفظ الجميـل والأسلوب المنمق والفكر المرتب[3]، ومن ثم نجد المعجم الإسلامي أساساً واضـحاً في رسالة الحجاج لأمير المؤمنين عبد الملك:" إن أمير المؤمنين لرابع أربعة أحدهم ابنة شعيب النبي - صلى الله عليه وسلم-، إذ رمت بالظن غرض اليقين تفرساً في السجن المصطفى بالرسالة، فحق لها فيه الرجاء، وزالت شبهة الـشك بالاختيـار، وقبلها العزيز في يوسف، ثم الصديق في الفـاروق رحمـة الله عليهمـا؛ وأميـر المؤمنين في الحجاج، وما حسد الشيطان يا أمير المؤمنين، خاملاً، ولا شرق بغيـر شجى. فكم غيظة، يا أمير المؤمنين، للرجيم أدبر منها وله عواء، ولقد قلت حيلتـه

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 140/5.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 63/6 .

3- احمد، دراسات في الأدب الأموي، ص: 362 – 363 .

ووهن كيده يوم كيت وكيت، ولا أظن أذكر من أمير المؤمنين،ولقد سـمعتُ لأميـر المؤمنين في صالح- صلوات ا عليه - وفي ثقيف مقالاً هجم بي الرجـاء لعدلـه عليه بالحجة في رده بمحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين - صلى ا عليه وسلم -، فقد أخبر عن ا - عز وجل - وحكاية على الملأ من قريش عند الاختيار والافتخار، وقد نفخ الشيطان في مناخرهم، فلم يدع خلـف مـا قصدوا إليه مرمى، فقالوا: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[1]. فوقـع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكفر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفي، فصارا في الافتخار بهم صنوين، ما أنكر اجتماعاتهما من الأمة منكر في خبر القرآن ومبلغ الوحي، وإن كان ليقال الوليد في الأمة يومئـذٍ ريحانـة قريش، وما رد ذلك العزيز مقالي إلا بالرحمة الشاملة في القسم السابق؛ فقال عـز وجل:(أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)[2]. وما قدمتني، يا أمير المؤمنين، ثقيف في الاحتجاج لها؛ وإن لها مقالاً رحباً ومعاندة قديمـة. إلا أن هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب. والأمـر إلـى أميـر المؤمنين عزل أم أقر، وكلاهما عدل متبع وصواب معتقد، والسلام عليك، يا أميـر المؤمنين، ورحمة ا "[3].

وجلي أن الحجاج في رسالته السابقة قد استمد معانيها مـن معجمـه الـديني والقرآني في الرد على الوشاة مستشهداً، بقوله تعالى: "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"[4]. وفي العبارة التالية من قول الحجاج "وإن كان ليقال الوليد في الأمة يومئذٍ ريحانة قريش، وما رد ذلك العزيز مقالي إلا بالرحمة الـشاملة"[5]، فهـذه العبارة مستمدة من قوله تعالى:"أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة

1- سورة الزخرف، الآية: 31.

2- سورة الزخرف، الآية :32.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 28 – 29 .

4- سورة الزخرف، الآية: 31.

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 29 .

الدنيا " [1]، وينعت الحجاج حساده، بقوله: "وما حسد الشيطان يـا أميـر المـؤمنين، خاملاً، ولا شرق بغير شجي" [2]، فهو في الفقرة السابقة يستدعي قول الله تعـالى: "وتصف ألسنتهم الكذب أنى لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون "[3]، وكـذلك قول الحجاج" وقد نفخ الشيطان في مناخرهم"[4]،إذ يستدعي قول الله تعالى: "تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم"[5].

ومهما يكن من أمر، فإن المهلب بن أبي صفرة اقتبس الآية القرآنية التاليـة: "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين "[6]، ليضمنها رسالته إلى أمير البصرة الحارث بن عبد الله يبشره بالنصر ؛ لتتساوق وتتماشى مع مواقفه ورؤيته الخاصة، فقال: " ثم إن الله -عز وجل- أنزل نصره على المؤمنين، وضرب وجوه الكـافرين، ونـزل طاغيتهم في رجال كثير من حماتهم وذوي نياتهم فقتلهم الله في المعركة، ثم اتبعـت الخيل شرادهم فقتلوا في الطريق والآخاذ والقرى، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله "[7].

ب- التأثر بالحديث النبوي الشريف:

تُعد السيرة النبوية العطرة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسـلامي، واستلهم الولاة في العصر الأموي من نصوصها معاني جليلـة زاخـرة بالألفـاظ والصور ضمنها أدبهم، وأثبتوها من خلال صدق توجهاتهم التي تتساوق مع مواقفهم وتجاربهم، ورؤيتهم الأدبية والفنية، فهذه رسالة من الحجاج إلى قطري بن الفجـاءة زعيم الخوارج(الأزارقة) يعرض عليه إطعامه بعض الأرضين، يقول فيها:" سـلام

1- سورة الزخرف، الآية : 32.
2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 28.
3- سورة النحل، الآية : 62 .
4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 29 .
5- سورة النحل، الآية : 63 .
6- سورة يونس، الآية : 10 .
7- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،4 /481- 482 .

عليك. أما بعد: فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية، وقد علمـت حيـث تجرثمت ذاك أنك عاصٍ ولولاة أمره"[1]، فهو يستدعي في قوله السابق، حـديث الرسول -صلى ا عليه وسلم-: "إنه يخرج من ضِئْضِئِ [2] هذا قوم يتلون كـلام ا ـ رطباً لا يجاوِز حناجِرهم يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرميةِ "[3].

5.2 التناص:

التناص مصطلح نقدي وفد إلينا مؤخراً من الدراسات النقديـة الأجنبيـة،حيث وضع مفهوم التناص العالم الروسي" باختين"، ويعرفه:" بأنه الوقوف علـى حقيقـة التفاعل الواقع في النصوص واستعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء - مـن نصوص سابقة عليها"[4].

وفي هذا الاتجاه اتسع مفهوم التناص،وأصبح بمثابـة ظـاهرة نقديـة جـديرة بالدراسة والاهتمام، إذ يقرر "جيرار جينيت " بأن جامع الـنص، هـو: "مجمـوع المقولات العامة، أو المفارقة، وأنماط الخطابات، وصيغ الآداء في الأجناس الأدبيـة التي ينتسب إليها أي نص مفرد، وأن موضوع الشاعرية هو التعديـة النـصية، أو الاستعلاء النصي؛ لأن التناص هو كل مايضع النص في علاقة جلية أو خفية مـع نصوص أخرى" [5] حيث انتقل الاهتمام والعناية بتقنية التناص إلى الأدب العربي مع

1- الجاحظ، البيان والتبيين،2 /310-311 .

2- الضئضيء أصل الشيء ومعدنه، وقيل: كثرة النسل وبركته، ابن منظور، لسان العـرب: مادة: (ضأضأ).

3- النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، (ت261هـ)، صحيح مسلم، دار ابن حـزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998م،ص: 532، انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت773هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، المكتبة العـصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 2001م، مج8533/14 .

4- المديني، أحمد، في أصول الخطاب النقدي الجديد، دار الشؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد، ط2، 1989م،ص: 103 .

5-جنيت، "جيرار"، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1985م،ص: 90-91 .

جملة ما وفد إلينا من ظواهر أدبية ونقدية أجنبية ضمن الاحتكاك الثقـافي،[1] وأخـذ مكانته في الساحة النقدية العربية المعاصرة، يقول أحمد طعمة حلبي :"وهـو يعنـي فيما يعني، حدوث علاقات تفاعلية أو وشائج بين نص وآخر، أو بين نص ونصوص أُخرى"[2]، ويتابع قوله:"ولقد تعددت المذاهب النقدية التي تبنته،كما تعددت تعريفاتـه ومعانيه وأشكاله وآلياته من ناقد لآخر، ومن مذهب نقدي لآخر"[3].

ولا بد من طرح هذا التساؤل: أيكون التناص في الشكل، أو في المـضمون أم فيهما معاً؟ يقول محمد مفتاح في ذلك: "إن ما يظهر - بادئ ذي بدء - أنه يكون في المضمون؛ لأننا نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه،وما عاصره من نصوص مكتوبة "عالمية" أو "شعبية "، وينتقي منها صورةً وموقفاً درامياً، أو تعبيراً ذا قوة رمزيـةٍ، ولكننا نعلم جميعا أنه لا مضمون خارج الشكل، بل إن الشكل هـو المـتحكم فـي التناص والموجه إليه،وهو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبـي، ولإدراك التنـاص وفهم العمل الأدبي تبعاً لذلك "[4].

ولاشك أن مفهوم التناص ونشأته في الأدب العربي، هو مفهوم لظاهرة أدبية ونقدية قديمة يقول محمد بنيس: "إن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة الـنص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثلاً للمقدمة الطللية، والتي تعكس شكلاً لسلطة النص، وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها، فكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبكاء وذكر الدمن، فهـذا

---

1 - المديني، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ص :103 .

2- حلبي، أحمد طعمة، أشكال التناص الشعري في شعر البياتي، نموذجاً، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع 430، شباط، 2007م، ص: 1.

3- حلبي، أشكال التناص الشعري في شعر البياتي، نموذجاً، ص:1 .

4- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،المركز الثقافي العربي، الـدار البيضاء، المغرب، ط 3 ،1992م، ص:129-130 .

إنما يفتح أُفقاً واسعاً لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك، ووجود تربة خـصبة للتفاعل النصي " [1].

ولابد أن تعتمد تقنية التناص على إلغاء الحدود بـين الـنص والنـصوص، أو الوقائع أو الشخصيات التي يضمنها الشاعر نصه الجديد، حيث تأتي هذه النصوص موظفة ومذابة في النص لتفتح آفاقاً أخرى(دينية وأسطورية وأدبية وتاريخية)عـدة، مما يجعل من النص ملتقى لأكثر من زمن، وأكثر من حدث وأكثر من دلالة ليصبح النص غنياً حافلاً بالدلالات والمعاني، ويوضح هذه التقنية علـي جعفـر العـلاق، بقوله:" القصيدة باعتبارها عملاً فنياً تجسد لحظة فردية خاصة وهي في أوج توترها وغناها، وهذه اللحظة تتصل على الرغم من تفردها بتيار مـن اللحظـات الفرديـة المتراكمة" [2]، وفي المعنى ذاته، يقول صالح رمـضان: "ولا يخفـى أن دراسـة الأغراض الأدبية في ضوء الأشكال المعبرة عنها عمل جليل الفائدة، لا من الوجهة الأدبية فحسب، بل كذلك من الوجهة الاجتماعية والحضارية بصورة عامـة، وهـو عمل يقتضي منا أن ننظر في علاقة الفنون الأدبية بعضها ببعض، نشأة وتطـوراً، وأن نراعي الصلة العميقة بين تطور هذه الأشكال، وتطور المحيط الحضاري الذي أفرزها"[3].

ولابد من رجعة حقيقية إلى جذور أدبنا العربي القديم، وذلك لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة الجذور عبر حياة الأدب والأديب المبدع معـاً؛ لأن التناص في حقيقته نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من مـوروث أدبـي، وبـذرة خصبة لتلك الموازنات والسرقات والمعارضات التي دارت بين نقادنا القدماء الـذين درسوا هذه الظواهر التي تتفاوت فيها الصلة بين النصوص، ومدى انشغال الثقافـة

1- بنيس، محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقارنة بنيوية تكوينيـة)، دار توبقـال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1990م،ص: 182 .

2- العلاق، علي جعفر، الدلالة المرئية في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق، عمان، ط1، 2002م،ص: 15 .

3- رمضان، صالح، الأشكال التعبيرية في رسائل الجاحظ، مجلة حوليات (الجامعة التونـسية)، كليات الآداب، تونس، ع29، 1988م، ص: 37.

العربية بعلاقة النصوص ببعضها،مع إدراك القدماء للغة والأسلوب من جهة،وبنية الخطاب من جهة ثانية، سواء أكان يحمل مسمى السرقات الأدبية أم المعارضات والموازنات، والتضمين والاقتباس، فهم بذلك يكونون قد أدركوا مفهوم التناص ومضمونه، من خلال ما ورد في كتبهم ومصنفاتهم من مصطلحات ومفاهيم، غذت بدورها الظاهرة النقدية الحديثة لمفهوم التناص الذي يمثل قمة التحليل للنصوص الأدبية والسعي خلف جذورها التاريخية والأدبية والدينية والشعبية تمثلت في التأثر والتأثير على مر العصور،ومن النقاد القدماء الذين اعتنوا بهذه الظاهرة، وبرهنوا على مقولة الألفاظ والمعاني المشتركة، يقول الجاحظ:" إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة ومحصلة محدودة "[1]

ولكن بعض النقاد سعى إلى إيجاد آلية ما لشدة حساسية القضية قديماً، ولاستثناء بعض القضايا المشتركة أو الشائعة، فأخرجوا المعاني الشائعة من حيز السرقة (كتشبيه الشجاع بالأسد، والكريم بحاتم الطائي، والجمال بالقمر) [2].

ويقول محمد عبد المطلب تعقيباً على ما سبق:" فالإنتاجية الشعرية على هذا النحو تمثل عملية استعادة لمجموعات من النصوص القديمة، في شكل خفي أحياناً، وجلي في أحيان أخرى، بل إن قطاعاً كبيراً من هذا الإنتاج الشعري يعد تحويراً لما سبقه؛ ذلك أن المبدع أساساً لا يتم له النضج الحقيقي إلا باستيعاب الجهد السابق عليه في مجالات الإبداع المختلفة، وهذا التصور كان له وجود لازم في الدرس النقدي العربي القديم أيضا، ثم ينضاف إلى ذلك اتصال المعرفة بأيام العرب وأمثالهم، إلى جانب الإطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور"[3].

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 76.

2- الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب، (ت403ه)، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر،ط2، (د.ت)، ص:107.

3- عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، القاهره، ط1، 1995م،ص:141-142.

وأما إذا تأملنا في طبيعة المؤلفات النقدية القديمة فإننا سنجد صورة واضـحة لوجود أصول التناص فيها، على الرغم من كثرة المسميات،" فالارتداد إلى الماضي أو استحضاره، من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع والخلق، التي تـؤدي إلـى تشكيلات داخلية، قد تميل إلى التماثل، وقد تنحاز إلى التخالف، وقد تنـصرف إلـى التناقض في ظواهر المعنى الشعري التي تدخل دائرة (التناص) علـى نحـو مـن الأنحاء" [1] إلا أن (التناص) يحمل قيمة تفاضلية وتفاعلية، ولا ينطلق من حكم القيمة على النص فقط، وهو أكثر استعمالاً وشيوعاً، يقول سامح الرواشـدة:" إن الـنص الشعري نص لا يهدف إلى معنى محدد،وإنما يسعى إلى تقديم حالـة متكاملـة ذات أبعاد تصويرية نفسية جمالية " [2].

إذن، فالتناص أمر لا مفر منه، وهو موجود في كل نص أدبي شعراً كـان أم نثراً؛ لأن النص هو إناء يحوي بشكل أو بآخر أصداء نصوص أخـرى، فالأديـب المبدع يتأثر بتراثه وثقافته ويبني عليها نصه ويؤثر في الآخر، **ويتمثـل التنـاص الأدبي في:**

أ- التضمين الشعري:

لا تنشأ عملية الإبداع من فراغ، إذ لا يمكن لأي مبدع أن ينطلق من الفراغ أو اللاشيء، والولاة كغيرهم من الأدباء كثيراً مـا يستحـضرون بعـض النـصوص الشعرية، أو النثرية القديمة بنصها، أو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الـشريفة، هادفين من وراء ذلك إلى إغناء تجربتهم الفنية الخاصة، وربطها بتجـارب سـابقة، تحمل بعض صفات التجدد والاستمرارية.

ويؤكد البهبيتي اطلاع الشعراء الولاة في العصر الأموي على الـشعر القـديم اطلاع الدارس الواعي، يقول:" دع عنك الخرافة السائدة من أن جريراً، والفرزدق، والأخطل، والراعي وذا الرمة، أو الرجاز ومن لف لفهم، كانوا جماعة من شـعراء البادية، نزلوا الحضر ببضاعة مزجاة من الشعر،في عصر الجمع، وتلمس الـشاهد،

1- عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص:142.

2- الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل (دراسة في الشعر العربي الحديث)، منـشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2001م،ص:14 .

فليس بين هؤلاء إلا رجل اطلع على الشعر القديم اطلاعاً مقصوداً،وليس فـيهم إلا صاحب ثقافة واسعة جداً نشأت له عن التحصيل الدائب في بيئته كان همها في ذلك العصر تحصيل القديم وتصحيحه وتحقيقه" [1].

وقد كان العصر الأموي حافلاً بعد أن اتسع مجال الشعر وكثر التلاحـي بـين الشعراء، نتيجة للعصبيات القبلية، والانقسامات السياسية التـي حـدثت فـي ذلـك العهد[2]، ولاشك في أن الذي ساعد على انتشارها ظهور كثرة من الشعراء ينتمـون إلى أحزاب سياسية مختلفة، يقاتل بعضها بعضاً، بالإضـافة إلـى وجـود شـعراء النقائض، وهؤلاء جميعاً بحاجة إلى فيض شعري معد على الدوام لاسـتخدامه فـي المعارك الشعرية بينهما، فكان على الشعراء أن يقرؤوا ويحفظوا كثيراً من أقـوال أسلافهم ليطوع لهم القول بعد ذلك على مثاله، وعليهم أيضاً أن يقرؤوا ويحفظوا كل مايكتبه منافسوهم ليتمكنوا من الرد عليهم، فمن هنا كـان يتـسرب بعـض شـعر منافسيهم ومن سبقهم إلى شعرهم [3].

إن كماً غير قليل من شعر الولاة مقتبس من نتاجات سابقة، وليس ذلك بمعيـب مادام الهدف من هذا الاقتباس ليس سـرقة نتاجـات الآخـرين، أو التعـدي علـى إبداعاتهم، بل محاورتها والاستفادة منها؛ لأن الطريقة الشعرية تعتمد على التداعي، لذا، أدخل الولاة في شعرهم كلمات وجملاً وأنصاف أبيات من أشـعار الآخـرين، يقتطعونها من سياقاتها السابقة، ويضعونها في نصوصهم على حالها، أو يتصرفون فيها ويقلبونها كيفما يشاءون لتتواءم مع نصوصهم التي يريدون، وثمة تـشابه فـي اللفظ والمعنى والصورة بين أشعار الشعراء، إذ أن البيئة التي نشأ فيهـا الـشعراء واحدة وممتدة، فلهذا ظهر أثر الشعراء وأشعارهم جلياً في أدب الولاة وشعرهم.

1- البهبيتي، نجيب محمد، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجـري، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1970م، ص: 186.

2- هدارة، محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مقارنة)، المكتـب الإسلامي، بيروت، ط2، 1975م،ص: 26 .

3- هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مقارنة)، ص:40.

ونمثل على هذا اللون الفني برسالة قتيبة بن مسلم الباهلي إلى عامله على سمرقند عبد ا بن مسلم، فقال: " لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله "[1]، فإذا، نجد قتيبة قد تمثل واستدعى قول الشاعر:

وأرتَع أقوامٌ ولولا محلنا بمخشِيةٍ ردوا الجمالَ فقَوضوا

ب- التضمين في الأمثال:

للمثل العربي نصيبه ودلالته في شعر الولاة ونثرهم، إذ عمدوا إلى استغلاله بالزمان والمكان المناسبين، وجعلوه نواة للبيت الشعري، فالولاة لم يغفلوا عن هذا الجانب الأدبي وتسخيره لخدمة شعرهم ونثرهم؛ ولأن هذا النموذج من التناص المستحضر في نثرهم، قصير الكلمات، كثير المعاني، ولابد أن يوظف هؤلاء الولاة المثل العربي في نصوصهم النثرية ويصقلونها بطابعها الكتابي، وقد استحضروا من نماذج متعددة أوردوها كما هي أحياناً، وقد يغيرون في شكلها كما يتطلب ذلك النص الأدبي.

ومن الخواص الفنية للمكاتبات الإحالة إلى أخبار أو أشعار أو قصص أو أمثال اعتماداً على الحفظ والموروث، فقد كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي لما هزم ابن الأشعث، فقال:" أما بعد، فمالك عندي مثل إلا قدح ابن مقبل"، فلم يعرف الحجاج ماذا أراد الخليفة، فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، يقول:" إن تميم (شاعر مخضرم) ابن مقبل من أهلك، وقد كتب إلي أمير المؤمنين بكذا، فعرفني قدحه"، فكتب إليه قتيبة: "إن هذا القدح فاز تسعين مرة، لم يخب فيها مرة واحدة، حتى ضرب به المثل، فقال ابن مقبل ينعته [2]:

مفَدى، مودى، باليدين، منَعمٌ خَلِيع قداح فائزٍ متَمنِح

1- العسيلي، قتيبة بن مسلم الباهلي، ص: 59 .

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 408- 409.

وكتب عبد الملك بن مروان (أيضاً) إلى الحجاج: "أنت سالم"، فلم يعرف الحجاج المراد، فكتب الحجاج إلى قتيبة يسأله، فرد عليه :" بأن سالماً كان عبداً لرجل، وكان أثيراً عنده، وكان الناس يسعدون به كثيراً، فقال[1] :

يدِيرونَني عـن سالمٍ وأُديرهم وجِلْدةُ ما بين العين والأنفِ سالِم

فقصد عبد الملك من هذه الإحالة الشعرية أن الحجاج عنده بمنزلة سـالم عنـد صاحبه.

لقد أثمر أدب المكاتبات والمراسلات عن جملة من الخصائص الفنية والتنغـيم الموسيقي، لذا، اعتمد الولاة في تشكيل صورهم على التشبيه والاستعارة والكنايـة والرمز والإغراب والتلميح والإشارة والإيجاز والصنعة والتكـرار، وكانـت فـي معظمها تقليديةً

6.2 فن التوقيعات:

ازدهرت حركة المراسلة في العصر الأموي ازدهاراً رائعـاً، وزادت العنايـة بالتوقيعات مع نمو الدولة، واستبحار العمران، والنظم الإدارية، وتعـدد الحاجـات والطموحات، وتباعد أقاليم الدولة الأموية، مما دعاهم إلى الاهتمام بفـن التوقيعـات التي توشح مكاتباتهم في هوامش رسائلهم، أو على ظهورها، أو بين سطورها؛ لأنها تعليقات موجزة متضمنة رداً مناسباً على ما اشتملت عليه كل رسالة من رسائلهم[2]، حتى أنه يقال:" لم يبق من توقيعات هذه الأمم إلا وشلٌ من محيط" [3].

1- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 408- 409.

2 - خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتاريخه في العصرين – الأمـوي والعباسـي – دار الجيل، بيروت، (د . ط)، 1990م، ص 272. انظر: خفاجي، محمد عبـد المـنعم، الحياة الأدبية – عصر بني أمية – دار الكتاب اللبنـاني، بيـروت، ط2، 1980م، ص: 273 . نصار حسين، أدب المراسلات في العصر الأموي، -بحث منشور - مجلة عـالم الفكر، الكويت، مج 14، ع3، (أكتوبر، نوفمبر، ديـسمبر) 1983م، ص: 32، انظـر: الدروبي، محمد، محمود، وجرار، صلاح محمد، جمهرة توقيعات العرب، مركـز زايـد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية، 1999م، مج1، ص: 5.

3- الدروبي وجرار، جمهرة توقيعات العرب، 6/1 .

ويتراءى الأمر جلياً في توقيعات العصر الأموي، فقد اتسعت مادتهـا، ونمـت أساليبها، وتعددت صورها، فتعاطاها الخلفاء والولاة والعمال والقادة والكتاب علـى السواء.[1] فلذا؛ ترك بنو أمية وعصرهم مجموعة نادرة من التوقيعات البليغـة ذات قيمة أدبية ونقدية وسياسية وتاريخية مهمة، تدل على اهتمامهم بهذا الفن اهتماماً لافتاً وملموساً، غير أن توقيعات العهد الأموي لم تسلم من محاولات العبث التي تعـرض لها أدب العصر منذ قيام الثورة العباسية.

التوقيع، (لغةً):

يهمنا المعنى اللغوي الذي نجد له ارتباطاً بالتعريف الاصطلاحي للتوقيعـات التي اشتقت منه لتعد فنّاً أدبياً، فالتوقيعات، مشتقة في اللغة من التوقيع الـذي هـو بمعنى التأثير، يقال: وقع الدبر[2] ظهر البعير إذا أثر فيه، وكذلك الموقـع (كتـاب التوقيع) يؤثر في الخطاب، أو الكتاب الذي كتب فيه حساً أو معنـى[3]، وقيـل: إن التوقيع مشتق من الوقوع، لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه، أو لأنـه إيقـاع الشيء المكتوب في الخطاب أو الطلب، فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه[4]، قـال الخليـل: "التوقيع في الكتاب إلحاقٌ فيه بعد الفراغ منه، واشتقاقه من قولهم: وقّعـت الحديـدة بالميقعة، وهي المطرقة: إذا ضربتها، وحمار موقع الظهر: إذا أصابته في ظهـره دبرةٌ. والوقيعة: نُقْرةٌ في صخرة يجتمع فيها الماء. وجمعها: وقائع". [5]

فكأنه سمي توقيعاً؛ لأنه تأثير في الكتاب، أو لأنه سبب وقوع الأمر وإنفاذه، من قولهم: أوقعت الأمر فوقع[6]، فلذا؛ قال ابن الأنباري: "توقيع الكاتـب فـي الكتـاب

1- الدروبي، وجرار، جمهرة توقيعات العرب،6/1 .

2- الدبر : بفتح الدال والباء، قروح تصيب الإبل في ظهورها من جراء الحمل أو القتب .

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة :"وقع".

4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وقع".

5- البطليوسي، أبو محمد، عبدا بن محمد السيد، (ت 521هـ)، الاقتضاب في شـرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، الهيئة المـصرية العامـة للكتـاب، القاهرة، ط1، 1983م، 196/1 .

6 - البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،1/ 196 .

المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفـضول، وهـو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكأن الموقّع في الكتاب يؤثر في الأمر، فكتـب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه" [1].

التوقيع (اصطلاحاً):

اكتسبت التوقيعات معنى اصطلاحياً يرتبط بالمعنى اللغوي السابق، فأصـبحت تستعمل لما يوقعه الكاتب على القضايا أو الطلبـات المرفوعـة إلـى الخليفـة، أو السلطان، أو الوالي، أو الأمير[2]، فكان الكاتب يجلس بين يدي الخليفة أو الـوالي، ومن في عدادهم في مجالس حكمه، فإذا عرضت قضية على السلطان أمر الكاتب أن يوقع بما يجب إجراؤه.

يقول ابن خلدون (ت 808هـ): "ومن خطط الكتابة التوقيع، وهـو أن يجلـس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها، متلقاه من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه، فإمـا أن تـصدر كذلك، وإما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة، ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه".[3]

فلذا؛ عدت التوقيعات من باب الكتابة الديوانية والنثر التاريخي، لأنها في دلالتها تطلق على الأوامر والمراسيم التي تصدر عن الخليفة، أو السلطان، أو الوالي، فتذيل بها الأوامر أو المراسيم والكتب والصكوك، فهي كالإمضاء في وقتنا الحاضر.

والتوقيع عبارةٌ بليغةٌ موجزةٌ مقنعةٌ، يكتبها الخليفـة أو الـوالي أو الأميـر، أو الوزير على ما يرد إليه من رسائل تتضمن قضية أو مسألة أو شـكوى أو طلبـاً.

---

1 - الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الـسلام محمد هارون، وآخرين، الدار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ط1، 1964م،3 / 35-36،انظر: ابن منظور، اللسان (وقع) .

2- زيدان، جورجي، تاريخ اللغة العربية، مطبعة الهلال، مصر، ط1، 1904م، ص : 25.

3 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 681 .

والتوقيع قد يكون آيةً قرآنيةً، أو حديثاً شريفاً، أو بيتَ شعرٍ، أو مثلاً، أو قولاً سائراً، أو حكمةً.[1]

ويشترط أن يكون ملائماً للحالة أو القضية التي وقع فيها، فهو إذن، مرتبط بفن توجيه المعاملات الرسمية في النظم الإدارية في الماضي والحاضـر والمـستقبل، وكانت الحاجة ماسة للحفاظ على سرية المكاتبات والرسائل الموجهة من الخلفاء إلى ولاتهم في الأقاليم، أو إلى القادة والزعماء، أو من الولاة إلـى خلفـائهم وعمـالهم وقادتهم والزعماء الآخرين، فمن حينها نشأ ديوان الخاتم مسانداً ومعـززاً لـديوان الرسائل، حيث تكمن مهمته توقيع ما يصدر من مكاتبات مختومة بسرية تامة، فـلا يدري حامله ما فيه، ولا يستطيع تغييره بالزيادة والنقص والتزوير. [2]

ومن الجدير ذكره أن التوقيعات ترتبط بتوجيه المعاملات الإدارية، فقد نـشأت في ظل السياسة والإدارة للدولـة الإسـلامية، وتطـورت بتطورهـا، وازدهـرت بازدهارها في أروقة الدواوين، ولا سيما ديوان التوقيعات.

متى وجدت التوقيعات في الأدب العربي ؟ :

التوقيعات فن أدبي نشأ نشأة عربية خالصة وفي حضن الكتابة، وارتبط بهـا، ولعل أقدم ما أُثر من توقيع في تاريخ النثر العربي ما كتبه الـصديق – رضـي ا عنه – (ادن من الموت توهب لك الحياة).[3] ثم شاعت التوقيعات في عهد عمر بـن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب – رضي ا عنهم -جميعاً؛ وذلك لشيوع الكتابة، حيث امتد هذا الشيوع بصورة أوسع في عصر بني أمية، وما تلاه.

---

1 - الدخيل، محمد بن ناصر، فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسـي، (بحث منشور)، مجلة جامعة أم القرى – علوم الشريعة واللغة العربية وآدابهـا، مكـة، مجلد 13، عدد22، ربيع الأول 1422ه/أيار/2001م، ص: 1083 .

2- الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص : 315-319 .

3- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت 429 هـ)، كتـاب: خـاص الخاص، تحقيق وتعليق: صادق النقوي، مجلس دائرة المعارف العثمانيـة، الهنـد، ط1، 1984م، ص: 269،انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 397.

1.6.2 التوقيعات في العصر الأموي:

غدت التوقيعات في هذا العصر فنّاً أدبياً، واعتاد كل خليفة أموي أن يوقع على الرسائل التي توجه إليه بعد أن يطلع عليها ويعرف مضمونها، أو ما يوجهه الخليفة إلى ولاته ونوابهم، وقد وصلت إلينا نماذج لتوقيعات خلفاء بني أمية ابتداء من معاوية بن أبي سفيان، وانتهاء بمروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية في الجهة الشرقية، ولم يقتصر فن التوقيعات على الخلفاء، بل مارسها بعض الولاة والأمراء والعمال والقادة،كزياد بن أبيه، والحجاج، وعامر بن كريز، ونصر بن سيار، وغيرهم[1].

2.6.2 شخصية كاتب التوقيعات :

لا شك أن التوقيعات قد ازدهرت في هذه البيئة الفنية الخصبة، وأنشئ لها ديوان خاص سمي بديوان التوقيعات،[2] حيث أسند العمل فيه إلى بلغاء الأدباء والكتاب والمجودين والعارفين بمقاصد الأحكام والقضايا، يقول ابن خلدون في ذلك : "وأعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك، ومقاصد أحكامهم "[3]

وتبقى نظرة لابد أن تُلقى على فن أدبي خاص، وثمرة من ثمار فن الكتابة والمراسلات، وأعني به فن (التوقيعات) الذي نال إعجاباً متزايداً على مر الزمن، لأنه لون من ألوان الكتابة الأدبية، التي عرفها العرب معرفة عميقة، وتمرسوا بها،

1- الدخيل، فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، ص: 1098

2 - ابن جعفر، قدامة،أبو الفرج، (ت 337 هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط1، 1981م، ص : 53-54.

3- ابن خلدون، المقدمة، ص: 681 .

مما يشير إلى عروبة التوقيعات التي كتبت، وأن العرب لم ينقلوها عن غيرهم، كما يذهب بعض الباحثين[1].

3.6.2 مميزاتها وأنواعها:

تمتاز هذه التوقيعات بما يلائم الفطرة العربية من لطف الإشارة، وقوة الإثارة، وسلامة العبارة، وغاية في الإيجاز والبلاغة، وسرعة الخاطر، وحضور البديهـة، والمقدرة على البيان والتجويد[2]، فلذا، يحسن بنا أن نتحدث عن أنـواع التوقيعـات الأدبية التي ملأت كتب الأدب والتاريخ والتراث، وتكاد تنحصر في الأنواع الآتية:

1- قد يكون التوقيع **آيةً قرآنيةً**، تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب، أو اشتملت عليه القضية،ومثال ذلك ما وقعه سعيد بن العاص في كتاب لزيـاد :"كلاإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى".[3]

2- وقد يكون التوقيع **بيتَ شعرٍ،**[4] من ذلك ما كتب به قتيبة بن مسلم الباهلي إلـى سليمان بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي يتهدده بالخلع، فوقع سـليمان في كتابه:

زعم الفرزدقُ أن سيقتلُ مِربعاً أَبشر بطول سلامةٍ يا مربع

3- وقد يكون **مثلاً سائراً**، ومن ذلك ما وقعه معاوية بن أبي سفيان في رسالة مـن عبدا بن عامر، يسأله أن يهبه مالاً بالطائف:" عش رجباً ترى عجباً"[5].

1- نصار، أدب المراسلات في العصر الأموي، ص: 48، انظر: الدروبي، وجرار، جمهـرة توقيعات العرب، مج6/1 .

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص : 397 .

3- سورة العلق، الآية :6.

4- الخطفي، جرير بن عطيه، (ت 114هـ)، ديوانه، شـرحه: محمـد إسـماعيل عبـدا الصاوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، (د . ط)، (د . ت)، ص:270.

5- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد (ت 518 هـ)، مجمع الأمثال: تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبـراهيم، مطبعـة عيـسى البـابي الحلبـي وأولاده، القـاهرة، ط1، 1979م،

4- وقد يكون **التوقيع حكمة**، ومن ذلك ما كتب الحجاج به إلى عبـد الملـك بـن مروان لما بلغه أنه خرق فيما خَاف له عبد الملك، وقـد ينكـر ذلـك عليـه، ويعرفه أنه على غير صواب، فوقّع في كتابه :"لأجمعن المال جمع من يعـش أبداً، ولأفرقنه تفريقَ من يموتُ غداً ".[1]

4.6.2 نماذج من توقيعات الولاة والكبراء :

وقع زياد بن أبيه إلى بعض عماله: "قد كنت علـى الـدعار[2]، وإخالـك داعراً"[3]، وكتبت إليه عائشة في وصاة برجل، فوقع في كتابه:" هو بين أبويـه"[4]. ووقع إلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه:" اشتر بعض دينك ببعض، وإلا ذهب كله"[5]، ووقع إلى عامله بالكوفة: "أمطِ الحدود عن ذوي المروآت"[6]، ووقـع فـي قصة متظلم :"أنا معك"[7]، ووقع في قصة مستمنح :"لك المواساة"[8]، ووقع في قصة قوم رفعوا على عامل رفيعة: " من أماله الباطل قومه الحق "[9]، ووقع إلى عاملـه في خوارج خرجوا بالبصرة: "النساء تحاربهـم دونك"[10]، ووقـ ـع فـي قـصـة سارق: "القطـع جـزاؤك "[11]، ووقـع فـي قصـة امرأة حبـ ـس زوجهـ ـا:

340،414/2 يضرب المثل:" لما يراه الإنسان من غرائب وعجائب زمانه "، انظر: ابن عبدربه، العقد الفريد، 203/4 .

1- ابن عبدربه، العقد الفريد 208/4 .
2- الدعار: الفساد .
3- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 2/ 500 .
4- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 500/2 .
5- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 2/ 500 .
6- المرجع، السابق، 2/ 500 .
7- المرجع، السابق، 2/ 500 .
8- المرجع، السابق، 2/ 501 .
9- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 2/ 501 .
10- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 2/ 501.
11- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي،2 / 501 .

"حكمه إلى ا "[1]. ووقع في قصة قوم نقبوا: "تُنْقَب ظهورهم"[2]، ووقع في قصة نباش: "يدفن حياً في قبره"[3].

أما أقصر التوقيعات، ما وقعه زياد بن أبيه في قصة متظلم: "كُفيت"[4]، ووقع في قصة رجل جارح: "الجروح قِصاص"[5]،

كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله أن يعطي عبدا بن عامر بن كريز نهر معقل[6]، فوقع معاوية : "قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين "[7].

وفي كتاب الحجاج لعبد الملك بن مروان يخبره بقوة ابن الأشعث، فوقع عبد الملك:" بضعفك قوي، وبخوفك هلع "[8]، ووقع الحجاج بن يوسف في كتاب لقتيبة أثناء عبوره النهر ومحاربة الترك: "لا تُخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك، ومرمى سهامك"[9]. ووقع (أيضا) لقتيبة:" خذ عسكرك بتلاوة القرآن، فإنه أمنع من حصونك"[10]، ووقع إلى بعض عماله: "إياك والملاهي حتى تستنظف خراجك"[11]، ووقع في كتابه لابن أخيه: "ما ركب يهودي قباك منبراً"[12].

1- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي، 2/ 501 .

2- صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي ، 2/ 501 .

3- المرجع، السابق، 2/ 501 .

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 209/4، انظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة وسائل العرب في عصور العربية الزاهرة – العصر الأموي –، 2/ 501 .

5- صفوت، جمهرة وسائل العرب في عصور العربية الزاهرة –العصر الأموي –، 2/ 501 .

6 - نهر معقل : نهر بالبصرة.

7- سورة المائدة، الآية : 102، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 206/4، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 491/2 .

8- خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص: 422، انظر: الحوفي أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 395 .

9- صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 503 .

10- صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 503 .

11- صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 503 .

12- صفوت، جمهرة رسائل العرب، 2/ 503 .

ووقع مروان بن محمد إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم: "تحول الظـاهر يدل على ضعف الباطن، وا المستعان" [1]، كتب نصر بن سيار والي خراسان إلى مروان بن محمد بظهور أمر الخراساني، فوقع في كتابه: "احسم ذلك التزلزل مـن جهتك" [2]، ووقع مروان بن محمد في جواب رسالة نصر بن سيار، فوقع له [3]:

أرى خللَ الرمادِ، وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضِرام

ووقع مروان بن محمد: "الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول"[4]، فكتب إليه نصر، ووقع: "الثؤلول[5] قد امتدت أغصانه، وعظمت نكاته".[6]، فوقـع إليه مروان ابن محمد: "يداك أوكتا وفوك نفخ"[7]، ووقع مروان بن محمد إلى واليـه يزيد بن هبيرة: "الأمر مضطرب، وأنت نائم، وأنا ساهر"[8]، هذه نماذج من توقيعات الولاة الكبراء التي أُثرت عنهم في العصر الأموي.

1- ابن عبدربه، 210/4، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 498/2.

2 - الثعالبي، كتاب خاص الخاص، ص: 128-129.

3 - الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص:357، انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 3/ 257، انظر : الثعالبي، كتاب خاص الخاص، ص: 128-129.

4-ابن عبد ربه، العقد الفريد، 210/4.

5- الثؤلول : حبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها، وقد تثألل جسده بالثآليل .

6- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 210/4، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 499/2 .

7- الميداني، مجمع الأمثال، 491/2.

8- ابن عبدربه، العقد الفريد، 4/ 210، انظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب، 499/2 .

الفصل الثالث

- الشعر- (ما نظموه، وما قالوه، وما وجهوه)

الشعر:

لاشك في أن الشعر بصوره العديدة، وأغراضه المتشعبة يكون تعبيراً صادق الإحساس عميق الدلالة لكل ما يجري في الدولة ونطاقها المجتمعي، يقولُ الشكعة: "وبنو أميةَ بقلبهم نظام الحكم من إسلامي شوري إلى قيصري ملكي، قد خلقوا فتنةً سياسيةً بين مفكري الأمة وعوامها على مناهضة ذلك الانقلاب السياسي الذي نشأتْ في كيانه الأحزاب والفرق المتصارعة على السلطان"[1].

وزيادةً على ذلك، فإن هذا البناء الاجتماعي الرائع الذي تم البناء عليه في العهد الراشدي، يقضي عليه بنو أمية ويحيون العصبيات، التي أدت إلى انقسام الأمة، وتفتتت معها القبيلة الواحدة إلى شِيع تشتعل في ما بينها نار العداوة [2]، فحينها سيكون الشعر في بيئاته المختلفة الصورة الواضحة لهذا الاضطراب الذي عم أرجاء الدولة الأموية وولاياتها منذُ تأسيسها حتى انهيارها وسقوطها.

أما إذا انتقلنا بشكلٍ خاص إلى عصر بني أمية سنجد الظرفَ مهيئاً لحركة الأدب في هذه الفترة، وتتضح أسباب غزارة الإنتاج الشعري في إطار الدفاع عن الحق المثبت، أو الدفاع عن الحق المسلوب والمغتصب في أحقية الخلافة والحكم، وكذلك الدفاع عن النفس ومنبر الدين، ورد الإعتداء بمثله، فكانت الأغراض الشعرية حاضرةً في أدبٍ هذا العصر، من المديح والهجاء والفخر والوصف والرثاء مجالاً رحباً للتسابق في مضمار فنونه، ومما أدى إلى ارتفاع نبرة الفن الشعري، حيثُ تميز اللون الشعري بخصوصية فريدة في حركته داخل المدار الأدبي لهذا العصر.

1- الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1979م، ص: 23 – 24.

2- النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص: 211.

ولعلّ ما ميز هذا اللون الشعري حقيقةً هو اكتمال دورته عند مركز الصدق، ومحور التجديد في الأداء[1]؛ فنجد ملامحه قد امتدت لتلامس جوانب الفن من عناصر الصورة، والموسيقى، والخيال، والبناء الشعري الذي بان في أدب الولاة، وما قالوه ونظموه وترجموه في تأريخهم وأدبهم وثقافتهم، أو ما وجه إليهم من نظم الشعراء.

فإذا كانت العصبية المذهبية والقبلية قد أنتجت هذا الكم الهائل من الشعر؛ فإنها (أيضاً) أخذت صورة للصراع السياسي والقبلي بين الطوائف والفرق المتناحرة، وأوجدت كذلك نتاجاً شعرياً وصل إلى مرحلة عالية من الجودة الفنية والتعبيرية التي عجت بالساحة الأدبية آنذاك، وما شابها من هجائيات ومفاخرات تخلت عن بعض القيم الأخلاقية.

وأمام تلك الأحزاب المعارضة، يقف - الحزب الأموي – واضعاً نُصب عينيه سياسةً محددةً للرد على خصومه، ومتخذاً لنفسه ذريعةً من الشدة والقسوة لمجابهةِ كل من يتهم رجاله وولاته، ويريد تقويض كيان دولة الخلافة الأموية.

1.3 تقدير الخلفاء والولاة للشُعراء:

حرص الأمويون – خلفاء وولاة وقادة – على استغلال الشعر في سياستهم وبناء دولتهم، وتوطيد أركانها، فعمدوا إلى اجتذاب الشعراء إلى قصورهم، ليتخذوا منهم ألسنةً منافحةً عن حكمهم، داعيةً الآخر إلى تقبله وتأييده، فصار الشعر السياسي أعلى ضروب الشعر صوتاً في عهدهم، حيثُ كان يدور في أغلبه على محور واحد هو الاحتفاظ بالملك لبني أمية، فلم يجد هؤلاء الخلفاء والولاة مندوحة عن اصطناع الشعراء، يقول الحوفي: "فلهذا تزاحم الشعراء على قصور بني أمية، وولاتهم، فكان لهم في كل مصر شعراء"[2].

1- حسب ا ، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام – تاريخ وتذوق-، ص: 198.

2- الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 256.

ولما أراد الخليفة – معاوية بن أبي سفيان – طلب البيعة لابنه يزيد، أوعز إلى الشاعر مسكين الدارمي أن يروج لها، ويرد على معارضيه، كعبد ا بن عامر، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فقال الشاعر مسكين الدارمي[1]:

ألا ليتَ شِعري ما يقولُ ابن عامرٍ ومروان أَم ماذَا يقولُ سعيد؟

ولذا؛ اشتدت عناية الأمويين – خلفاء وأُمراء وولاةً وزعماء – بالشعر، وعظم تقديرهم للشعراء، وخصوهم بجزيل العطاء، وعظيم الصلات، وعقدوا المجالس لإنشاده وسماعه، وجلسوا في الندوات المفتوحة لسماع المحاورات بين الأُدباء والشعراء، فكان من آثار هذه النهضة الشعرية ارتفاع منزلة الشعر والشاعر[2].

ولا شك أن الشعر قد ازدهر في هذا العصر ازدهاراً كبيراً، فنجد الشعراء قد طرقوا جميع الأغراض التي تناولها الشعراء من قبل كالمديح والفخر والهجاء والرثاء والغزل والوصف، وقد نشأت كذلك أغراض لم تكن موجودة من قبل، كالشعر السياسي الذي كان صدى للخصومات السياسية، والعداوات القبلية، والمنافرات الحربية، بيد أن هذه الأغراض قد تأثرت وتشكلت بصورة البيئة، وأحوال الدولة والمجتمع وظروف السياسة.

فجاءت أغراض الشعر الأموي متعددةً، قال فيها الشعراء فأكثروا، وصوروا فأجادوا، ولم يضعفوا في ميدانهم، وإنما نهضوا سباقين، وجالوا في كل فن منها مبرزين[3].

2.3 الأغراض الشعرية:

1.2.3 الشعر السياسي:

فن من فنون الكلام يتصل بنظام الدولة الداخلي وبنفوذها الخارجي، ومكانتها بين الدول الأخرى، ليعبر عن مدى المشكلات السياسية والدينية والفكرية، وما تفرع

1- الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الكتب، وطبعة ساسي، 71/8، انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 257.

2- خفاجي، الحياة الأدبية – عصر بني أمية- ص: 79.

3- خفاجي، الحياة الأدبية – عصر بني أمية- ص: 139.

عنها على الصعيد الداخلي من طوائف وفرق مذهبية، عكست لنا شيئاً من نظريـات وآراء الأحزاب الأموية المؤيدة والمعارضة في نظرتهم إلـى مجريـات الأحـداث السياسية آنذاك[1]، يقول نصر بن سيار[2]:

مـن مبـغٌ عنـي الإمـام الـذي	**قـام بـأمرٍ بـينٍ سـاطـع**
أنـي نـذيرٌ لـك مـن دولـةٍ	**قـام بهـا ذو رحـمٍ قـاطع**
والثـوب إن أُنْهـج فيـه البِلـى	**أعيـا علـى ذي الحيلـة الـصانع**
كنـا نـداريها فقـد مزقـتْ	**واتّـسع الخَـرقُ علـى الراقـع**

فلا غرو، أن الشعر السياسي هو الذي عبر عن تلك الثورات الـسياسية والدينيـة، ولاسيما أن ما اصطلح على تسميته بالأحزاب السياسية لم يتخذ شكلاً أساسياً محدداً، لكنه اصطبغ بصبغة دينية قوية ترجع في أصولها إلى آراء سياسية شكلاً ومضموناً، حيثُ ظهرت دلائلُ هذا الصراع السياسي بين شعراء الحزب الأموي، وغيرهم من شعراءِ الأحزاب الأخرى المناوئة، فكان الهجاء والمديح والفخر والرثاء والوصـف يدور على ألسنةِ الشعراءِ لخصومهم، حيثُ بان على المستويين الفردي والجماعي.

2.2.3 المديح:

نشط المديح في بلاط الخلفاء والأمراء والقادة والولاة لعهد بني أمية، وتدافع الشعراء على أبوابِ هؤلاء الحكام، لينالوا منهم العطايا والهبـاتِ والـصيتَ، فمـن الشعراء من قصر مديحه على ولاة وأمراء من قبيلته – كما فعل الشاعر الطرمـاح

1- الخواجة، إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجـري، منـشورات – جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1984م، ص: 8 – 9.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 258/3؛ انظر: الدينوري، أبو حنيفة، الأخبـار الطوال، ص: 360، انظر: عطوان، الشعر العربي بخراسان في العصر الأمـوي، ص: 147.

بن حكيم الطائي الذي كان مدحه مقصوراً على يزيد بن المهلب من البيت القحطاني، فذكر حروبه وشجاعته وكرمه، وأيضاً أقسم أن لا يمدح غيره ما دام حياً، فقال[1]:

أَقـسـمتُ لا أمـدح حتـى أُرى فــي ذاتِ لحـدٍّ رهـــن أرجامِهــا
إِلا فـتى للحـمدِ فـي مالـهِ قـسـمٌ إذا ضـن بأقْـسامِهـا

ويمضي الطرماح في وصف ممدوحه يزيد بن المهلب بأنه أشم، جواد، طيب الذكر والسمعة، يقول[2]:

أشــمٌ، كثيــر بــوادي النــوالْ قليــلُ المثالــبِ والقَادِحــه
هـو الغيـثُ للمعتـضين المغيـثْ بفـضل فوائِـدهِ الرادحـه
إِليك، ابن قحطان، نطـوي بهـا مفــاوز أخْماســها نازحــةْ

ويلجأُ الطرماح إلى مدح خالد القسري، ويبالغ في تمجيده، فينعتـه بالملـك، والغيث والندى، ويقسم بأنه سيمدحه مدحاً يذهب كل مذهب، يقول[3]:

مِـن خَالِدٍ، أهـل السماحـةِ والنّدى ملِـكِ الـعِراق إلى رمـال وبـار
وإذَا النـفُوس جشأن وقـر خَالـداً ثبـتُ الـيقين بحـتْمةِ المـقدار
ولأحـدِثـن لِـخَـالـدٍ ولقَـومِـهِ مـدحـاً يـفور له بِكُـل مـغَار

3.2.3 الفخر:

يعد الفخر منطلقاً أساسياً عند الشعراء، فالعصبية القبلية هي المنطلق الأساس، وبيت القصيد عند شعراء الفخر، وما دار على ألسنتهم مـن التفـاخر بالأحـساب والأنساب والأيام، فلذا؛ حرص كل شاعر على أن لا يضيع الفرصة في الدفاع عن ممدوحهِ والفخر به، وبإنجازاته السياسية والإدارية والحربية، وفـي الوقـت نفـسه يصرح بالفخر إلى قبيلته أمام الخصوم.

1- الطِّرماح، الطّائي، ديوانه، تحقيق: عزة حـسن، دار الـشرق العربـي، بيـروت، ط2، 1994م، ص: 17.
2- الطِّرماح، ديوانه، ص: 86 - 87.
3- الطِّرماح، ديوانه، ص: 153، 155، 158.

لذا؛ حمل شعر الفخر في أثنائه من المعاني والصور والتشبيهات والصفات والأخلاق الشيء الكثير، فعراقة النسب وامتداده أملت على الشعراء التسابق إلى الفخر.

وقد ظهر الفخر أحياناً عند بعض الشعراء في ثنايا الأغراض الشعرية التي طرقوها في مدح ممدوحيهم من الولاةِ والأمراءِ والقادة، حيثُ تعددت اتجاهاته لارتباطه بأحداث وظروف العصر الأموي الذي سجل فيه الولاةُ أشعارهم وأمجادهم الحربية والسياسية، كما هي مشاركة الشعراء لهم في تسجيل تلك الوقائع.

إذن، الفخر هو المدح بالخصال المحمودة، وعد القديم والشعور بالعزة والتفوق، ولا يصدر إلا عن نفوس متعالية متعاظمة، فيتخذ معانيه من المفتخر، أو من قوة فضائلهم كالشجاعة والكرم والنجدة وكثرة العدد والعديد والسيادة والسلطان والدين والجهاد في سبيل ا (1).

يقولُ عمران بن هلباء الكليبي الحمصي شعراً يفخر به بخالد القسري، ويتوعد قبائل (قيس) بالفناء والثأر، منها(2):

قضى صدد المطيةِ يا جلالا — وجذْي حبْلَ من قطَع الوصالا

فَإن عدتم فإن لنَا سيوفاً — صوارم نَستَجِد لها الصقالا

سنَبكي خَالِداً بمهنداتٍ — ولا تَذْهب صنائعه ضلالا

وأما قول الأصبغ بن ذؤالة الكلبي، فيفخر بما أحرزته القبائل اليمانية الشامية من نصر بن سيار بقتل الخليفة الوليد بن يزيد، وأخذ الثأر لخالد القسري(3):

من مبلغٌ قيساً وخنْدفَ كلها — وسادتهم مِن عبدِ شمس وهاشم

قتلْنَا أمير المؤمنين بخالدٍ — وبعنا ولي عهدهِ بالدراهم

1- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1954م، ص: 40 – 41، انظر: الفايز، مفلح النمر، شعر القبائل اليمانية الشّامية في العصر الأموي، دار الينابيع للنشر، عمان، ط1، 2001م، ص: 123.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/ 235 – 236.

3- المسعودي، كتاب: التنبيه والإشراف، ص: 281.

ومن الفخر الشخصي، ما جاء على لسان الوالي النعمان بن بشير الأنصاري، حيثُ قالَ[1]:

وإنّي لأعطي المـالَ من ليـس سائلاً وأُدرك للمـولى المعـاندِ بـالظلمِ

وإني متى مـا يلْقَنـي صـارماً لـه فما بيننا عِنْدَ الـشّدائدِ مـن صـرم

فهو هنا يفخر بنفسه، وبأنه شجاع شريف كريم الحسب والنسب، يطعم الجار، ويعطي السائل، وينصر المولى، ويعين المظلوم مثل فعائل قومه.

4.2.3 الغزل والحنين:

احتلّ الغزلُ والحنين ركناً أساسياً في الشعر العربي، وما زال يحتل المكانة ذاتها في الشعر الأموي، فذكروا المرأة، ووصفوها، وحنّوا إلى ديارها ومرابعهـا، وتمنوا لقاءها، وقد اقترن ذكر المرأةِ عند الوالي النعمان بن بشير الأنصاري بالحنين والشوق إلى الزوجة والأهل والديار، حيثُ انتقلَ من المدينة المنورة إلى الشام، حين ولاه معاوية بن أبي سفيان ولايةَ الكوفة واليمن وحمص[2]، ولعله قال هذه القـصيدة أثناء واحدة من ولاياته البعيدة التي لم يصحب أهله فيها، فنراه تشوق إلى زوجه أم عبد ا ، وتمنى لقاءها، ويستسقي لديارها، ويسترجع الذكريات، فيعدد بعـضاً مـن صفاتها، ويصفُ حمولها المزدانة بالخز الفارسي المرقم، يقول[3]:

على نأيها مِنـي وإن كُنْـتُ عـاتِباً عليها وكانـت فـي التجنّـب أظلمـا

تجـود لهـا نفـسي بحلـو حـديثها وتبذلُ بعـد البخـلِ نـزراً مترجمـا

يطــولُ علــي النــوم دون لِقائِهــا وتهجرنــي حــولاً جدِيــداً محرمــا

تُحـاولُ ودي إذْ تـــولّتْ بودِّهـا أرى ا قبــلَ النــومِ أن أتهــضما

1- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، تحقيق وتقديم: يحيى الجبوري، طبع مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1968م، ص: 57، 153، 159.

2- الفايز، شعر القبائل اليمانية الشّامية في العصر الأموي، ص: 114 – 115.

3- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 137 – 138.

5.2.3 الوصف:

شغل الوصف حيزاً واسعاً في شعر هذه الفترة، فكـان وصـف الحـروب والمعارك والثورات الداخلية له حضور واضح المعالم في تصور الشعراء، وكـان لهذه النشاطات الحربية صدى في نفوس الشعراء الذين شاركوا في هذه الحـروب، وآخرين لم يشاركوا فيها، ولكنهم شاركوا في وصفها وأشـادوا ببطـولات قادتهـا ومحاربيها إعجاباً منهم بتلك البطولات والفتوح.

ولذا؛ تناولَ الشعراء في وصفهم المعارك والحـروب، وصـف الجيـوش، وعمليات القتال والتخطيط والإدارة الحربية، والأمـاكن التـي دارت فيهـا رحـى المعارك، ومضوا في وصفِ بطولات الولاة والقادة، وقد أجادوا في كل ما وصفوا، وسجلوها في أشعارهم، يقول النعمان القاضي: "فكانت أشعارهم سجلاً مهماً ووثيقـةً تاريخيةً ومرجعاً بالغَ القيمةِ في الكشف عن طواف الفاتحين وظروف حياتهم، ومـا كان يضطرب في أعماقهم من مشاعر وأحاسيس صورها الشعراء تصويراً واضحاً وشاملاً"[1].

فوصف الشعراء الخيول فأجادوا في وصفها وتـصويرها، فأسـبغوا عليهـا سماتِ القوة والتحمل في الحرب، يقول ثابت قطنة في وصف خيل المهلب[2]:

وعلـي أَن أقــود الخيـلَ شُعــثاً شَــوازب ضـمراً تقـص الأكامــا

ويصف الفرزدق منعة قصور جبل جيلان بفارس التي لـم تـستعص علـى سيوف الملهب، فيقول[3]:

إِن القُــصور بجبــل جِيلْــان الّتــي أَعيــتْ معاقلُهــا بنــي الأحــرار

فُتِحـتْ بِـسيفِ بنـي المهلَـبِ إِنّهـا ـِ عـــادتُهم عـــلى الكفــار

1-القاضي، النعمان، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنـشر، القاهرة، ط1، 1965م، ص: 145.

2- العتكي، ثابت قطنة، شعره، جمع وتحقيق: ماجد أحمد السامرائي، وزارة الثقافة العراقيـة، بغداد، ط1، 1970م، ص: 54.

3-الفرزدق، همام بن غالب، ديوانه: تحقيق وشرح: عبد ا إسماعيل الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1، 1936م، 378/1.

6.2.3 الاعتذار والعتاب:

عرف الخلفاء الأمويون وولاتهم فضل القبائل التي ساندتهم في توطيد أركان الدولة، فقربوا رجالاتها واعتمدوا عليهم، وخصوا بعضهم بالمناصب العليا في الدولة، ممن أيدوا بشعرهم ومواقفهم البيتَ الأموي، وفي ذلك يقول: أبو نُميلة – صالح بن الأبار- معتذراً عن القيسية لنصر بن سيار[1]:

وجدنا ليثاً ويأخذُ بالفضل ذوو الجود والندى الحلوم

ولكن نصراً لم يقبل اعتذارهم، بل أسرفَ في إقصائهم وإذلالهم، فقال في ذلك بعض الشعراء[2]:

لقد بغض الله الكرام إليكم كما بغّض الرحمن قيساً إلى نصر

رأيتُ أبا ليثٍ يهين سراتهم ويدني إليه كل ذي والثٍ غُمر

فهذه نصوص شعرية توجه بها بعض الشعراء إلى ولاتهم وقادتهم، معتذرين عن فعل أو قول أو تقاعس عاتبين عليهم في بعض أمور الإدارة والسياسة، أو في تأثير العطاء، وفي هذا دليل على مرونة العلاقة، وحرية التعبير بين الولاة، وممن تحلق حولهم من الشعراء، فهذا الشاعر عبد الله بن الحجاج يعتذر لوالي مصر عبد العزيز بن مروان بعد أن منع الأعطيات، ثم أعادها، فخرج من عنده غاضباً، فقال[3]:

تركتُ ابن ليلى ضلة وحريمه وعند ابن ليلى معقِلٌ ومعول

أبتْ لك يا عبد العزيز مآثرٌ وجرى شأي جري الجياد وأول

7.2.3 المواعظ والحكم:

تزخر قصائد الشعراء ومقطوعاتهم ببعض الحكم والمواعظ التي بينوا من خلالها مواقفهم من بعض أمور الحياة، وأكثروا من المعاني والقيم الإنسانية

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،1724/9.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1725/9.

3- الأصفهاني، الأغاني، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، 24/12.

والعلاقات البشرية، وطرق التعامل والسلوك بين الـوالي والرعيـة، وفـي شـعر المواعظ والحكم يبدو أثر الإسلام وتجلياته واضحاً في توسـيع مـدارك الـشعراء، لترسيخ القيم والمبادئ أمام تبدل الأحوال، فإذا تجاوزنا حدود التجربةِ الذاتية؛ فإننـا نجد الشعراء والولاة يعبرون عن شعور الإنسان العربي بالقلق والتذبذب بين أنمـاط حياته، وبين التطور الحضاري الذي أصاب المجتمع الأموي، فقـد قـال الـشاعر الأُقيبل القَيني ملخصاً قصته مع الحجاج بن يوسف الثقفي[1]:

كانـــتْ علاقتــه هـــذا قـــــدر وكـــل أمـــرٍ إذا مـــا حُــم مقـــدور

إنـــي لأعلـــم والأقـــدار غالبـــةٌ أن انطلاقـــي إلـــى الحجـــاج تغريـــر

وفي قول الحجاج ما يظهر الحكمة والموعظة[2]:

وإن امرؤٌ قَد سـار خمـسين حجـةً إلـــى منْهـــلٍ مـــن وردِهِ لقريـــب

وقال أيضاً[3]:

الـــدهر آخـــره شـــبهٌ بأولـــهِ يـــومٌ بيـــومٍ وأيـــام بأيـــام

8.2.3 الهجاء:

يعد واحداً من الأغـراض الـشعرية القديمـة التـي ارتبطـت بالخلافـات والصراعات القبلية، والحروب الداخلية والخارجية والمواقف بين العطاء والرفض، وقد برز هذا الغرض، واتخذ حيزاً كبيراً بين الأغـراض الـشعرية فـي العـصر الأموي؛ نتيجةً لظهور الصراعات السياسية، وتأجيج الخصومات القبلية، ومن هنـا، فلم يكن الولاةُ بعيدين عن هذه الصراعات والأحداث التي عصفت بمعظـم أنحـاءِ الدولة الأموية وبيئاتها، وعن مدى مشاركتهم في صناعة أحداث العصر وحروبـه الخارجية وثوراته الداخلية.

1- الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص: 26.

2- الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 331/3.

3- الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 33/3.

لذا؛ فليس غريباً أن يكون هؤلاء الولاة هدفاً لبعض شعراء الهجاء الذين سعوا يقللون من ثقلهم السياسي والقبلي، ورميهم بمثالب عديدة تسيء إلى أعمالهم وأنسابهم ودينهم وعروبتهم، مندفعين في ذلك بدوافع مختلفة سياسية وقبلية واقتصادية وشخصية[1]، وزيادةً على ذلك؛ **فإن الهجاء يأتي على ضربين، هما:**

أ- **الهجاء المباشر بالذم والإساءة**، وسلب المهجو كل الفضائل المعنوية والنفسية والمثل العليا التي يعتز بها العربي، فيأتي الآخر بكل ما يناقضها، كالتعبير بالقذارة وقلة المروءة، وضعف الرأي، وخمول الذكر، ووضاعة النسب، وذلك ما قاله الشاعر جواس بن القعطل الكلبي يهجو الوالي حسان بن بحدل الكلبي سالكاً في هجائه أسلوب التصوير التهكمي الساخر[2]، فيقولُ[3]:

هلْ يشْتُمني لـا أبـا لكـم **دنِس الثـابِ كطـابخ القـدر**

جعـلٌ تمطـى فـي غثاثتـه **زهِـر المـروءة نـاقص الـشبر**[4]

لزبابـةٍ[5] **سـوداء حنْظلـةٍ** **ولعـاجز التـدبير كـالوبر**[6]

وواضح من الأبيات السابقة أن الشاعر يستمد صور هجائه من مشاهد بيئته المحسوسة، فنراه يشبه ثياب حسان الكلبي بثياب طباخ القدور، ويخلع عليه صورة الجعل، ويقرنها بصورة فأرة سوداء بغيضة.

ب- **أما الهجاء غير المباشر**، فهو الهجاء الذي احتدم بين شعراء فريق على حساب فريق آخر، نتيجة للتنافس بين الشعراء، والحسد الذي كان للولاة دور في تأجيجه، فقد انبرى بعض الشعراء الذين كانوا ينتصرون بشعرهم للأمويين

1- حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، مكتبة الآداب، بالجماهيز، القاهرة، ط1، 1947م، ص: 32.

2- طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار التوفيقية للطباعة، الأزهر – القاهرة، ط1، 1978م، ص: 41.

3- الجاحظ، كتاب: الحيوان، 509/3، 369/6.

4- الشبر: القامة.

5- لزبابة: (الزبابة): الفأرة.

6- كالوبر: (الوبر): دويبة صحراوية، تكون على قدر السنور.

رغبةً أو رهبة، فانبروا يهجون الثائرين على الدولة والخارجين عن طاعتهـا، فقذفوهم بكل المعايب، وحطوا من شأنهم، وظل الشعراء يسارعون إليه كلمـا حجبهم وزير أو والٍ أو قائد قصر في عطائهم[1]، فهذا الكميت يهجـو خالـد القسري وقبيلته، قائلاً[2]:

فمـا وجـدتْ بنـاتُ بنـي نـزارٍ حلائِـلَ أسـودين وأحمرينـا

سـقيناهم دِمـاءهم فـسالت فأبردنـا أليـةَ مقْـسِمينـا

ومن الملاحظ أن الهجاء في هذه الفترة أخذ طابعاً جماعياً شـاملاً للمهجـو وقبيلته، كما في قول الفرزدق يهجو المهلب[3]:

ولـم يعبـد يغَـوثُ ولـم يـشاهد لِميـر مـا تـدِين ولـا نـزارِ

ومـا تَـسجد أزد بـصرى ولكـن يـسجدون بكـل نـارِ

وأما الهجاء والفخر فمتلازمان في الشعر، فكل شاعر يربطُ فخـره بقبيلتـه، ويتغنّى بأمجادها ومآثرها أمام الخصوم؛ لأن الهجاء والفخر صدى لـشعور العـداء المستحكم في النفوس المتعادية، حيثُ تدور معانيهِ في وصف المهجو بالبخل واللؤم، وذلك لأن اللؤم جماع لكل صفات الرذيلة التي يمكن أن يهجى بها الخـصم، يقـول إحسان النص عن شيوعِ هذه الصفة في أهاجي العصر الأموي: "ولكن هـذا اللفـظ اكتسب في البيئة الأموية دلالة أعم وأوسع تجمع بين الشح، وذلّة الـنفس، وضـعة الأصل، ودناءة الخُلُق، والغدر، والخبث، وما شاكلَ ذلك من الخِصال التـي كانـت موضع الذم والطعن في ذلك العصر"[4]، وكان الشاعر حميـد الأرقـط معاصـراً للحجاج بن يوسف معدوداً من بخلاء العرب، وسمة البخل فيه، مما يتنافى مع طبيعة

1- ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1963م، ص: 359.

2- الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، 16 /357،انظر: البغدادي، خزانة الأدب ولـب لباب لسان العرب،178/1 – 179.

3- الفرزدق، ديوانه، 1 / 254.

4- النّص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص: 507.

العربي وأخلاقه، فكأنها سمة تعلن عن صاحبها؛ لتضاعف من فرص التشهير به[1]، ومن أمثلة الهجاء المقذع، ما هجا به الشاعر حميد الأرقط الحجاج بن يوسف ذاكراً محامله، بقوله[2]:

أخْزى الإله عاجِلاً وآجِلا

أولَ عبدٍ حملَ المحامِلا

عبد ثَقِيفٍ ذاك إزلا آزِلا

ومن أمثلة ذلك الهجاء، ما تردد على لسان الأخطل التغلبـي، حـين هجـا الأنصار بإيماء من الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فقالَ الأخطل[3]:

ذهبَـتْ قـريشٌ بالمكـارمِ والعُلـى واللـؤم تَحـتَ عمـائمِ الأنْـصار

فرد عليه النعمان بن بشير الأنصاري، حيثُ بـالغ فـي هجـاء التغلبيـين، وإلصاق صفة اللؤم بهم، حتى جعله علامة مميزة لهـم، فهـي كـالرقم فـي ذراع الحمار، يقول[4]:

أبلِـغْ قبائـلَ تغلـب ابنــةَ وائـلِ مَـن بـالفُراتِ وجانـبِ الثرثـار

فـاللؤم بـين أُنـوفِ تغلـب بـينٌ كـالرقمِ فـوقَ ذِراعِ كُـل حِمـار

كان عمرو بن العاص يحرض معاوية بن أبي سفيان على الأنصار لبغـضه للقبهم الشريف (الأنصار)، وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يلقـبهم بلقـبهم

1- حداد، حنا جميل، هجاء الأضياف، حميد بن مالك الأرقط حياته وما وصل إلينا من شعره، - بحث منشور-، مجلة جذور، دورية، جدة، السعودية، ج1، مج1، ذو القعدة 1419هـ / فبراير 1999م، ص: 213 .

2- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت 360هـ)، كتاب: المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، 69/2، انظر : حداد، هجاء الأضياف، الأرقط حياته وما وصل إلينا من شعره، ج1، مج1، ص:213.

3- الأخطل، غياث بن غوث التغلبي، شعره، تحقيق ونشر: الأب أنطـون صـالحاني، طبـع المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2، (د. ت)، ص: 31.

4- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 149.

القديم (بنو قَيلة)[1]، ولم يرفض معاوية اقتراح عمرو بن العاص، لأنه صادف هوى في نفسه، ولكن لما وفد الأنصار على معاوية، فأمر حاجبه سعداً أن ينادي وفد الأنصار (بالأوس والخزرج)، أو بأبناء عمرو بن عامر[2]، فغضب النعمان بن بشير، فقال هاجياً لمعاوية، ومفتخراً بالأنصار[3]:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا   نسبٌ نجيب به سوى الأنصار

نسبٌ تخيره الإله لقومنا   أَثْقِلْ بهِ نسباً على الكفار

إن الذين ثووا ببدرٍ منكم   يوم القليبِ هم وقود النار

وانصرفَ النعمان ساخطاً على الخليفة معاوية، ومن معه من وفد الأنصار، فبعثَ إليه معاوية وترضاه، وقضى حوائجهم.

9.2.3 الرثاء:

يعد الرثاء أقرب موضوعات الشعر إلى صدق العاطفة والانفعال لدى الشاعر، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي: "سألت أعرابياً، ما أجود الشعر عندكم؟ قال: ما رثينا به آباءنا وأولادنا، وذلك أنا نقولها وأكبادنا تحترقُ"[4]، فلذا؛ كان الرجال منهم والنساء يبكون الموتى، ويقفون على قبورهم، ويندبونهم، ويعدون مناقبهم، ويدعون لهم، وقد يضمون إلى ذلك صور من التعزية، والدعوة إلى الصبر والتأسي، فالموت غاية كل حي، ولا مرد لحكم ا [5]، وضرب آخر من الرثاء عرفه عصر بني أمية، هو رثاء رجالات العصر من الخلفاء والولاة والقادة والزعماء الذين اغتالتهم يد الردى،أو استشهدوا في الحروب والثورات في ساح الوغى، فمثلاً

1- بنو قيلة: أم الأوس والخزرج.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2/ 21، انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص: 436.

3- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 149.

4- البيهقي، كتاب: المحاسن والمساوئ، 38/2.

5- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – دار المعارف، القاهرة، ط1، 1961م، ص: 207.

الوغى، فمثلاً كان لمصرع قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان رنةُ أسى بليغة في نفوس قبيلته، حيثُ انعكس هذا الأسى في مراثي الشاعر الباهلي عبد الرحمن بن جمانـة، وقد جعلها فجيعة عامة [1]،

فقال يرثيه[2]:

كـأن أبـا حفْـص قتيبـةَ لـم يـسر ... بِجيش إلى جيش ولـم يعـلُ مِنْبـرا

ولـم تخفق الرايـاتُ والقـوم حولـه ... وقوفٌ ولم يشهد له الناس عـسكرا

دعتــه المنايــا فاســتجاب لِربــهِ ... وراح إلــى الجنــاتِ عفّــاً مطهــرا

فمــا رزيء الإســلام بعــد محمــدٍ ... بمثل أبي حفـص، فبكيـه عبهـرا[3]

10.2.3 طلب الأمان:

وثمة موضوع طرقه بعض الشعراء في العصر الأموي، هو طلب الأمان[4]، ومنه قول الشاعر الأقيبل القيني، لما هجا الحجاج بن يوسف الثقفي، فطلبـه، فعـاذ بقبر مروان بن الحكم، وقال[5]:

إنـي أعـوذُ بـ ـقبرٍ لـستَ مخفـره ... ولــا أعــوذُ بِقبــرٍ بعــد مروانــا

فقال له عبد الملك: وأنا لا أُعوذ به أحداً بعدك، وأمر كتابه أن يكتب له إلـى الحجاج أن يمسك عنه، ويعلمه أنه قد أمنه، فقال له قومه:" إنّك إن أتيـت الحجـاج قتلك، فطرح الكتاب وهرب"[6].

1- النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص: 582، 591.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 285/5.

3- عبهرا : العبهر من الرجال العظيم، والعبهرة :الحسناء الناصعة البياض .

4- الفايز، شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي، ص: 205.

5- الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص: 25.

6- الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص: 25.

الفصل الرابع

ما وجه إلى الولاة من شعر الشعراء

لقد ازدهر الشعر في ظل الولاة إبان العصر الأموي ازدهاراً واضحاً، وقد تجلى ذلك من خلال كثرة الشعراء، وتحلقهم حول الولاة والقادة، فتدفقت سيول الشعر على أعتابهم، وكان لهم نصيب من اهتمامات الولاة ورعايتهم وتقديرهم، لأنّهم ذواقون لسماع الشعر، ومدركون لأهميته في خضم صراعات العصر السياسية والحزبية والقبلية، فقربوا الشعراء، وفتحوا لهم قلوبهم وأبواب قصورهم ومجالسهم، وخصوهم بالعطاء الثر، فمن الشعراء من كان طامعاً بفيض عطاء، بينما كان بعضهم الآخر معجباً بشخصية الوالي وبطولاته وكرمه ونسبه ومثله العليا، ومنهم من كانت علاقته بالوالي لمنفعة شخصية سرعان ما تنتهي إلى الضدية.

لذا، كانت أشعار هؤلاء الشعراء وقصائدهم نماذج للصدق والوضوح، وما تبع ذلك من تعدد اتجاهات الشعر وتنوع أغراضه، حسب طبيعة العصر وظروفه، وما يستجد فيه من أحداث خطيرة وملابسات كانت حافزاً مهماً لازدهار حركة الشعر الأموي.

وصحة القول إن العصر الأموي، هو العصر الذي احتدمت فيه الصراعات السياسية والعصبيات القبلية منذُ استقرار الحكم في أيدي الأسرة الأموية، وتوارث أبنائها لهذا المنصب، فعندها بدأت المعارضة تنشأ في الأقاليم والأمصار متمثلة في الفرق والأحزاب التي كانت لها آراء ونظريات ومناهج إزاء السلطة الحاكمة.

أما الصراعات القبلية، فلم تكن بمعزل عن الصراعات السياسية للأحزاب والفرق، ومحاولة كل منها الوصول إلى السلطة، فحينها بدأت القبائل تتكتل في تجمعات وأحلاف قبلية متصارعة، حيثُ ساعدت السلطة الأموية كثيراً في إثارة الصراعات بين القبائل، وتأجيج نيرانها، فاتخذتها سلاحاً تسلطت به على القبائل بمحاولة تقريب بعضها، وإقصاء بعضها الآخر بما يثير التنافس والحقد بينهما للدخول في صراع شامل ودائم بين القبائل كما حدث بين القبائل "اليمانية والقيسية" طيلة العصر الأموي.

وزيادةً على ذلك، فإن الصراعات السياسية، والثورات الداخلية، والحـروب الخارجية، والعصبيات القبلية كان لها أثر بين في إلهاب جـذوة الـشعر، وإطـلاق حماس الشعراء، فكان شعرهم الموجه إلى الولاة والقادة وثيقة مهمة عبـرت عـن أحداث العصر وظروفه.

كان يتميز بعض الولاة بشخصيةٍ قويـةٍ وممتـازةٍ، فـي سياسـة الأقـاليم والأمصار صورها الشعراء بطرق شتى، فمنهم من كان مؤيداً لسلوك هؤلاء الولاة، أو ثائراً عليهم بتأثير الرغبة أو الرهبة تحت بواعث مختلفة، فقد يكون تأييـده لـه باتفاق سياسته مع حكم الدين، أو مع مصلحة قبيلته والإقليم، أو قد يكون باعثه النفع الذاتي، هذا بالإضافة إلى الشعراء المرتزقة الذين يغدون إلـى الـولاة مـادحين أو هاجين لخصومهم طمعاً في الهبات والعطايا، وكذلك كان بعض الشعراء يلازمـون الولاة والقادة يعيشون على عطائهم مالاً وعملاً وسمعةً، فيـصير الـشاعر مـنهم مختصاً بهذا الوالي أو القائد[1]، كما هو حال بعض الشعراء ممن لازموا آل المهلب، وعبد العزيز بن مروان، وبشر بن مروان، وغيرهم.

ومن الشعراء من كانوا ولاة على بعض الأقاليم أو الكور (كالنعمان بن بشير الأنصاري، وحارثة بن بدر الغداني)، ولعلّ هذه الولاية كانت كسباً لقبيلة، أو نزعة، أو عصبية، أو ثمناً لقصيدة، وبذلك كان الشعر الإقليمي صورة لهذا الجانـب مـن السياسة الداخلية للدولة الأموية، وظهر كذلك الشعر السياسي الملحمي، وشعر المثلث الأموي بـ(الفرزدق،وجرير، والأخطل التغلبي)،حيثُ احتدم الشعراء في مساجلات ومنافرات، ومناقضات، ومدائح ومهاجاة أثارت دوافع الشعر لدى الشعراء[2].

فهذا الدور الذي لعبه الولاة والقادة والشعراء خلق حركة شـعرية رسـمت بوضوح روح العصر وأحداثه وصراعاته، لكن اتجاهات الشعر ظلت بـارزةً فـي أغراضه الرئيسة التي أكثر الشعراء من طرقها، وأجادوا فيها إجادةً واضحةً، وفـي طليعة هذه **الأغراض**: المديح والثناء، والهجاء، والرثاء، والوصـف،أما **الأغـراض**

1- بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 392 .

2- ملحس، مدخل إلى أدب العصر الأموي، ص: 55 – 56 .

الثانوية، فجاءت في أشعارهم لماماً ضمن الأغراض الرئيسة، كالفخر، والحكمـة، والاعتذار، والعتاب والشكوى، والحنين.

1.4 ما وجه من شعر الشعراء- لزياد بن أبيه – في مسألة الإلحاق-:

لما ألحق معاوية بن أبي سفيان – زياداً بنسبه في صفقة مـشهورة، جـاءت لمصلحة الطرفين، ولمصلحة "السلطان" بالدرجة الأولى، وأثمـرت هـذه القـضية معارضة وتخوف رجالات من البيت الأموي من أطماع زياد وبنيه، فوقفوا في وجه هذه الصفقة، فانبرى الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري لنقض انتساب زياد إلى أبـي سفيان، وهو الانتساب القرشي الذي يريده زياد[1]، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم في ذاك، ويقال إنها: ليزيد بن مفرغ الحميري[2]:

ألا أبلِـغْ معاويـةَ بـن حـربٍ مغلْغَلـةً[3] عـن الرجـل اليمـاني
أتَغْـضب أن يقَـالَ: أبـوك عـف وتَرضـى أن يقَـالَ: أبـوك زان؟
فأشـهد أن رحمـك مـن زيـادٍ كـرحِمِ الفيـل مـن ولـد الأتَـان
وأشـهد أنهـا ولَـدتْ زيـاداً وصـخرٌ مـن سـميّة غَيـر دان

أثارت هذه الأبيات زياداً فصب جام غضبه على ابن مفرغ، فعذبه، وشـهر به، وأراد قتله لولا تدخل معاوية، الذي أراد أن يكون القصاص في حدود التأديـب دون القتل، ولكن معاوية لم يسلم من سخرية الشعراء بسبب إلحاقه لزياد، غيـر أن

1- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 14/3 – 15، انظر: بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 394.

2- الحميري، يزيد بن مفرغ، (ت 69 ه)، ديوانه، جمع وتحقيق: عبد القدوس أبـو صـالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1975م، ص: 230، انظر: الأصفهاني، الأغـاني، 13 / 265، نسبها إلى عبد الرحمن بن الحكم، وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان، 6 / 350، نسبها إلى عبد الرحمن بن الحكم، غير أن محقق ديـوان يزيـد بـن مفرغ، يثبتها إلى ابن مفرغ.

3- مغلغلة: الرسالة المحمولة والمسرعة من بلد إلى بلد .

الناس لم تنس حقيقة نسب زياد، فقد بقي "ابن أبيه" لأن الشعر كما يقول ابن مفـرغ في هجائه لزياد[(1)]:

يغْـسِلُ المـاء مـا صـنَعتَ وقـولي   راسـخ منـك فـي العظـامِ البـوالي

وقال أيضاً يهجو آل زياد ليدحض زعم زياد بن أبيه أن أمه سمية بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، فرد عليه، بقوله[(2)] :

فأقْسم ما زيادٌ من قريش   ولا كانتْ سميةُ من تميـــم

ولكن نَسلُ عبدٍ من بغـي   عريق الأصل في النّسبِ اللئيمِ

وفي زياد وإخوته يقول الشاعر خالد النجار، ساخراً، متعجباً من نسب زياد وإخوته، هذا قريشي فيما يدعي، وهذا مولى، وذاك بزعمه عربي[(3)] :

إنّ زيـــاداً ونافعـــاً وأبـــا   بكْرةَ عندي مـن أعجـبِ العجـبِ

إن رجـالاً ثلاثـة خلقـــوا   من رحمِ أُنثـى مخَـالفي النـسبِ

ذا قُرشِـــي كمـــا يقـــولُ، وذَا   مـولى، وهـذَا بِزعمِـهِ عربـي

ويتّجه ابن مفرغ الحميري إلى معاوية، ليفضح قـضية الإلحـاق، وأنهـا لا تشرف معاوية والبيت الأموي، يقول[(4)]:

فـإذا أُميـــةُ حـاصلتْ أحـسابها   فبنو زيـادٍ فـي الكـلابِ النابِحـه

ففي سنة إحدى وخمسين هجرية مات الحكم بـن عمـرو الغفـاري عامـل خراسان لزياد بن أبيه أمير العراق، وكان قد استخاف قبل وفاته أنس بن أبي أُناس، فعزله زياد، وولى مكانه خليد بن عبد ا الحنفي، فغضب غضباً شديداً، وهتف بهذه الأبيات مصوراً سخطه على سياسة زياد بن أبيه، يقول[(5)]:

1- الحميري، يزيد بن مفرغ، ديوانه، ص:185، انظر: زراقط، عبد المجيد حـسين، الـشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث للنـشر والتوزيـع والطباعـة، بيـروت، ط1، 1983م، ص: 32.

2- الحميري، ديوانه،ص: 206.

3- المصدر، السابق، ص: 79-80 .

4- الحميري، يزيد بن مفرغ، ديوانه، ص: 90.

5- الفرزدق، ديوانه،1/ 171 .

ألَا مــن مبلــغٌ عنّــي زيــاداً ... مغلَغلــةً[1] يخُــب[2] بهــا البريــد

أتَعزلُنِــي وتُطْمِهــا خُليــداً ... لقــد لاقــتْ حنيــفةُ مــا تريــد

علــيكم باليمامــة فاحرثُوهــا ... فَــأولكم وآخــركم عبيــد

لقد بين الشاعر أنس بن أبي أناس رأيه في بني حنيفة، وكيف أنهم لم يكونوا يصلحون للولاية، بل للحرث والزرع وعبودية الناس لهم.

كان زياد بن أبيه السند القوي لمعاوية، وكان شديداً علـى الثـوار حازمـاً حصيفاً، وحيث كان الشعراء يخافونه لما عرف به من القسوة، فقد هرب الفـرزدق متنقلاً بين الأحياء هرباً من مطاردة زياد وأتباعه؛ لأنه هجا بني فقيم وبني نهـشل، وظل مطارداً خائفاً، فقال[3]:

ما كنـتُ أحـسبني جبانـاً قبـل مـا ... لاقيــتُ ليلــةً جانــب الأنهــار

فَـلأ نـتَ أهـون مِـن زيـادٍ جانبـاً ... أذهــب إليــك مخــرم الأســفار

وتابع الفرزدق مسيره حتى بلغَ المدينة المنورة، فاستعاذ بواليها سـعيد بـن العاص بن أمية، فأجاره سعيد، فقال الفرزدق[4]:

بــأني قــد فــررتُ إلــى ســعيد ... ولا يــسطاع مــا يحمــي ســعيد

فــررتُ إليــه مــن ليــثٍ هِزبــرٍ ... تفــادي عــن فريــسته الأســود

فإن شـئتَ انتـسبتُ إلـى النـصارى ... وإن شـئتَ انتـسبتُ إلـى اليهـود

ولم تهدأ بال الفرزدق، فبقي ينزل تارةً في المدينة، وتارةً أخرى بمكة، وشبح الخوف يلاحقه، يقول[5]:

أتاني وعــيدٌ مـن زيـادٍ فلم أنـم ... وسيلُ اللّـوى دوني مهـب التمـائمِ

فَبِــت كــأني مــشْعرٌ خَيبريــةً ... سرتْ في عظامي أوسـمام الأراقـم

1- مغلغلة: أي الرسالة.

2- يخب: يسرع.

3- الفرزدق، ديوانه، 2/ 650.

4- الفرزدق، ديوانه، 1/ 171.

5- الفرزدق، ديوانه، 2/ 772.

زياد بن حـربٍ لـن أظنـك تـاركي   وذَا الضغن قد خَـشمتُه غيـر ظـالم

ومن هجاء يزيد بن مفرغ الحميري لبني زياد، وخص منهم عبـاد بـن زيـاد، فقال[1]:

أَلا لَيـتَ اللحـى كانَـتْ حشيـشاً   فَنَعلِفَهـا خُيـولَ المُـسلمينا

ومناسبة هذا الشعر أن الشاعر يزيد بن مفرغ كان مـع عبـاد بـن زيـاد بسجستان، فتأخر عنه، فأصاب الجند مع عباد ضيق في أعلاف دوابهم، وكان عباد بن زياد عظيم اللحية، فلما سمع عباد ما قاله ابن مفرغ، مضى في طلبـه، فهـرب منه، وهجاه قائلاً[2]:

إِذا أَودى معاويـةُ بـنُ حـربٍ   فبَـشر شَعْـب قَعبِـك[3] بانْصِـداعِ

فَأشْهـد أَنَّ أُمَّـك لـم تُباشِـر   أَبـا سُـفيان واضِعـةَ القِنَـاعِ[4]

ولكـن كـان أمـرٌ فيـه لَبسٌ   علـى وجـلٍ شـديدٍ وارتيـاعِ

وشكاه عباد إلى أخيه عبيد الله بن زياد فوقع بين يديه فأمر به فسقي دواء، ثم حمل على حمار عليه إكاف فجعل يطاف به، وهو يسلح في ثيابه، وبعدها دخل على معاوية فعفا عنه، وطلب له الأمان من عبيد الله بن زياد.

ومن مدائح الشعراء لزياد بن أبيه، مدح حارثة بن بدر الغداني، فقد ذكر زياد بأنه إمام عدل واستقامة وحزم، ويقيم حدود الله، ولا يدع أحـداً يتجاوزهـا، ولـو اضطره ذلك إلى امتشاق السيف، وهذا ما صورته خطبته البتراء في البصرة، يقول حارثة بن بدر الغداني [5]:

أَلا مَـن مبلـغٌ عنـي زيـاداً   فَـنِعم أَخُـو الخَليفـةِ والأَميرِ

1- الحميري، ديوانه، ص: 255، انظر: الصلابي، الدولة الأموية – عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار – دراسة شاملة، 1/ 273.

2- الحميري، ديوانه، ص: 156- 157.

3- القعب : القدح الضخم الغليظ، والمراد به سيضيع أمرك ويتشتت جمعك .

4- واضعة القناع : أي متبذلة متبسطة .

5- البلاذري، أنساب الأشراف، ق4، 217/1، انظر: عتيق، في الأدب الإسـلامي والأمـوي، ص: 124.

فأنـــتَ إمــام معدلــةٍ وقــصدٍ وحــزمٍ حِــين تَحــضرك الأمــور

أَخُــوك خليفــةُ ا ـ بــن حــربٍ وأنــتَ وزيــره نِعــم الْــوزير

بِـــأمر ا ـ منـــصورٌ معـــانٌ إذَا جــار الرعِيــةُ لَــا تَجــور

فَلمــا قــام ســيفُ ا ـ فــيهم زيــادٌ قــام أَبلَــج مــستنير

قــوي لَــا مــن الحــدثان غِــر ولَــا جــزعٌ ولَــا فَــانٍ كَبِيــر

ولما أطلق زياد بن أبيه الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري من الـسجن مدحـه بقصيدة جميلة تترقرق فيها دموع الفرح والعرفان، يقول[1]:

عـدس[2] مـا لِعبـادٍ عليـك إمـارةٌ نَجــوت وهــذا تَحمِلــين طَلِيــقُ

لِعمري لقَد نَجاك مِـن هـوةِ الـردى إمــامٌ وحبــلٌ لِلأنــامِ وثيــقُ

فَإن تَــطْرقي بـاب الإمـامِ فَـإنني لِكُــل كَــريم ماجِــدٍ لَطَــروقُ

سأشكُر ما أُوليتُ مِـن حـسن نَعمـةٍ ومِثْلِــي بِــشُكْرِ المنْعِمِــين حقِيــقُ

ومن مراثي الشعراء لزياد بن أبيه، قول حارثة بن بدر الغّداني[3]:

صلى الإلـه علـى قبـرٍ وطهـره عِنْد الثويةِ يـسفَى فَوقَـه المـور[4]

زفـتْ إليـهِ قُـريشٌ نَعـشَ سـيدها فَــثَم كُــل التقــى والبِــر مقْبــور

أبــا المغيــرة (والــدنيا مفْــجّعةٌ) وإن مــن غــرتِ الــدنيا لمغْــرور

قَد كَـان عِنْـدك بـالمعروفِ معرفـةٌ وكــان عِنْــدك لِلنَكْــراءِ تَنكِيــر

وكُنْتَ تُغْشَى وتُعطِي المالَ مِـن سـعةٍ إن كان بيـتُك أَضحى وهو مهجـور

ولَـا تَلـين إذَا عوسِـرتَ معـسِرةً وكُل أَمـرك مـا يوسِـرتَ ميـسور

فَالْحمــد زادك لَــم تَلحقْــك بلِيئَــةٌ وأَنتَ فـي صـالح الأقـوامِ مـذْكور

لَـو خُلـد الخيـر والإسـلام ذا قِـدمٍ إذاً لخلــدك الإســلام والخَيــر

لم يعرفِ الناس مـذ كُفنْـتَ سـيدهم ولَـم يحـل ظَلامـاً عنـدهم نـور

1- الحميري، ديوانه، ص: 170، 174-175 .

2- عدس: اسم للبغلة وزجر لها .

3- نقلا عن: الإسكندري، أحمد، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ص: 145 – 146.

4- الحميري، ديوانه، ص: 165.

الناس بعدك قد خَفّتْ حلومهم   كأنّما نَفَخَتْ فيها الأعاصير

ولما مات زياد بن أبيه رثاه الشاعر مسكين الدارمي، بقوله[1]:

رأيتُ زيادةَ الإسلامِ ولتْ   جهاراً حين ودعنَا زياد

2.4 ما وجه من شعر الشعراء - لعبيد الله بن زياد :-

ولى الخليفة معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – عبيد الله بن زياد إمرة البصرة سنة (55هـ)، وسار فيها على خطى والده، ولما كانت خلافة يزيد بن معاوية ولاه الكوفة، فجرت على يديه أحداث جسيمة، كمقتل الحسين بن علي – رضي الله عنه -، ومسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي، وصور شدة عبيد الله، وقسوته[2]:

إذَا كُنْتِ لا تدرين ما الموتُ فانظري   إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ

أصابهما أمر الأمير فاصبحا   أحاديثَ من يسعى بِكُل سبيلِ

ترى جسداً قد غير الموتُ لونَه   ونَضح دمٍ قد سالَ كُل مسِيل

ومن الهجاء ما قاله مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم، لعبيد الله بن زياد لما قتل الحسين بن علي واحتز رأسه[3]:

لعن الله حيثُ كان زياداً   وابنه والعجوز ذات البعول

ومن الهجاء والذم ما وجهه عبيد الله بن الحر لعبيد الله بن زياد بعد مقتل الحسين بن علي[4]:

يقُولُ أَمِيرٌ غَادِرٌ حق غادرٍ   ألا كُنتَ قاتلتَ الشهيد ابن فاطمة

1- الأصفهاني، الأغاني، 32/19، انظر: زكي، أحمد كمال، الحياة الأدبية في البصرة – إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار المعارف، مصر، د.ط،(د.ت)، ص: 273، انظر: بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 398.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 64/3، 69.

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 72/3.

4- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 71/3.

ويشن الشعر الشيعي هجوماً لاذعاً على عبيد ا بن زياد، وما ارتكبت يداه من المظالم، فلذا نجد الغاية القصوى عند أبي الأسود الدؤلي تكمن في زوال ملك بني زياد، ويهددهم بالثأر والانتقام والثورة؛ لأنهم خانوا العهد وغدروا، فهم عنده أشبه بقوم عاد وثمود التي أمر ا بإحراقها، وأضحت في طي الأمم الغابرة لفسقها وفجورها، يقول[1]:

أَقُولُ وذَاكَ مِنْ جَزَعٍ ووجْدٍ   أَزالَ ا مُلْكَ بَنِي زِيادِ
وَأبعدَهم، بِما غَدروا وخَانُوا   كَما بعُدتْ ثَمودُ وقَومُ عادِ
ولا رجعَتْ رِكَابهم إِليهم   إِذَا وقَفَتْ إِلى يومِ التنادِ

وفي أثناء حرب عبيد ا بن زياد مع الخوارج ومطاردته لهم، انهزم جيش ابن زياد بقرية من الأهواز، فأنشد الشاعر - عيسى بن فاتك الخطي - شعراً يتهكم فيه ويسخر من عبيد ا وجيشه، ويمدح ويمجد فرسان الخوارج، يقول[2]:

أَأَلْفَا مؤمِنٍ مِنْكُم زعمتُم   ويهزِمُكُم بآسكَ أَربعونَا؟
كَذَبتُم ليس ذَاكَ كما زعمتُم   ولكِنّ الخَوارجَ مؤْمِنونَا
همُ الفِئَةُ القليلةُ غيرَ شكٍّ   على الفئةِ الكثيرةِ ينْصرونَا
أطَعتُم أَمرَ جبّارٍ عنيدٍ   وما مِن طاعةٍ لِلظالِمينَا

ولما سمع بهذه الأبيات اغتاظ ابن زياد، فكان لا يدع بالبصرة أحداً ممن يتهم بفكر ورأي الخوارج إلا قتله.

وفي هروب عبيد ا بن زياد، وما تعرض له من نهب وسلب من قبيلة ربيعة، نجد الشاعر وافد بن خليفة المنقري يفخر متشفياً بما حل لعبيد ا بن زياد، يقول[3]:

1- الدؤلي، أبو الأسود، ديوانه، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1974م، ص: 153، انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 78/3.

2- عباس، إحسان، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982 م، ص:68-69.

3- نقلاً عن: زكي، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص: 274.

يـــا رب جبـــارٍ شـــديد كَلْبـــه قَـــد صـــار فينَـــا تَاجـــه وســـلَبه

مـــنهم عبيـــد ا ِ يـــوم نـــسلبه جيـــاده وبـــزه ونَنهبـــه

وتبقى مسألة إلحاق زياد بن أبيه بنسب معاوية، والبيـت الـسفياني أُحجيـة يرددها الشعراء، حيثُ يورد يزيد بن مفرغ في معرض هجائه لعبيد ا بن زياد هذه المسألة المخالفة لقول رسول ا – صلى ا عليه وسلم-: "الولد للفراش وللعـاهر الحجر"[1]، فالشاعر ابن مفرغ يعتبر نسب آل زياد وبهتان وادعاء، يقول[2]:

أَلَـا أَبلِـغْ عبيـد ا عنـي عبيـد اللـؤم عبـد بنـي عِلَـاجِ[3]

تَـدعّيتَ الخـضارم مـن قـريش فما في الـدين بعـدك مـن حِجـاجِ

وهكذا؛ فإن مسألة الإلحاق تعد قضية اجتماعية، تعني فـي حقيقتهـا ادعـاء اقتضاه دهاء معاوية، وارتضاه طموح زياد، فهجاه ابن مفرغ، إذ يقول[4]:

أَعبـاد مـا لِلـؤمِ عنْـك محـولٌ ولَا لَـك أُم فـي قُريـش ولَـا أَب

وقُـلْ لعبيـد ا : مالَـك والِـدٌ بحق ولَا يدري امـرؤٌ كيـفَ تُنْـسب

وأما عبد ا بن الزبير الأسدي فشاعر متلون، يميل حيثُ يرى مصلحته، إما تقية من بني أمية وولاتهم، أو خوفاً ورهبةً منهم، فلما ولي عبيد ا بن زياد البصرة والكوفة، وصله بمدحية، يقول فيها[5]:

ألا أبـلِغْ عبـيد ا ِ عنّـي فـإنني رميتُ ابن عـوذ إذْ بـدتْ لـي مقاتلُـه

وكـان يمـاري مـن يزيـدٍ بوقعـة فَمـا زالَ حتـى اسـتْدرجتْه حبائِلُـه

فَتُقْصيه من ميـراثِ حـربٍ ورهطِـهِ وآلَ إلـى مـا ورثتْـه أوائلُـه

وأصـبح لمـا أسـلمتْه جِبـالُهم ككلـبِ القطـارِ حـل عنْـه جلاجلُـه

1- العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج 13 / 8305.

2- الحميري، ديوانه، ص: 87.

3- بنو علاج: قوم الحارث بن كلدة الثقفي – طبيب العرب -، انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1962، ص: 268.

4- الحميري، ديوانه، ص: 58 – 59 .

5- الأصفهاني، الأغاني، 221/14.

فالشاعر فـي الأبيـات السابقـة يمـدح عبيـد الله بـن زيـاد ويـشيـد به، وفـي الوقت نفسـه يهجـو والي الكوفـة المعـزول عبـد الـرحمن بـن أم الحكم[1].

وفي أثناء حادثة مقتل الحسين بن علي – وقف الشعراء أمام هـذا الحـدث مواقف متباينة، فهذا كعب بن جابر، يقول:(مادحاً) لعبيد الله بن زياد[2]:

فَـأبلغْ عــبيد الله أمّــا لقيتــه	**بــأنني مطيــعٌ للخليفــةِ ســامِع**

وبعدها أعد المختار بن أبي عبيد الثقفي جيشاً كبيراً جعـل علـى قيادتـه إبراهيم الأشتر، وأرسله لقتال عبيد الله بن زياد، فالتقى به عند نهر الخازر بـالقرب من الموصل، فجرت بينهما المعركة الحاسمة إذ أسفرت عن مقتل عبيد الله بن زياد سنة (67هـ)، فاحتز رأسه، وبعث به إلى المختار الثقفي، فعبر الشاعر سراقة بـن مرداس الباهلي، مفتخراً بقاتل ابن زياد، ومتشفياً بمقتل عبيد الله بن زياد، يقول[3]:

أتـاكم غـلامٌ مِـن عـرانين مـذحجٍ	**جريٌ علـى الأعـداءِ غيـر نكُـولِ**
فيـا ابـن زيـادٍ بـوءْ بـأعظمِ مالـكٍ	**وذُقْ حد ماضي الـشفْرتين صـقيلُ**
ضـربناكَ بالقـضبِ الحـسامِ بحـدةٍ	**إذا مــا أبأنَــا قــاتِلاً بقتيــلِ**
جزى الله خَــيراً شُــرطَةَ الله إنهـم	**شفُوا مِن عبيـدِ الله أمـسِ غليلـي**

3.4 ما وجه من شعر الشعراء – للنعمان بن بشير الأنصاري:-

نظم الشاعر الأخطل التغلبي قصيدة هجا فيها الأنصار، نتيجة حزازات قديمة كانت بين الأنصار والسفانيين، بسبب وقوفهم أثناء حربهم في صف علي بـن أبـي طالب- رضي الله عنه -، ووقفوا في الإسلام بجانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم كانت قريش علـى الشرك، فقد شنّع الأخطل بالأنصار وتتبع سقطاتهم، وعيـرهم وحقـرهم لإقـامتهم

1- بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 332.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 340/1.

3- المصدر، السابق،7/ 146، انظر: الحوفي، أدب السياسة في العصر الأمـوي، ص: 240، انظر: القاضي، النعمان، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعادن، مـصر، ط1، 1970م، ص: 506.

بجانب عصابة اليهود، وذلك ليقلل من المكانة التي اكتسبوها بمناصرتهم للدين الجديد، ويمحو عن الأنصار كل أثر من آثار الفوارس والمحامد الخلقية، فكان هجاء الأخطل للأنصار مدفوعاً بفكرة سياسية خبيثة[1]، يقول[2]:

ذهبتْ قريشٌ بالمكارمِ والعلى	**واللؤم تحتَ عمائمِ الأنصارِ**
فَذَروا المكارم، لستُم من أهلِها	**وخذوا مساحتَكُم، بني النجّارِ**
إن القَوارس يعرفون ظُهورَكُم	**أولاد كُل مقَسح أكارِ**
وإذا نسبتَ ابن الفُريعةِ خِلْتَه	**كالجحش بين حِمارةٍ وحِمارِ**

يتسم رثاء الأهل والأقارب بصدق العاطفة وحرارتها، لأنه نابع من شعور عميق باللوعة والحزن، وإحساس صادق بفداحة المصابِ، فقد رثت الشاعرةُ حميدةُ بنت النعمان ابن بشير والدها لما قتل بعد معركة مرج راهط، وقد صاغت رثاءها لأبيها في مقطوعةٍ تظهر فيها فرط حزنها وانكسارها عليه، فهي ستبكيه مدة حياتها، وتخلط رثاءها له بالدعاء على قاتليه بالهلاك، وفي الوقت نفسه تهاجم بني أمية، وتتمنى أن تدور الدائرة عليهم، لأن والدها من رجالات العصر[3]، تقول[4]:

ليتَ ابن مزنَةَ وابنَه	**كانَا لحتْفِك واقيه**
وبنو أُمية كلّهم	**لم تبقَ منهم باقيه**
جاء البريد برأسِه	**يا للحلُومِ الغاويه**
يستفتحون بقتلِه	**دارتْ عليهم ثانيه**
فلأبكين مسرةً	**ولأبكين علانيه**
ولأبكيَنّك ما حيِيتُ	**مع الكِلابِ العاويه**

1- الجبيلي، البيت السفياني في الشعر الأموي، ص: 232 – 233.

2- الأخطل، شعره، 483/2.

3- الفايز، شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي، ص: 165.

4- ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، 308/7 – 309.

اتصل الشاعرأعشى همدان بالنعمان بن بشير الأنصاري، أثناء وجوده فـي الشام والنعمان عاملٌ على حمص،فشكا أعشى همدان إليه حاله،فجمع له النعمان مالاً وفيراً، وأكرمه فمدحه،قائلاً[1]:

ولم أر للحاجاتِ عِنْدَ الـتماسها كنُعمان، نُعمان الندى ابن بـشيرِ

ولولا أخو الأنصار كُنتُ كنازلٍ ثوى ما ثـوى لم يـنقاب بنقيرِ [2]

4.4 ما وجه من شعر الشعراء – لعبد العزيز بن مروان بن الحكم :-

ولي عبد العزيز بن مروان مصر والمغرب في سنة (64هـ)، وبقي واليـاً على إفريقية عشرين سنة، وكان يقيم بالفسطاط حيثُ بنى بها "الدار المذهبة"، التـي تتجاوز حدود الوصف لجمالها، وفي سنة (70هـ) وقع بمصر طاعون، فخرج عبد العزيز منها هارباً إلى حلوان، تلك المدينة التي اختطها، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره[3]، فمدحه أحد الشعراء، بقوله[4]:

كُــل يــومٍ كأنَّــه عِيــدُ أَضــحى عِنْدَ عبـدِ العَزيـزِ، أَو يـوم فطـرِ

ولَـــه أَلْـــفُ جفْنـــةٍ مترعـــاتٍ كُــل يــومٍ، يمــــدها ألــفُ قِــدرِ

بنى عبد العزيز بحلوان لما أقام بها دوراً وقصوراً وبساتين، وحين التجأ إليه عبيد ا بن قيس الرقيات بعد مقتل ابن الزبير[5]، وصفها مادحاً، فمن قوله[6]:

1- همدان، أعشى، (ت 83هـ)، ديوانه وأخباره، تحقيق حسن عيسى أبو ياسين، دار العلـوم، الرياض،ط1، 1983 م، ص: 126 .

2- بنقير : النكتة في ظهر النواة .

3- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويـت، ط1، 1964م، 130/1 – 131، انظـر: الحنبلي، ابن العماد، (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسـي، مصر، ط1، 1350هـ، 95/1.

4- الأصفهاني، الأغاني،144/1.

5- الكندي، كتاب: الولاة والقضاة، ص: 40.

6- الرقيات، عبيد ا بن قيس، (ت75هـ)، ديوانه، تحقيق: محمد يوسف نجـم، دار بيـروت، دار صادر، بيروت، ط1، 1958م، ص: 13.

ســقْيا لحلـوان ذي الكـرومِ ومـا صـنفَ مِـن تينـهِ ومِـن عِنَبِـه

نخـلٌ مـواقيرٌ بالفـاءِ مـن البـر نـي يهتـز ثُـم فـي سِـربه

أسـود سـكانه الْحمـام فمـا ينفـك غربانـه علـى رطبـه

وقال ابن الرقيات في مدح عبد العزيز بن مروان لما خرج إلى الإسكندرية[1]:

غَـدوا مِـن مـدرج الكريـو ن حيـث سفينهم حـزقُ

فلمـا أن علـون النّيـلَ والرايـاتِ تختَفِـقُ

رأيـتُ الْجـوهر الحكمـي والـديباج يـأتَلِقُ

ومن الشعراء الذين وفدوا على عبد العزيز بن مروان جميل بن معمر، قـال في مدحته[2]:

أبـا مـروان، أَنْـتَ فتـى قـريش وكَهلُهـم، إِذَا عـد الكهـولُ

وأشار أيضاً الشاعر كُثير عزة إلى كرم عبد العزيز وعطاياه، فقال مادحاً[3]:

فبورك ما أعطى ابـن ليلـى[4] بنيـةٍ وصامِتُ[5] ما أعطى ابن ليلى وناطِقُه

ووصف كرمه وشمائله الشاعر عمران بن عصام، وقيل أن الأبيات التالية لنـصيب بن رباح بروايتين[6]:

لِعبـدِ العزيـز علـى قومِـهِ وغَيـرهم مِـنَنٌ غـامِره

فَبابـك ألْيـن أبـوابهم ودارك آهلَـةٌ عـامِره

1- الرقيات، ديوانه، ص: 339، انظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص: 40 – 42.

2- جميل، بثينة، (ت82هـ)، ديوانه، تحقيق: بطرس البستاني، مكتبة: دار صـادر، بيـروت، ط1، 1953م، ص: 16.

3- ابن قتيبة، الشعر والشعراء،79/1، 417 – 418.

4- ابن ليلى: أم عبد العزيز – ليلى بنت زيان بن الأصبغ الكلبية، وكان عبد العزيز يقـول: "لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها"، فلذا ذكرها الـشعراء باسـمها فـي أشعارهم؛ انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 423/1.

5- الصامت: الذهب والفضة.

6- الأصفهاني، الأغاني،133/1، انظر: الجاحظ، كتاب: الحيوان،382/1.

وكفّـك حِـين تَـرى الـسائلين ... فأنـدى مِـن الليلـةِ الْمـاطِره

ومن مدائح عبيد ا بن قيس الرقيات في عبد العزيز بن مروان – قصيدته الميمية – حيثُ تدور معاني المدح والثناء فيها على المتعارف بين الشعراء في ذلك العصر من صفات الكرم والفضل في الفرع والأصل، يقول[1]:

طرقتـه أسـماء أم حلمـا ... أم لـم تكـن مـن رحالنـا أمما

أعني ابن ليلـى عبـد العزيـز ببـا ... بليـون[2] تغـدو جفانـه رذما

يلتـفُ النـاس حـولَ مِنْبـره ... إذا عمـود البريـة انهـدما

ينتهـب الحمـد بالـدين كمـا ... ناهـب فُرسـان غـارةٍ لُعما

أعـز أشْـياخِهِ القُـصاةُ، بنُـو ... أميـة، المرغَمـون مـن رغِمـا

أشْياخُ صِـدقٍ نمـو بمعـتلج الـ ... بطحـاءِ كـانُوا لقـومهم عِـصما

اختـرتُ عبـد العزيـز مرتَغِبـا ... وا ِ للمـرءِ خيـر مـن قـسما

مِـن البهاليـل[3] مِـن أُميـة، يـز ... داد إذَا مـا مدحتـه كرمـا

وقال الشاعر أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي يمدح عبد العزيز بن مروان[4]:

لـا يرهـب النـاس أن يعـدِلوا ... بعبـد العزيـز بـن ليلـى أميـرا

تَـرى قـدره معلنًـا بالفنـاءِ ... يلقـم بعـد الجـزور الجـزورا

كان عبد العزيز بن مروان مكرماً ممدحاً عند الشعراء الوافدين إلى مصر، ولما مات سنة (84هـ/ 85هـ) رثاه الشعراء بجميل شعرهم، قال ذو الشامة، محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يرثي عبد العزيز وابنه الأصبغ[5]:

تقـول غـداة قطعنـا الجفـا ... ر والعـين بالـدمع مغروقـه

مقـال امـرئ كـاره للفـرا ... ق تـاع الـبلاد وبـاع الرقـه

1- الرقيات، ديوانه، ص: 255.

2- ببابليون: حصن بناه الفرس، جنوب الفسطاط.

3- البهاليل: جمع (بهلول)، وهو السيد الجامع لكل خير.

4- الكندي، كتاب: الولاة والقضاة، ص: 41.

5- الكندي، كتاب: الولاة والقضاة، ص: 44.

وفـــارقَ إخوانـــه كارهـــاً وأهـل الـصفا وأهـل التقـه

أبعـد الخليفـة عبـد العزيـز وبعـد الأميـر كـذا وابقـه

فما مصر لـي بعـد عبـد العزيـز والأصـبغ الخيـر بالمؤنقـه

وقال الشاعر سليمان بن أبان بن أبـي حـدير الأنـصاري يرثـي عبـد العزيـز والأصبغ[1]:

أبعـدك يـا عبـد العزيـز لحـادث وبعـد أبـي زبـان ينـشعب الـدهر

ولا زالَ مجراه مـن الأرض يابـساً يموتُ به العصفور والجـذب القطـر

فمن ذَا الذي بنى المكـارم والعلـى ومن ذَا الّذي يهدى له بعـدك الـسّفر

فكنتَ حليفَ العرفِ والخير والنـدى فَمـتْنَ جميعـا حِـين غَيبـك القبـر

فبعـدك لا يرجـى ولـيدٌ لنفعهِ وبعدك لا يرجى عـوانٌ ولا بكْـر

ومن مراثي الشعراء فيه ما قاله الشاعر نصيب بن رباح[2]:

بكيتُ ابـن ليلـى وابنـه ورأيتنـي أحـق الألـى أمـسوا نعـى بكاهمـا

همـا أخـواي الـصالحان نواليـا بحمـدٍ فهـذا الفـراق إخاهمـا

5.4 ما وجه من شعر الشعراء إلى الوالي – بشر بن مروان :-

كان بشر بن مروان أديباً ظريفاً، يحب الشعر والسمر والسماع والمعـاقرة، وفد إليه الشعراء فمدحوه بجميل أشعارهم[3]، فهذا عبد ا بـن الزبيـر الأسـدي، وصفه بأنه غياث ضعاف المرملين وعصمة اليتـامى، وهـو الـشجاع المعطـاء، يقول[4]:

تداركني بشر بـن مـروان بعـدما تعاوتْ إلى شأوي الـذئاب العواسِـلُ

1- الكندي، كتاب: الولاة والقضاة، ص: 44.

2- الكندي، كتاب: الولاة والقضاة، ص: 45.

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 117/3.

4- الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الكتب، 1976م، 253/14.

غياثُ ضعاف المرملين وعصمة الـ يتامى ومـن تأوي إليـهِ العباهِـلُ[1]
يداك ابن مـروان يـدٌ تقتـل العـدا وفي يـديك الأخـرى غيـاث ونائـلُ
إذا أمطرتنـا منـك يومـاً سـحابةٌ روينـا وجـادتْ علينـا الأنامـلُ

أما المدح التكسبي المبني على النفاق، فظهر في مدحيةِ عبد ا بن الزبيـر الأسدي لبشر بن مروان، بعد أن بره وأجازه، فوصف كيف برئ مما يعانيه إذ داواه معروفه، فصحت له من الشاعر النصيحة والشكر؛ فبشر هو البحر وليس البحر مـا نعرف، فمن ذلك قوله[2]:

ألَـم تَرنـي والحمـد ِ أنني برئـتُ وداوانـي بمعروفـهِ بِـشْر
دعى ما دعى مـروان منـي قبلـه فَصَحتْ له منـي النـصيحةُ والـشكْر
فَلَـيس البحـور بـالّتي تخبروننـي ولكن أَبو مروان بِـشْرٌ هـو البحـر

6.4 ما وجه من شعر الشعراء - للحجاج بن يوسف الثقفي-:

بدأت ولاية الحجاج على الحجاز واليمن واليمامة منذ مقتل عبد ا بن الزبير في سنة (73هـ/692م)، وانتهت في سنة (75هـ/694م)، وبعدها جعله الخليفـة عبد الملك بن مروان والياً على العراق بعد وفاةِ أخيه بشر بن مروان في أوائل سنة (75هـ/694م)[3].

أخذ الخليفة عبد الملك يفكر في اختيار والٍ للعراق يتصف بالـشدة والحـزم وحسن التدبير، حتى يستطيع إقرار الأمن والنظام في العراق، والقضاء على خطـر الخوارج وتوجيه الجيوش للفتوح، فخطب في أهل المصرين فتوعدهم وهددهم وشدد عليهم، وأمرهم بالخروج ليشدوا أزر قائده المهلب بن أبي صفرة في قتاله للأزارقة الخوارج، وتذكر المصادر أن شريك بن عمرو اليشكري أحد العرفاء المرضى جاء

1- العباهل: الذين أقروا على ملكهم لا يزاولون عنه.
2- الأصفهاني، الأغاني، 247/14.
3- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 113/12.

للحجاج معتذراً عن الخروج، فأبى الحجاج عذره، وأمر بضرب عنقه، وفي ذلك قال أحد الشعراء[1]:

لقد ضرب الحجّـاج بالمـصر ضـربةً تقرقر[2] منهـا بطـن كـل عريـف

على الرغم من أن شهرة الحجاج بن يوسف الثقفي الـسياسية فـي التـاريخ الأموي تقوم على اعتباره أبرز ولاة بني أمية، فإنه تمتع بالإضـافة إلـى حنكتـه السياسية بملكة أدبية جعلته في مقدمة أدباء ذلك العصر وخطبائه[3].

وهناك عوامل عديدة ساعدت في تكوينه الأدبي والفكري منهـا نـشأته فـي الطائف التي تميزت بالفصاحة، واشتغاله في تعليم العربية والقرآن الكريم، وإقبالـه على القراءة والثقافة، واجتماعه بالفقهاء والأدباءِ والشعراءِ.

اهتمّ الحجاج منذ قدم العراق اهتماماً خاصاً بتقريب الشعراء منه، واصطناع الفحول منهم، لتأييد سلطانهم والإشادة بأعمالهم، وتسفيه آراء خصومهم.

فلا غرو، أن الحجاج والخلفاء كـانوا يـدنون الـشعراء، ويجزلـون لهـم الأعطياتِ، كما لا نُدهش إذا وجدنا الحجاج وبني أمية وعمـالهم يهـدرون دمـاء الشعراء المعارضين الذين يشهرون بهم عن طريق القصائد المقذعة بالهجاء، ومـع ذلك نجد الحجاج يتذوق الشعر الجيد ويطرب له، ويهتم لسماعهِ وينقده، ويبـدو أن الحجاج كان يحب مداعبةَ الشعراء وإثارتهم للترويح عن نفسه من عناء العمل. فلذا؛ يعد الشاعر جرير بن عطية الخطفي (ت110هـ) مـن أشـهر شـعراء الحجـاج ومداحه، إذ أوفده على الخليفة عبد الملك، ونالَ عطاياه[4].

ومدح جرير الحجاج في كثير من قصائده، وقد ركز في مدحه للحجاج على الإشادة بسياسته وحزمِه وطاعته للخليفة، وشدته علـى أعـداء الدولـة والثـائرين والمشاغبين، وانتصاره عليهم في الوقائع الداخلية، وأشاد أيضاً بحروبـه وفتوحاتـه

1- البلاذري، أنساب الأشراف،7 /5، انظر: العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياتـه وآراؤه السياسية -، ص:202.

2- تقرقر البطن: سمع لها صوت من شدة الخوف.

3- العمد، الحجاج بن يوسف الثقفي – حياته وآراؤه السياسية-، ص: 489.

4- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص: 111.

وأعماله الخارجية، وأنّه مؤيد بالنصر من ا ـِ، كما امتدح نهج الحجاج الواضح فـي السياسة والإدارة للحفاظ على الأمن والأمان، قال جرير[(1)]:

صبرت النفس يـا ابـن أبـي عقيـل محافظــة فكيــفَ تــرى الثوابــا
ولـو لـم يـرض ربـك لـم ينـزلْ مــع النــصر الملائكــة الْغِــضابا
إِذَا ســعّر الخليفــةُ نَــار حــربٍ رأى الحجــاج أثقبهــا شِــهابا
تــرى نَــصر الإمــام عليــك حقًّــا إِذا لبــسوا بِــدينهم ارتيابــا
تَــشُد قَلَــا تكــذب يــوم زحــفٍ إِذَا الْغَمــراتُ زعزعــتِ الْعِقابــا
عقَاريــتُ الْعِــراق شــفيت مــنهم فأمــسوا خَاضِــعين لــك الرقابــا

ومدائح جرير للحجاج تمثل صورة واضحة للحجاج في حزمه ورهبته، فكأنه رجل الدولة الأوحد، يقول[(2)]:

مــن ســد مطلعــة النفــاق علــيكم أَم مـَن يـصولُ كَـصولةِ الحجـاجِ
أَم من يغَـار علـى النـساءِ حفيظـة إِذْ لا يــثقن بغيــرةِ الْــأَزواجِ
إِنّ ابــن يوســفَ فــاعلموا وتيقنــوا ماضي الْبـصيرةِ واضـحِ المنهـاجِ
قاض علـى الْغَمـراتِ يمـضي همـه والليــلُ مختلــفِ الطرائــق داجِ
منَـع الرشَـا وأراكـم سـبلَ الهـدى واللــص نكالــه عــن الْإِدلَــاجِ[(3)]

وقد لخّص جرير مذهب الحجاج حين قال في مدحه[(4)]:

تــرى نــصر الإسـلامِ عليـك حقّـا إذا لبــسوا بـــدينهم ارتيابـــا

وهكذا تجردت كل القضايا السياسية واستحالات تبعاً لـذلك قـضايا دينيـةً، فمعارضة أهل العراق لبني أمية تظهر في شعر جرير معارضة للعقيدة كما في قوله للحجاج[(5)]:

1- الخطفي، ديوانه، ص: 21.
2- الخطفي، ديوانه، ص: 74.
3-الإدلاج: السير ليلاً.
4- الخطفي، ديوانه، ص: 21.
5- الخطفي، ديوانه، ص: 355.

قـدمتَ علـى أهـل العـراق ومـنهم مخـالف ديـن المـسلمين وخـاذلُ

فكنـت لمـن لا يبـرئ الـدين قبـل شِـفاء وخـفّ المـدهن المتثاقـل

ويطاب جرير الذي كان على صلة وثيقة بالحجاج في الـضرب علـى هـذا الوتر، يقول(1):

وإذا رأيـــت منـــافقين تخيـــروا سبل الـضجاج أقمـت كـل ضجاج

داويـــتهم وشـــفيتهم مـــن فتنـــةٍ غبـــراء ذات دوافـــن وأجـــاج

وكذلك صور جرير الثائرين على الحجاج "بالشياطين" و"العفاريت" كما فـي بيتـه الموجه للحجاج، يقول(2):

عفاريـــت العـــراق شـــفيت مـــنهم فأمـــسوا خاضـــعين لـــك الرقابـــا

وفي تصوير شدة الحجاج ورهبته لإسكات معارضيه، يقول(3):

إذا ســـعر الخليفـــة نـــار حـــرب رأى الحجـــاج أثقبهـــا شـــهابا

ونجده داعية مفوضاً بنصح الناس والتزام الطاعة والحذر من العصيان، يقول(4):

إن ابـن يوسـف فـاعلموا وتيقنـوا ماضي البـصيرة واضـح المنهـاج

ويصور بطشه بالخارجين عليه، فيقول(5):

دعـا أهـل العـراق دعـاء هـود وقـد ظلـوا ضـلالةَ قـوم هـودٍ

ولا يفتأ جرير يجري المقارنة بين واقعة بدر التي تنزلت فيها الملائكة عونـاً للمسلمين، وبين وقائع الحجاج بأعدائه، يقول(6):

ولـو لـم يـرض ربـك لـم ينـزل مـع النـصر الملائكـة الفـضايا

ويضعه جرير كذلك في مصاف الأنبياء، يقول(7):

1- الخطفي، ديوانه، ص: 74، 96، 316.

2- المصدر، السابق،، ص: 21.

3-المصدر، السابق، ص: 21 – 22.

4- الخطفي، ديوانه،ص: 74.

5- المصدر، السابق، ص: 95، 315، 353.

6-المصدر، السابق، ص: 51.

7- الخطفي، جريديوانه، ص: 51، 95.

دعـا الحجـاج مثــل دعـاء نـوح فأســمع ذا المعــارج فاســتجابا

لقد بين جرير الدرس الذي لابد أن يعيه الناس في إظهار الطاعـة والـولاء لحكامهم، والانصياع لأوامرهم، وأما إذا حادوا عـن حكـامهم سـيواجهون مغبـة عصيانهم حسرات في الدنيا والآخرة،يقول[1] :

لقد جهد الحجاج في الـدين واجتبـى جباً لم تَقُلْه فـي الحيـاض الفوائـلُ

أطيعـوا فـلا الحجـاج مبـق علـيكم ولا جبرائيـل ذو الجنـاحين غافـلُ

وحتى جرير الذي توثقت العلاقة بينه وبين الحجاج، وكان كثيراً ما فخر بمركزه القوي في دوائر الحاكمين، بل يعد شاعرهم المدلل، يقول[2]:

أصـبحتُ عنـد ولاةِ الأمـر أثبـتهم فلجـاً وأبعـدهم غلـوا إذا نزعـوا

ومع قربه من صناع القرار الأموي، إلا أنه لم يجد مناصاً من تصوير خوفه وخوف غيره من صولة الحجاج، فيقول يمدح الحجاج[3]:

ومـن يـأمن الحجـاج؟ أمـا عقابـه فمــر وأمــا عقــده فوثيــقُ

وما ذقـتُ طَعـم النـوم إلا مفْزعـاً وما ساغَ لي بـين الحيـازم ريـقُ

إن قدراً كبيراً من الشعر الذي قيل في أيام الحجاج في تصوير خوف النـاس منه لم يكن استجابةً طبيعةً لمواقف حقيقية – وإن وجدت أحياناً – بقـدر مـا كـان الخوف جزءاً من سياسة إرهاب منظمة وضعها الحجاج، وسار بها ليضمن التدابير السياسية والإدارية والأمنية التي يسعى بها لإخمادِ صوت المعارضة، وكان الحجاج يعجب لسماع الشعر الذي يصور سياسته القاسية مع المعارضة[4]، فجريـر صـور ذلك، بقوله[5]:

1- الخطفي، ديوانه، ص: 356، انظر: قاسم، عون الشريف، شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع-، دار الجيل، بيروت، دار المأمون المحمودة، الخرطوم، ط 2، 1991م، ص: 164 .

2- الخطفي، ديوانه، ص: 277.

3- الخطفي، ديوانه، ص: 615.

4- قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي – دراسة في السياسة والاجتماع-، ص: 185.

5- جرير، ديوانه، ص: 353.

وخَافُوك حتـى القـوم تنـزو قلـوبهم ... بِـزاء الْقَطـا التفـتْ عليـهِ الحبائـلُ

اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج، فقال: "من مدحني منكما بشعر يـوجز فيه ويحسن صفتي، فهذه الْخُلْعة له[1]، فقال جرير[2]:

يـسر لـك البغـضاء كُـل منـافِق ... كما كـل ذي ديـنٍ عليـك شـفيقُ

أما الفرزدق، فقال[3]:

فَمن يأمن الحجـاج – والطيـر تتقـي ... عقوبتـه – إلـا ضـعاف العـزائمِ

فقال الحجاج للفرزدق: "ما علمت شيئًا؛ إن الطير تتقي الـصبي والخـشبة، ودفع الخلعة إلى جرير"[4].

لقد استخدم الشعراء صفات متواترة في معرض حديثهم عـن المجموعـات المعارضة، وبطريقة منظمة وممنهجةٍ يروجون لها في أشعارهم لكسب ود وعطـاء ممدوحيهم، فيلجأون إلى دفع الجماعة المعارضة بتوجيه اتهام وشبهة بالخروج عـن دائرة الإسلام، كما في وصف أتباع الحركة الزبيرية بالملحدين، وعلى معارضـي الحجاج "بالمنافقين"[5]، يقول الفرزدق[6]:

إذا حـارب الحجـاج أي منـافق ... علـاه بِـسيفٍ كُلمـا هـز يقطـع

وفي تصوير الشدة والحزم لدى الحجاج، حتى أنه خوف إبليس والـشياطين، وقصد الفرزدق مبالغة المعارضة، يقول[7]:

لقَـد ضـرب الحجـاج ضـربةَ حـازمٍ ... كبا جنـد إبلـيس لهـا وتضعـضعوا

وخَـرتْ شَـياطِين الـبلادِ كأنّهـا ... مخافة أُخـرى فـي الأزمـة خُـضع

1-العسكري، كتاب: الصناعتين – الكتابة والشعر، ص: 117.

2- الخطفي، ديوانه، ص: 316 .

3- الفرزدق، ديوانه، 312/2.

4- العسكري، كتاب: الصناعتين – الكتابة والشعر، ص: 117، انظر: خفاجي، الحياة الأدبيـة بعد ظهور الإسلام، ص: 540.

5- قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي – دراسة في السياسة والاجتماع-، ص: 162.

6- الفرزدق، ديوانه، 417/1.

7- الفرزدق، ديوانه، ص: 417/1.

ويشير الفرزدق في معرض حديثه عن الثائرين،وكثرة الثورات والفتن التـي أخمدها الحجاج، ويذكر فيها الخليفة عبد الملك بن مروان لما مدحه، فنجـده كـذلك ينعتُ الحجاج ويمدحه، بقوله(1):

مجاهِـدٌ لعـداة ا ـِ محتَسب جهـادهم بـضراب غيـر تـذبيبِ

وفي قصيدةٍ أُخرى، يغمره الفرزدق بصفات التقوى والصلاح التـي تناسـب الفهم الديني عند الحجاج، يقول(2):

ولم أرَ كالحجـاجِ عونًـا علـى التُّقـى ولـا طالِبـا يومـا طريـدة تابـلِ

وزاد الفرزدق على ذلك بأن وضع الحجاج في مصاف أصحاب الكرامـات من الأنبياء والرسل، إذ أمدوه في أشعارهم بالعون الإلهي، يقول(3):

تفـرد بـالبلاءِ عليـك رب إِذَا نـَاداه مختـشِعٌ أَجابـا

وفي أبيات الفرزدق التالية يظهر لنا تدخل الشعراء ومطالبتهم الحجاج بإنزال العقاب بالعصاة والثائرين، يقول(4):

فَلَا قـومٌ شَـر مـنهم غيـر أَنهـم تظـنهم أمثـال تُـركٍ وكابـلِ

وفي شعر الشعراء إشارات إلى ما كان يقوم به الحجاج من إرهاب لإخضاع الشعراء، رهبةً أو رغبةً، فهذا الفرزدق يخاطب الحجاج، بقوله(5):

لقَـد أَصـبحتُ مِنْـك علـى فَـضلٍ كفَـضل الْغَيـثِ ينفـع مـن أَصـابا

فعفوك يا ابـن يوسـفَ خيـر عفْـوٍ وأنـتَ أَشـد منْـتَقمٍ عِقَابـا

وفي المسار نفسه من الرهبة والخوف الـذي يثيـره الحجـاج فـي قلـوب معارضيه، يقول الفرزدق(6):

إِذَا ما بدا الحجـاج للنّـاس أَطرقُـوا واسكَتَ مِنهم كُل مـن كـان ينْطُـقُ

1- الفرزدق، ديوانه، 24/1.

2- المصدر السابق،137/2 .

3- المصدر السابق، 81/1 .

4- الفرزدق، ديوانه، 137/2 .

5- الفرزدق، ديوانه، 83/1 .

6- الفرزدق، ديوانه، 53/2، 137 .

وطارتْ قلوب الناس شـرقاً ومغربـاً   فَما الناس إلـا مهجِـسٌ أو ملقْلـقُ

والخوف من الحجاج صوره الفرزدق في تحذير زوجه له، يقول[1]:

تقولُ وعيناهـا تفيـضان هـلْ تـرى   مكانـك ممـن لـا أراك تُخَاصِـمه

تَـنَح عـن الحجـاج إنّ زحامـه   شَدِيدٌ إذَا أغضى على مـن يزاحِمـه

وقد بلغ خوف الفرزدق من الحجاج درجة دفعته للبوح به للخليفة الوليد بـن عبدالملك، يقول[2]:

وقَد خِفْتُ حتَى لو رأى الموتَ مقْبلاً   ليأخـذني والمـوتُ يكْـره زائـره

أَخَافُ مِن الحجاجِ سـورة مخَـدرٍ   ضـوارب بالأعنـاق مِنْـه خـوادره

ويبدو أن الفساد قد استشرى بحيثُ كان القائمون على آبار الشرب يأخـذون أتاوةً على وارديها، دون وجه حق، ويذكر ذلك، بقوله الموجه للحجاج[3]:

إذَا ما وردتَ الماء فـاداف لِحنبـلٍ   بقَـصبِ سـويقٍ أو بقَـضبِ طحـين

ولو علم الحجاج علمـك لـم تَبـع   يمينُـك مـاء سـلما بثَمـين

وعن استغلال الرشوة وما نجم عن ذلك من الضرر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأمني العائد على ضعاف الناس ظلماً، يقول الفرزدق منوهاً الحجاج في ذلك[4]:

وكُنا بأرضٍ يا ابن يوسـفَ لـم يكـن   يبالي بِها مـا يرتـشي كُـل عامـل

وما تبتغى الحاجـاتُ عنـدك بِالرشـى   ولا تقتضي إلا بِمـا فـي الرّسـائِل

إن مدائح الشعراء في الحجاج كانت دوافعها ذاتية للشهرة والـصيت، وفـي جانبها الآخر لنيل العطايا والهبات، وفي جانبها الأخير الخوف منه، ولم يكـن مـن اليسير الفرار من غضب الحجاج، وإن حالت بينه وبين الهاربين متاهات الصحراء، فقصة الشاعر العديل بن الفرخ خير شاهدٍ على ذلك، فقد فر إلى قيصر الروم إمـا

1- الفرزدق، ديوانه، 53/2، 137 .

2- المصدر، السابق، 251/1 .

3-المصدر، السابق، 343/2 .

4-الفرزدق، ديوانه، 137/2.

لارتكابه جريمة قتل، أو لأنه هجا الحجاج، وحرض عليه أهل العراق، وسعى إلـى استغلال ما كان بينه وبين يزيد بن المهلب من تنافس، يقول[1]:

لـئن أُرتـج الحجـاج بالبخـل بابـه   فباب الفتـى الأزدي بـالعرف يفـتح

ولـيس كعلـج مـن ثمـود بكفـه   من الجود والمعـروف حـزمٌ مطـرح

واطمأن العديل بعض الوقت في جوار قيصر وعبر عن مشاعره في قوله[2]:

ودون يـدِ الحجـاجِ مـن أن تنـالني   بـساطٌ لأيـدي الـيعملاتِ عـريض

مهامـهُ أشْـباهٌ كـأن سـرابها   مـلاءٌ بأيـدي الغاسِـلاتِ رحِـيض

ولكن يد الحجاج وصلت العديل بن الفرخ وبعث به قيصر، وأسـقط فـي يـد الحجاج، وملأ الرعب قلبه، فقال[3]:

ها أنَـا ذا ضـاقَتْ بـي الأرض كُلهـا   إليـك وقـد جولـتُ كُـل مكـان

فلو كُنْتُ في ثهلـان أو شـعبتي أجـا   لخِلتُـك إلّـا أن تَـصد تَرانـي

واستنجد العديل بن الفرخ بقومه، فاتصلوا بالحجاج وعرضـوا عليـه أمـر العديل، وطلبوا منه العفو عنه، فقال لهم الحجاج: هاتوه قبحه ا ، فأتوا به فلما مثُلَ بين يدي الحجاج، وكانت مرحلة التحول، وتحكم السلطان في ألسنة الشعراء، فقـال العديل مادحاً[4]:

فلو كُنتُ فـي سـلمى أجـا وشـعابها   لكـان لحجـاجٍ علـي دليـلُ

بنَـى قُبـةَ الإسـلام حتّـى كأنّمـا   هدى الناس من بعدِ الـضلال رسـولُ

فلما سمع الحجاج مدح العديل له بعد خوف ومعاناة ومطاردة نفسية، وشفاعة قومه عنده، عفا عنه[5].

1- الأصفهاني، الأغاني، طبعة بولاق، 13/20.

2- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 147/21.

3- الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: 376، انظر: الأصفهاني، الأغـاني، 13/20، 18.

4- الأصفهاني، الأغاني،14/20، انظر: قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي، - دراسة في السياسة والاجتماع -، ص: 182.

5- قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي، - دراسة في السياسة والاجتماع - ص: 182.

ومن شعراء بني أمية الذين مدحوا الحجاج في معرض مدحهم للخليفة عبد الملك بن مروان، ويعرض بابن الزبير، الشاعر عبد ا بن الزبير الأسدي، فقال[1]:

يكفي غُلامٍ من ثقيفٍ نَمتْهِ   قُريشٌ، وذُو المجدِ التّليدِ معتب

فقال له عبد الملك لا تقل عن الحجاج (غلام) ولكن (همام)، وأمر له بثلاثين ألف درهم[2]،وهذا الشاعر أعشى همدان يهجو الحجاج بعد خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث ويحرض الناس عليه، يقول[3]:

نُبئتُ حجاج ابن يوسفَ   خر من زلق فتبا

فلما انتهت ثورة ابن الأشعث أتوا بأعشى همدان إلى الحجاج، فذكّره بهجائه له، وخاطبه بعدو ا ، وقال له: الذي خر من زلقٍ فتب وانكب وما لقي ما أحب هو عبد الرحمن بن الأشعث، فقال الأعشى مادحاً الحجاج خوفاً ورهبة :[4]

أبى ا ُ إلا أن يتمّم نوره   ويطفئ نار الفاسقين فتُخمدا

وينْزلَ ذُلاً بالعراق وأهلهِ   كما نقضوا العهد الوثيقَ المؤكدا

وفدت الشاعرة ليلى الأخيلية ابنة عبد ا بن الرحال (ت80هـ) على الحجاج، تشكو له ما حل بها وبقومها من شظف العيش والبؤس، وبعد حديث معها أنشدته قصيدة مدحية، حيثُ كان الحجاج معجباً بقريحة ليلى الأخيلية، فقالت[5]:

أحجاج لا تُعطِ العصاةَ منَاهم   ولا ا ُ يعطي للعصاةِ مناها

إذا هبطَ الحجاج أرضا مريضةً   تتبع أقْصى دائِها فَشَفَاها

فما ولد الأبكار والعون مثلهُ   ببحرٍ ولا أرضٍ يجف ثَراها

1- الأصفهاني، الأغاني، 217/14، انظر: الجومرد، الحجاج، رجل الدولة المفترى عليه، ص:201.

2- الجومرد، الحجاج، رجل الدولة المفترى عليه، ص:201.

3- همدان، أعشى، ديوانه وأخباره، ص: 74.

4- المصدر، السابق، ص: 101.

5-القالي، ذيل الأمالي والنوادر،85/1، انظر: الجومرد، الحجاج – رجل الدولة المفترى عليه، ص: 200 – 201 .

ونقد الحجاج شعرها في حضرتها، وقال لها: "لا تقولي غلام، بل قـولي: همام"، ولما أُعجب الحجاج بشعرها أعطاها ما خفف عنها وعـن قومهـا، وأكـرم وفادتها عليه، ثم أنشدته من شعرها، فقالت[1]:

حجـاج أَنْـتَ الـذي مـا فَوقـه أحـدٌ إلـا الخليفـةُ والمـستغفر الـصمد

حجاج أَنْتَ شِهاب الحـربِ إن لحقـت وأَنْتَ للناس نُورٌ فـي الـدجى يقِـد

والذي نلحظه من هذه المدائح أنهم يذكرون فعال الحجاج في القـضاء علـى الفوضى، وقطع دابر العصاة والمشاغبين واللصوص، فشاع الأمـن بـين النـاس، والذي يحققه يجد له المادحين والشاكرين في كل عصر ومصر.

إن شهرة الحجاج بالقسوة والشدة، وغطت على ما فيه مـن الطيـب ورقـة الشعور والمروءة في بعض المواقف الإنسانية، فكانت قصة حبس الشاعر أسلم بـن عبد البكري وإهدار دمه بأمر من الخليفة عبد الملك بن مـروان، وعنـدما تحقـق الحجاج من أقوال أسلم أحس بأنها وشاية، فطلب من الحجاج أن يكتب إلى الخليفـة عبد الملك بأنه يعول أربعاً وعشرين امرأة، وهن بالباب، فأحضرهن، فجثت ابنتـه بين يدي الحجاج[2]، وقالت[3]:

أَحجـاج لـو تـشهد مقـام بنَاتِـهِ وعماتـه ينْـدبن بالليـل أجمعـا

أَحجـاج لا تفجـع بـه وَنـسائه ثمانـاً وتـسعاً واثنتـين وأربعـا

فَمـن رجـلٌ يقـوم مناممقامـه علينَـا، فَمهـلاً لا تزدنـا تَضعضعا

وبعد سماعه المناجاة والشكوى، عفا عن الرجل.

1- القالي، الأمالي، 86/1، انظر: حميدة، عبد الرزاق، سيف بني مروان – الحجاج الثقفـي-، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1947، ص: 168 – 169، انظر: بابتي، الـسياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 409، انظر: خفاجي، محمـد عبـد المـنعم، أعـلام الأدب- في عصر بني أمية – دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، 13/1.

2- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 145/2.

3- عباس، إحسان، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيـروت، ط4، 1982 م، ص: 154– 155 .

أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن، فلما حضر أمر بضرب عنقه، ولكن الرجل طلب من الحجاج تأخيره ليوم غد، فقال له الحجاج ويحك! وأي فرج لك في تأخير يوم، ثم أمر برده إلى السجن، فسمعه الحجاج، وهو ذاهب به إلـى الـسجن، يغني[1]، ويقول[2]:

عـسى فَـرجٌ يـأتي بـهِ ا ُ أنـه   له كُـل يـومٍ فـي خَلِيقتـهِ شَـأن

فقال الحجاج: "وا ما أخذه إلا من القرآن: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ "[3]، وعفـا عنه.

ومن وصف الوقائع الحربية، قول الأقيبل القيني يـصف حـصار الحجـاج لعبدا ابن الزبير بمكة، ورميه الكعبة بالمنجنيق[4]:

فَلَـم أرى جيـشًا غُـر بـالحج قَبلَنـا   ولم أر جيشًا مِثْلَنا غَير مـا خُـرس

خَرجنـا لبيـتِ ا ِ نَرمـي سـتُوره   وأحجاره زمن الولائِدِ في العـرس[5]

دلفنـا لَـه يـوم الثلاثـاءِ مِـن مِنـى   بجيش كَصدرِ الفيل ليس بـذي رأس

فالشاعر الأقيبل يذكر أن الحجاج سار بجيش ضخم من فرسان أهل الـشام، وأوهم أنه يريد الحج، فعسكر بمنى، إلا أنه ما لبث أن خرج يـوم الثلاثـاء لرمـي الكعبة، فلم يعترضه أحد، ولم ينكر صنيعه منكر[6].

اتخذت ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سـنة (81هـ ـ)[7]، بعـداً خطيراً بالنسبة للخلافة الأموية وللحجاج بن يوسف، فجهز ابن الأشعث قوة كبيـرة تقدر بحوالي سبعين ألف رجل قوام جيش الطواويس، ولعل في الرجز التالي الـذي

1- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 146/12.

2- المصدر، السابق، 147/12.

3- سورة الرحمن، الآية: 29.

4 - الجاحظ، كتاب: الحيوان، 102/7، انظر: الفايز، شعر القبائل اليمانية والشامية في العصر الأموي، ص: 173 – 174.

5- زمن الولائد: اللعب والرقص.

6- الفايز، شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي، ص: 174.

7- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 337 .

ينسب إلى ابنة سهم بن غالب الهجيمي ما يدل على خطورة تلك الثورة التي أوجست الخليفة عبد الملك والوالي الحجاج[1]، تقول[2]:

يـا أيهـا الـسايلُ عمـا قـد كـان ... أبشِر أتَـاك الغـوثُ مِـن سجـستان

ابنـا نـزارٍ وسـراة قحطـانٍ ... ومِـنهم المنـصور عبـد الـرحمن

يقـود جيـشًا جحفـلاً ذا أركـان ... سـبعين ألفًـا لابِـسين الأبـدان

قـد ذَهـب الملـك عـن آل مـروان ... والثقفـي زالَ عنْـه الـسلطان

وبعد انتصار جند الحجاج في دير الجماجم، وهروب عبد الرحمن بن الأشعث إلى ملك الترك، ومن ثم تم تسليمه في صفقة عقدت بين الحجاج وملك الترك، فقد بعث بابن الأشعث مقيداً إلى الحجاج، وفي الطريق لجأ إلى الانتحار حتى لا يقع في قبضة الحجاج، فتكون وفاته في عام (84هـ/85هـ)، وحمل رأسه إلى الحجاج، ومنه إلى الخليفة عبد الملك[3]، وفي ذلك يقول الشاعر[4]:

قَتَلُوه قَسرا ثُم قَالُوا بـايعوا ... وجرى البَريد بِرأس قَرنٍ أبلَج

الهجاء والفخر من أكثر الأغراض الشعرية ارتباطاً بالعصبية القبلية، وبالأطر الحزبية الضيقة، وجاء صدى لشعور العداء المستحكم في نفوس الشعراء، كرد فعل طبيعي على مظاهر تسلط الدولة والسلطان عامة على حياتهم مما تجلى أمره في نشاط بعض الشعراءِ الذين انحازوا إلى تكتلاتهم القبلية المختلفة؛ وصاروا يهاجمون الولاةَ والحكام كمتحدثين بلسان أقوامهم، بعد أن أصبحت الدولةُ ذاتها طرفاً من أطرافِ النزاع، فقد هجا الشعراء خصومهم، وسخروا من آرائهم وسياساتهم، فقال أحد الشعراءِ في ذم الحجاج وهجائه[5]:

أطعـتُم أمـر جبـارٍ عنـيدٍ ... ومـا مِـن طاعـةٍ للظالمينـا

1- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 138/3 – 139.

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 22/7.

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 140/3 – 141.

4- البلاذري، أنساب الأشراف، 39/7.

5- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 269.

ومن ثم سعى الشعراء لإبراز الاتجاهات المتناقضة وفقاً لولاءاتهم وانتماءاتهم فبعد موت الحجاج، أظهر الفرزدق عصبية ضد الحجاج، فقالَ[1]:

لِـئن نَفَـر الحجـاج آلَ معتـبٍ ... لقُـوا دولـةً كـان العـدو يـدالُها

لقـد أصـبح الأحيـاء مـنهم أذلـةً ... وفي النار مثْـواهم كلُوحـا سِـبالُها

هلـم إلـى الإسـلامِ والعـدل عنـدنا ... فقد ماتَ عن أرض العـراق خِبالُهـا

ويمضي الفرزدق في هجائه للحجاج بعد مماته، يقول[2]:

ومـا نـصر الحجـاجَ إلا بِغيـرِهِ ... على كُـل يـومٍ مـستَحِرِ الْملاحِمِ

فالهجاء عند طفيل بن عامر بن وائلة البصري، وأحد أتباع ابـن الأشـعث، هجاء سياسي يتخذ الوعيد والتهديد، يقول[3]:

ألا أبلـغْ الحجـاج أن قـد أظلّـه ... عـذابٌ بأيـدي المـؤمنين مـصيب

متَى نهـبط المـصرين يـضرب محمـد ... ولـيس يمنجي ابن اللعـين هـروب

وممن هجا الحجاج وهرب منه الشاعر مالك بن الريبِ المازني، يقول[4]:

فلولا بنُو مـروان كـان ابـن يوسفٍ ... كما كـان عبـداً مِـن عبيـدِ إيـادِ

زمـان هـو العبـد المقِـر بِذِلـةٍ ... يـراوح صِـبيان القُـرى ويغـادِي

وفي لقبه، هجاه الشاعر، بقوله[5]:

كُلَيـبٌ تَمكـن فـي أرضِـكم ... وقَـد كـان فِينَـا صـغِير الْخَطَـر

كان الحجاج يعلم الصبيان بالطائف، وكان لقبه كُلَيبـا، وفـي ذلـك يقـول القائل[6]:

أينْـسى كُلَيـبٌ زمـان الهـزال ... وتَعلِيمـه صِـبيةَ الكـوثَر

1- الفرزدق، ديوانه، 75/2.

2- المصدر، السابق، 853/2.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1066/2.

4- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 132/2.

5- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 132/2.

6- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 132/2.

رغيــفٌ لــه فَلْكَــةٌ مــا تُــرى وآخَـــر كـــالقمر الأزهر

فخبز المعلمين الذي أشار إليه القائل يأتي مختلفاً، لأنه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال.

وممن هرب من سطوة الحجاج الشاعر محمد بن عبد ا بن نمير الثقفي، وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج، فقال فيها[1]:

تضوع مِسكًا بطْن نَعمان أن مشَتْ بِهِ زينَبٌ في نِسوةٍ عطِراتِ

يخَبِئْن أطْرافَ البنان مِن التُّقَى ويخْرجن شَطْر الليل معتَجِراتِ

قال الحجاج يوماً لأبي الْعسوس الطائي: أي أقدم؟ أنزول ثقيف الطائف، أم نزول طيئ الجبلين؟ فقال أبو العسوس: إن كانت ثقيف من بكر بن هوزان فنزول طيئ الجبلين قبلها، وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم، وقد قال الحجاج يوماً: "تزعمون أنا من بقايا ثمود"[2]، وا ﷻ، يقول: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[3]. فقالَ الحجاج: يا أبا العسوس، أتقني فإني سريع الخطفة للأحمق المتهوكِ، فقال أبو العسوس[4]:

يؤَدبِني الحجاج تَأْدِيب أَهلِهِ فَلو كُنْتُ مِن أَولادِ يوسفَ ما عدا

وإني لأَخْشَى ضربةً ثَقَفيةً يقُد بِها ممن عصاه الْمقَلَّدا

علَى أَنَّنِي مِما أُحاذِر آمنٌ إِذَا قِيلَ يوما قَد عتا المرء واعتَدى

ومن الذين هجوا الحجاج شعراء الخوارج، فهذا شاعرهم يقول في الحجاج عندما عجز عن غزالة زوجة شبيب الخارجي لما دخلت مسجد الكوفة وصلت فيه،وقرأت سورتي البقرة وآل عمران، حيثُ أشار الشاعر إلى هذه الحادثة، والتي غدت أبياته مضرب المثل في التنديد بالجبن، فقال هاجيا[5]:

أَسدٌ علي وفي الحروبِ نعامةٌ ربداء تجفِلُ مِن صفير الصافر

1- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 130/2 – 131.

2-المصدر، السابق، 92/2.

3- سورة النجم، الآية: 51.

4- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 92/2.

5- عباس، ديوان شعر الخوارج، ص: 184 .

هلا برزتَ إلى غَزالة في الوغى   بلْ كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس   تَركت منابره كأمس الدابر

ويروي البلاذري في كتابه أنساب الأشراف أن الخليفة عبد الملك بن مروان سمى ابنه الحجاج باسم الحجاج بن يوسف الثقفي، إعجاباً وتقديراً لشخصية الحجاج عينهم الساهرة، فأنشد الخليفة في ذلك رجزاً، قال فيه[1]:

سميته الحجاج بالحجاج

بالنّاصِحِ المغاور الرمّاح

نُصحا لعمري غيرِ ذِي مِزاجِ

ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم، وتبذير الأموال،وجه إليه الخليفة عبد الملك عتابه ولومه، يقول[2]:

إذَا أنتَ لم تترك أمورا كرهتَها   وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
وتخشى الذي يخشاه مِثْلُك هاربا   إلى ا ـ منه ضيع الدر حالِبه
فَإن تَر مني غفلةً قُرشِيّةً   فيا ربما قد غص بالماءِ شَاربه
وإن تر مني وثبةً أُمويةً   فَهذَا وهذا كُل ذَا أَنا صاحِبه

وللشعراء دور مشهود في الدفاع عن حقوق قومهم والتحدث بلسانهم في مختلف المناسبات والقضايا التي تهمهم، وهناك إشارات ونقدات تستهجن الظلم وتدعو إلى وقف الفساد، مع ما يتعرض له الناس من صور الفقر والمشقة في أعقابِ مواسم الجدبِ وغيرها من صور المآسي التي برزت صورتها جليةً في قصائدِ المدح[3]، فجرير يقول للحجاجِ[4]:

أَلَا نَشكُو إليك زمان محلٍ   وشرب الماءِ في زمن الجليدِ

1- البلاذري، أنساب الأشراف، 10/7، 56.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 141/3، انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 156/12.

3- قاسم، شعر البصرة في العصر الأموي – دراسة في السياسة والاجتماع-، ص: 207.

4- جرير، ديوانه، ص: 96.

ومعتبـــة العيـــال وهـــم سِـــغَاب علـــى در المجالحـــةِ الرفُـــودِ

والراجح أن وفاة الحجاج وقعت في شوال سـنةَ (95هـــ/714م)، فنعـاه الخليفة الوليد بن عبد الملك للناس[1]، فجاء الفرزدق ورثى الحجاج إرضاء للوليد بن عبد الملك، ومع ذلك فإن رثاءه يضم أبياتًا بأعمال الحجاج، وتصور حقيقته ومكانته السياسة والإدارية والأدبية والتاريخية، يقول[2]:

ومهملةٍ[3] لمـا أَتَاهـا بنعيـه نَفْسه أَراحتْ عليهـا مهمـلاتُ التنـايفِ[4]

يقولـــون لمـــا أن أتـــاهم نَعيـــه وهم مِن وراءِ النهرِ جيش الـروادف

فَليتَ الأَـأكُف الـدافناتِ ابـن يوسـفَ يقطّعـن إذْ غيـبن تحـتَ الـسقايفِ

ورثاء رجالات العصر، كان سبيل بعض الشعراء لمجاملة كبار شخـصيات الأسرة الحاكمة للتقرب منهم وإرضائهم لنيل الحظوةِ لديهم، فقد بكوا وناحوا عليهم، وأحصوا مآثرهم ومحامدهم، ولكن تبقى مراثي بعض الشعراء تفـيض حيويـةً إذا كانت عاطفة الحزن صادقة لديهم، بينما تسود مراثي البعض منهم عاطفـة شـاحبة متذبذبة تفتقر إلى الصدق[5]، ولعل قول الفرزدق الآتي يضع أيدينا بشكلٍ ملمـوسٍ على العلاقةِ القائمة بين الشاعر والسلطان[6]:

لقَدْ أَصبح الأحياء مِنْهم أَذِلــــة وفي الناسِ موتاهم كلوحاً سِبالُهـا

فالاحترافُ الذي نلحظه في القول السابق، هو توظيف الشاعر مقدرته الفنيـة في خدمة السلطان القائم، دون أي اهتمام بمبدأ، ودون أن يكون له موقف خـاص، من أجل الدنيا المطلوبة، وهي في أيدي بني أمية وولاتهم، فعـدت هـذه الظـاهرة

1- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 195/12.

2- الفرزدق، ديوانه، 5/2-7؛ انظر: ضيف، العصر الإسلامي، ص: 271.

3- مهملة: المهملة، المرأة التي تهمل مالها في المرعى غير خائفة عليه.

4- التنايف: الجمال والنوق.

5- زراقط، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص: 46 – 47.

6- الفرزدق، ديوانه، 75/2.

مظهراً من مظاهر التطور والتجديد في الشعر الأموي، تمثل في النفـاق الـسياسي لأرباب السلطان[1].

ولما ماتَ الحجاج أشرفت جارية، فبكت، وقالت: "ألا إن مطْعِم الطعام، ومفلق الهام، وسيد أهل الشام قد مات"[2]، ثم أنشأت تقول[3]:

اليــوم يرحمنَــا مــن كــان يغْبِطُنَــا واليـوم يأمنُنَـا مـن كـان يخْـشَانا

لقد عبرت الجارية في مرثيتها للحجاج، وبعيداً عن الارتهان لموقف السلطان بعاطفة حزينة صادقة تفيض حيويةً لفقد رجلٍ من رجالات العصر الأموي.

ولا شك في أن الحديث يطول إذا استرسلنا في سيرة الحجاج، تلك الشخصية الجدلية.

7.4 ما وجه من شعر الشعراء - لمسلمة بن عبد الملك :-

كان مسلمة بن عبد الملك يحتضن الشعراء ويكرمهم، ويحمي من يلتجئ إليه، كما هي وقفته تُجاه الشاعر "الكميت بن زيد الأسدي" الذي طلب منه الأمان من أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فأدخله عليه، ورضي عنه وأكرم وفادته، فقال يمـدح مسلمة[4]:

قِــفْ بالــديارِ وقــوفَ زائــر وتَــأنّ إِنّــك غَيــر صــاغر

عِلِقَــتْ حِبــالي مِــن حِبــا لـك ذِقـةَ الجـارِ الْمجـاور

فـالآن صِـرتُ إلــى أميــ ـــةَ والأمــور إلــى المــصاير

والآن كنــتُ بــه المــصيـ ـــب كمهتَــدٍ بــالأمس حــائِر

ومن مدائح الكميت بن زيد في مسلمة، قوله[5]:

1- شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص: 146.

2- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 195/12.

3- المصدر، (السابق)، 195/12.

4- ابن عبدربه، كتاب: العقد الفريد، 157/2.

5- الجاحظ، كتاب: البيان والتبيين، 371/1.

ونـزور مـسلمة المهـذ ... ب بالمؤبـذة الـسوائر

بالمـذهبات المعجبـا ... ت لمفحـم منـا وشـاعر

أهـل التجـاوب فـي المحـا ... فـل والمقـاول بالمحاصـر

فهـم كـذاك فـي المجـا ... لـس والمحافـل والمـشاعر

فلا غرو، أن يخلد الشاعر الكميت مسلمة بالمـديح مـن القـصائد الغـرر، (السوائر، والمذهبات المعجبات) حتى يبقى ذكره خالداً إلى الأبد.

قال الشاعر النابغة الشيباني يمدح مسلمة بن عبد الملك[1]:

ينْـوون مـسلمة الْقَيـاض نَائِلُـه ... وكعبـه فـي بِقـاع المجـدِ معتَـدلُ

صلب القنـاةِ ربـا والحـزم شـيمته ... فليس في أمـرهِ وهـنٌ ولا هـزلُ

قـضاؤه مـستقيم غيـر ذِي عِـوجٍ ... فليس في حكمـه حيـفٌ ولا ميـلُ

وأنـتَ جـرز بنـي مـروان كُلهـم ... أنْـتَ لهـم ولمـن يعـروهم جبـلُ

نَمتْك مِن عبدِ شَمس خَيـرهم حـسبا ... إذَا الكـرام إلـى أحـسابهم حـصلُوا

ذَوو جدودٍ إذا مـا تَوضـاتْ نَـضاتْ ... إنّ الجـدود تلاقـى ثُـم تَنْتَـضِلُ

وهكذا خلد الشعراء مسلمة "فتى العرب" كما وصف في أشعارهم، وسـجلوا أعماله وخصاله ومحامده كما ذكرنا من نماذج أشعارهم.

تمتّع مسلمة بن عبد الملك بالسمات العالية، والخصال السامية، حيثُ انبـرى شاعر الأرجوزة " أبو نخيلة " إلى مدح مسلمة والثناء عليه، يقول[2]:

أمـسلم إنـي يـا بـن كُـل خليفـةٍ ... ويا فارس الهيجا ويـا جبـلَ الأرض

شكرتُك إن الشكر حبـلٌ مـن التقـى ... وما تكل من أوليتـه نعمـةٌ يقـضي

وألقيـت لمـا إذ أتيتـك زائـراً ... علي لحافاً سـابغَ الطّـول والعـرض

وأحييت لي ذكـراً ومـا كـان خـاملاً ... ولكن بعض الذّكر أنبـه مِـن بعـض

1- الشيباني، النابغة، عبد ا بن المخارق بن سليم، (ت 125 هـ)، ديوانه، طبع دار الكتـب المصرية، القاهرة، ط1، 1932م، ص:82-83.

2- الأصفهاني، الأغاني، طبعة بولاق، 392/20.

ومدحه أيضاً، فقال[1]:

وصــاحةٌ مـــن كـــرمٍ وطيـــبٍ ... لــولا ثقــافٌ لــيس بالتــدريبِ

تفــري بــهِ عــن حجــبِ القلــوبِ ... لامــستْ الأمــة شَــاء الــذيبِ

8.4 ما وجه من شعر الشعراء– لعبد ا بن عبد الملك بن مروان بن الحكم:-

ولي مصر من قبل أبيه سنة (86هـ)، وله فيها أعمال جليلة، حيثُ أمر بنسخ الدواوين من القبطية إلى العربية، ومنع لباس البرانس، وابتنى بها المسجد المعروف بـ: "مسجد عبد ا "، ولكن في أثناء ولايته غلت الأسعار، فتشاءم به المصريون، وهي أول شدة رأوها، فقال زرعة بن سعد ا بن أبي زمزمة الخشني[2]:

إذَا ساد عبد ا ِ مِــن مِصر خَارجِــا ... فَلَما رجعتْ تِلْك البِغَالُ الخــوارج

أتى مِـصر والمكْيَـالَ وافٍ مغَربـل ... فما سار حتّى سار والمد فَالِج

ولما تناهت إلى مسامعه هذه الشكاية والهجاء أهدر دمه، فهرب الشاعر إلى المغرب، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك، يقول[3]:

ألــا لــا تَنْــه عبــد ا ِ عِنــي ... كمــا قــد قــال يجعلنــي نِكالــا

ولــم أشْــتُمْ لِعبــد ا ِ عِرضــا ... ولــم آكُــلْ لِعبــدِ ا ِ مــالا

وفي قضية غلاء الأسعار، وندرة المال والطعام، قال القاضي عمران بن عبد الرحمن الخشني يهجو الوالي عبد ا بن عبد الملك[4]:

لحــا ا ُ قومــا أمــروك، ألــم يــروا ... بِأعطافِــك التخْنِيــثَ كيــفَ يريــب

أتصرفني جهــلاً عــن الحكــم ظالِمــا ... ووليتــه عجــزا فَتَــاةٌ تُجيــب

تَكلّتُــك مِــن والٍ، وأيــضا ثكلتــه ... ألم يك فِي النــاس الكثِيــر يــصيب

1- الأصفهاني، الأغاني، طبعة بولاق، 140/8.

2- الكندي، الولاة والقضاة، ص: 46.

3- الكندي، الولاة والقضاة، ص: 46.

4- المصدر، السابق، ص: 326.

ولما عزل الوالي عبد ا   بن عبد الملك بن مروان بن الحكـم عـن ولايـة مصر، ووليت من بعده (قرة بن شريك بن مرشد) سنةَ (90هـ)، فقال أحد الشعراء ساخراً متهكماً من الوالي الأخير، وفي الوقت نفسه؛ عتاب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك[1]:

عجبــاً مــا عجِبــتُ حِــين أَتانــا   أَن قَــد أمــرت قُــرة بــن شــريك

وعزلْــتَ الْفَتَــى الْمبــارك[2] عنــا   ثُــم فيلــت فيــه رأي أَبيــك

وقال الشاعر عبد ا   بن الحجاج الثعلبي[3]:

فــإنّ بمــصر عبــد ا ـ يــا شُــؤْ   م عبــد كُــل ذِي عظْــمٍ هــشَم

فكل هذه المشاكل والقلاقل التي تعرض لها الوالي عبد ا   بن عبـد الملـك كانت في ولاية لم تدم إلا عشرة أشهر.

9.4 ما وجه من شعر الشعراء - لآل المهلب بن أبي صفرة :-

لقد كان لآل المهلب بن أبي صفرة نصيب من هذا الكم الشعري الهائل الذي أفرزته أحداث العصر الأموي وثوراته، وعمليات الفتح العربي الإسـلامي بفـضل مشاركتهم المشرفة في صنع تلك الأحداث، فكانوا كما وصفهم الحجاج بن يوسـف الثقفي "سيوف من سيوف ا "[4].

إن المعاني البطولية والجود التي تجسدت في شخصيات آل المهلـب كانـت مثار إعجاب الشعراء، فتحلقوا حولهم وخصوهم بغرر القصائد التي تمجد بطولاتهم، وتسجل مآثرهم فنظموها شعراً خالداً في صفحات تاريخ وأدب العصر الأموي.

لقد جاء المديح في طليعة الأغراض الشعرية التي برزت في ظل المهالبة، إذ خصهم الشعراء المتحلقون حولهم بمدائح رائعة، أظهر الـبعض مـن خلالهـا وده

1- الكندي، الولاة والقضاة، ص: 48.

2- المبارك: هاهنا (المشؤوم).

3- الكندي، الولاة والقضاة، ص:49.

4- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 409/3.

وإخلاصه لهم، بينما كانت وسيلة البعض للتزلف، وكسب المال، والفوز بالعطاء الأوفر.

فهذا المغيرة بن حبناء التميمي أحد الشعراء المرافقين للمهلب وأبنائه في حروبهم وبطولاتهم، يتوجه إلى المهلب مادحاً إياه لما هزم قطري بن الفجاءة بنيسابور، يقول مشيداً بانتصاراته على الأزارقة: [1]

أمسى العباد بِشر لا غياثَ لهم   إلا المهلّب بعد ا ِ والمطر

كِلاهما طيبٌ تُرجى نَوافِلُه   مباركٌ سيبه يرجى وينْتَظَر

هذا يذُود ويحمي عن ذِمارهم   وذَا يعيشُ به الأنعام والشجر

فهو هنا، يشيد بالعمل البطولي للمهلب، فهو كالغيث المرتجى الذي لا يدخر جهداً للذود عن العباد، كما المطر يغيث الأرض والعباد بعد طول تأمل وفاقة.

ويمضي الشاعر المغيرة بن حبناء في إضفاءِ المزيد من الصفات البطولية والكرم على المهلب بن أبي صفرة، يقول[2]:

إن المهلّب في الأيام فَضلتُه   على المنَازل أقْوامٌ إذا ذكروا

حزمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفَتْ   فيها يعد جسيم الأمر والخطر

سهلُ الخلائق يعفو عِنْد قُدرتِهِ   مِنْه الحياء ومن أخلاقِهِ الخضر

شِهاب حربٍ إذا حلتْ بساحتِهِ   يجزي به ا ُ أقواماً إذا غَدروا

وتظل صورة البطل القائد الشجاع موضوع إعجاب الشعراء المحاربين الفرسان، فهذا الشاعر كعب الأشقري يجيد إبراز صورة القائد الشجاع وقراراته وتوجيهاته السديدة لجنده في ميادين القتال، يقول مادحاً[3]:

صلْتُ الجبين طَويلُ الباع ذُو فُرجٍ   ضخْمُ الدسيعةِ لاوانٍ ولا غمر

وفي ثَلاثِ سِنِينٍ يستديم بِنَا   يقارع الحرب أطْواراً ويأتمِر

1- القيسي، حمودي نوري، شعراء أمويون، دراسة وتحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، ط1، 1982م، 3/ 87.

2- المرجع، السابق، 3/ 80 – 81.

3- القيسي، شعراء أمويون، 2/ 400.

ويقول في قصيدة أُخرى مشيداً بالمهلب وحزمه في مواجهة العدو، وصونه للمحارم، فكأنه شهاب تتجلى عنه الظلام[1]:

شِهابٌ تَنجلى الظلْماء عنْه يرى في كُل مبهمةٍ منارا
بَل الرحمن جارك إذ وهنا يَدفعُك عن محارمنا اختيارا

أضفى الشعراء على ممدوحيهم بعض المعاني الدينية كالتقوى والصلاح والإيمان، فالشاعر المغيرة بن حيناء يعد المهلب على رأس حماة الدين والمنتخب للدفاع عنه، يقول[2]:

وأَنتَ رأسٌ لِأَهل الدين منْتَخب والرأس فيه يكون السمع والبصر

مدح عدي بن الرقاع يزيد بن المهلب، ومجد كرمه الذي لا يضاهى، ونوه بعطائه الذي يعد سابقةً في الكرم لم تؤثر عن أحد غيره، يقول[3]:

ولم أَر محبوساً مِن الناس واحِداً حبا زائراً في السجن غَير يزيدِ
سعيد ابن عمرٍ إذْ أتاه أَجازه بالخمسين ألفاً عجلَتْ لسعيدِ

يقول الطرماح بن حكيم الطائي في إحدى مدائحه ليزيد بن المهلب، ويستهلها بذكر راحلته قاصداً "الممدوح ومؤملاً منه العطاء الثر الواسع، يقول[4]:

إليك ابن قحطان نطوي بها مفاوز أَخْماسها نازحه
أُؤملُ منك أَيادي ندى مِن الجودِ نَاجِحةً مانحه
وودك إن نَحن فُزنَا بِهِ لنا ولكم رحلةٌ رابحه

1- القيسي، شعراء أمويون، 2/ 405 .

2- القيسي، شعراء أمويون،95/3.

3- العاملي، عدي بن الرقاع، ديوانه، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1، 1987م، ص: 134، انظر: الصلاح، تحسين محمد، عدي بن الرقاع العاملي – حياته وشعره – منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1، 1999م، ص: 82.

4- الطرماح، ديوانه، ص: 81 – 82.

ويمدح الشاعر الفرزدق مروان بن المهلب، ويذكر حاجته إليه ثم يشيد بكرمه وشجاعته، ويبـدو طـابع التزلـف والمبالغـة فـي معـاني المـدح والإطـراء ماثلةً في قول الفرزدق[1]:

لعمري لـئن مـروان سـهّل حـاجتي وقـد كـان ذو ناجـاة عـن طريـقٍ مـشددِ

لنِعمَ فتـى الظلمـاءِ والرافـد القِـرى وضـارب كـبشَ العـارفِ المتوقـدِ

تناول الشعراء في وصفهم للمعارك والحروب، وصف الجيوش المشاركة في القتال والأماكن التي دارت فيها رحى تلك المعارك والفتوحات، ووصف بطـولات القادة والمحاربين، فعندما غزا يزيد بن المهلب قلعة (بـاذغيس) سـنة (84هـ ـ)، وتمكن من فتحها، فقد عمد الشاعر كعب الأشقري إلى تصويرها، ومدح قائد الفـتح يزيد بن المهلب، يقول[2]:

وبـاذغيس التـي مـن حـل ذُروتَهـا عز الملوك فـإن شـاء جار أو ظلمـا

منيعـةٌ لـم يكِـدها قبلُـه ملِـكٌ إلّا إذا واجهتْ جيشاً لـه وجمـا إلا

فـذل سـاكنُها مـن بعـدِ عِزتِـهِ يعطي الجزي عارفاً بالذل مهتَـضِما

ويمضي الشعراء في الإشادة ببطولات يزيد بن المهلب وفتوحاته الـشرقية، التي سجلها الشاعر كعب الأشقري، فقال[3]:

والتـرك تعلـم إذْ لاقى جمـوعهم أن قد لقـوه شـهاباً يفـرج الظلمـا

بفتيـةٍ كأسـودِ الغـابِ لـم يجـدوا غَير التأسي وغَير الـصبر معتَـصِما

ويصف الفرزدق في مدائحه ليزيد بن المهلب جانباً من معاركـه بفـارس، فيذكر عظمة الجيش، وشدة القتال، وحزم القائد، يقول[4]:

ولينـزلن بِجبـل جـيلان الـذي تـرك الجبـرةَ محـصد الأمـرار

جـيشٌ يـسير إليـهِ ملـتمس القِـرى غـضباً بكـل مـسومٍ جـرار

1- الفرزدق، ديوانه، 1/ 192.

2- القيسي، شعراء أمويون، 416/2.

3- القيسي، شعراء أمويون، 2/ 417.

4- الفرزدق، ديوانه، 378/1.

وطِئَـتْ جيـاد يزيـد كُـل مدينـةٍ   بـين الـرومِ وبـين نخـلٍ وبـار

فالفرزدق وصف الجيش بأنه لجي ضاق به الفضاء، وبدت الـسماء وكأنهـا غابة من رماح يعلوها الغبار، كما وصف الخيول بأنها صلبة قوية اعتادت اقتحـام الأهوال يمتطيها أسود هواصر لا يهابون الموت.

وقد عبر الشاعر زياد الأعجم عن استعداد المهلب وثباته في ساحات القتـال ضد الأزارقة، يقول[1]:

دعونَـا أبـا غـسان، فَاسـتك سـمعه   وأَحنـق طأطـأ رأسـه وتَهيبـا

فَلمـا رأينَـا القـوم قَـد كَـل حـدهم   لدى حـربهم فيهـا دعونـا المهلّبـا

وفي مدحية لكعب الأشقري يصف معارك المهلب مع أعدائه، ويـذكر مـن خلالها فتح كرمان، إذ يقول[2]:

وهـم قَـادوا الجيـاد علـى وجاهـا   مِـن الأمـصار يقْـذفْن المِهـارا

لقد اعتد الشعراء اعتداداً كبيراً بقبائلهم ومـشاركتها فـي أحـداث العـصر وحروبه، فهذا كعب الأشقري يفخر بالأزد ويشيد بمآثرهم وبطـولاتهم فـي سـاح الوغى، يقول[3]:

والأزد قومي خيار القـوم قـد علمـوا   إذا قـرومهم يـوم الـوغى خَطَـروا

فـيهم معاقـلُ مِـن عِـز يـلاذُ بهـا   يومـاً إذا شَـمرتْ حـربٌ لهـا دِرر

وهذا الشاعر ثابت قطنة يوجه عتاباً للمهلب، إذْ ولّى رجلاً اسـمه (وكيـع) بعض أعمال خراسان، ولم يكن (وكيعاً) أهلاً لذاك المنصب، يقول[4]:

مـازالَ رأيـك يـا مهلـب فاضـلاً   حتّـى بنيـتَ سـرادِقاً لوكيـع

وجعلتَـه ربـا علـى أربابِـهِ   ورفعـتَ عبـداً كـان غيـر رفيـع

1- الأعجم، زياد، شعره، جمع وتحقيق ودراسة: يوسف حسين بكار، دار المـسيرة، عمـان، ط1983،1م، ص:46-47 .

2- القيسي، شعراء، أمويون، 377/2.

3- القيسي، شعراء، أمويون،2/ 378-379.

4- الجاحظ،، كتاب: البيان والتبيين، 51/4.

تعمد الشاعر في العصر الأموي نتيجة لظهور الصراعات السياسية، وتـأجيج نار العصبيات القبلية، أن يسلب المهجو كل الفضائل النفسية والمعنوية، والمثل العليا التي يعتز بها العربي كالعفة والشجاعة والكرم، ويأتي بكل ما يناقضها، فهذا الشاعر النعيب بن عمرو بن مرة يهجو المهلاب ويجرده من المثل العليا، ويرميه بالكـذب، ويعيبه من جهة أصله ونسبه ودينه، فيقول[1]:

تَبـدلتْ المنـابر مِـن قـريش مزونيـاً بفقحتـهِ الـصليب

فَـلا تعجـب لكـل زمـان سـوءٍ رجـالٌ والنوائـب قَـد تَنُـوب

ومن الهجاء اللاذع ما قاله الفرزدق معرضاً بالمهلب ومحتقراً للأزد جميعـاً، فنجده يعريهم من كل الصفات الطيبة، وينعتهم باللؤم والدناءة. وكاد يخـرجهم مـن دائرة الإسلام، يقول[2]:

وجـدنَا الأزد مـن بـصلٍ وثـومٍ وأَدنَى النـاس مِـن دنَـس وعـار

صـراريون[3] ينـضح مِـن لِحـاهم نفـي المـاءِ مِـن خـشبٍ وقـار

وقال (أيضاً)[4]:

وكيـفَ لَـم يعـد فَرسـاً أبـوكم ولم يحمـلْ بنيـهِ إلـى الـدوار[5]

ولَـم يعبـد يغـوثَ ولـم يـشاهد لِحميـر مـا تـدين ولـا نِـزار

ومـا تـسجد أزد بـصرى ولكـن يـسجدون لكـل نـار

ويعد قيام ثورة يزيد بن المهلب ضد السلطة الأموية وفشلها، ومقتله مع عدد من أفراد أسرته، فانبرى بعض الشعراء يهجون الثـائرين، وينتـصرون بـشعرهم للأمويين رغبةً أو رهبة، ومن الملاحظ أن الهجاء في هذه الفترة أخذ طابعاً جماعياً

1- الآمدي، المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء وكناهم، ص: 57.

2- الفرزدق، ديوانه، 252/1.

3- صراريون: ملاحون في البحر.

4- الفرزدق، ديوانه، 254/1.

5- الدوار: صنم كان في الجاهلية لمذحج.

شامـلاً للقبيلة التي ينتمي إليها المهجو، ومن ذلك هجاء الـشاعر جريـر، حيـثُ يقول[1]:

آلُ المهلّـــبِ جـــذ ا ُ دابــــرهم أمسوا رماداً فـلا أصـلٌ ولـا طـرفُ

ما نالـتِ الأزد مـن دعـوى مـضِلّهم إلّـا المعاصـم والأعنـاقَ تختطـفُ

وهذا رؤبة بن العجاج يهجو يزيد بن المهلب بعدما كان من أمره مع الـسلطة ويلح في تجريده من فضائله، ويعمد إلى الطعن في نسبه، يقول[2]:

يزيـدٌ قـد غَـرك فـي التـسامي عـــزِ لِأمثالِـــك ذُو ادغـــامِ

أعتَيـك صـلياتٌ علـى العجـام أفي لمــا جمعــتَ مــن همــامِ

كـابرتَ أهـلَ الجـاهِ والـأحزام بأعبـــدٍ عبـــد تهـــم لِئـــامِ

وتطالعنا في الاعتذار أبيات الشاعر كعب الأشقري يعتذر ليزيد بن المهلـب بعد أن هجاه ونال منه، عندما أبعد عن خراسان إلى عمان، ولكن الشاعر ندم علـى هجائه ليزيد، فاعتذر، وقال[3]:

يا لهفَ نفسي على أمـرٍ خَطَلْـتُ بـه وما شـقيتُ بـه عمـري وأحقـادِي

أفْنَيتُ خمـسين عامـاً فـي مـديحكُم ثُم اغتـررتُ بقـول الظـالِمِ العـادِي

أبلِـغْ يزيـد قـرين الجـودِ مألكـةً بِـأن كعبـاً أسِـيرٌ بـين أصـفَادِ

فَـإن عفـوتَ فبيـتُ الجـودِ بيـتكم والدهر طوران مـن غـي وإرشـادِ

اتخذ الشاعر العربي الرثاء للتعبير عن أحاسيسه وأحزانه إزاء ما مني به من صروف الدهر وأحداثِهِ ونكباته بفقد من يعز عليه فراقه من الناس حاكماً ومحكوماً، إذ كان للشعراء في الولاة مراثٍ عديدة من عيون أشعارهم، وخلجات قلوبهم، حيثُ تميزت مراثيهم بالصدق والأصالة، وبالشحوب العـاطفي والمبالغـة فـي إظهـار

1- الخطفي، ديوانه، ص: 390.

2- العجاج، رؤبة، ديوانه (نشر ضمن مجموع أشعار العرب)، نشر وتصحيح: وليم الورد، طبع (لايبزك)، (د. ط)، 1903م، ص: 144.

3- القيسي، شعراء أمويون، 394/2.

عواطف الحزن على المرثي، وتعداد مناقبه والثناء عليه، كما هي مرثيـة الـشاعر كعب الأشقري في المهلب بن أبي صفرة، يقول[1]:

يقولـون هـلْ بعـد المهلّـبِ نِعمـةٌ مِن العيش إلّا قَد أتـى دونَهـا الـدهر

ولا نائـلٌ إلا قليـلٌ معــدٌ قليلُ الغنى في النـاس مطلبـه وعـر

وهـدتْ لِـذاك الأرض حتـى كأنهـا بكته الجبالُ الـصم وانـصدع الفجـر

وأظْلَمـتِ الآفـاقُ حتـى كأنمـا يرى دون ضوءِ الشمس مِن دونِها سِتْر

وتطالعنا بهذا الصدد أبيات لثابت قطنة يرثي بها يزيد بن المهلب، ويشيد فيها بشجاعته وبطولات والده المهلب، يقول[2]:

أبـى طـولُ هـذا الليـل أن يتـصرما وهـاج لـك الهـم الفـؤاد المتيمـا

أرقـتُ ولـم تـأرق معـي أمُ خالـدٍ وقـد أرقَتْ عينـاني حـولاً مجرمـا

علـى هالـكٍ هـد العـشيرةَ فَقْـده دعتْـه المنايـا فاسـتجاب وسـلما

على ملـكٍ يـا صـاح بِـالْعقْر جننَـتْ كتائبـه واسـتورد المـوتُ معلمـا

فالشاعر ثابت قطنة في مرثيته ليزيد بن المهلب يتوعد قتلته بالقصاص العادل والثأر، ويلقي باللائمة على من خذلوه.

تعد مرثية زياد الأعجم للمغيرة نوعاً من التأبين والثناء، إذ استعرض الشاعر فيها أعمال المرثي وفضائله في حياته، ويتأسف لذهاب من كانت له هـذه المكـارم والفضائل والفعال الصالحة، والبطولات الخالدة، ورسم له صورة خالدة في مرثيته، يقول[3]:

قُـلْ للقوافـل والغـزي إذا غـزوا والبـاكرين، وللمجـد الـرائح

إن الـسماحةَ والمـروءةَ ضـمنا قبراً بمرو علـى الطريـق الواضـح

ويمضي زياد الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلب، يقول[4]:

1- الكوفي، كتاب: الفتوح،121/7.

2- العتكي، شعره، ص: 57 – 58.

3- الأعجم، شعره، ص: 53 .

4- الأعجم، شعره، ص: 54، 58.

فــإذَا مــررتَ بقبــرهِ فَــاعقِر بــه كُومَ الْهجـان[1]وكـل طـرفٍ سـابح

وانْضـــــح جوانـب قبـرهِ بدمائـه فلقــد يكــون أَخَــا دمٍ وذبــائح

وتكاملــتْ فيــك المــروءةُ كُلهــا وأَعنــتَ ذَلــك بِالْفِعــال الــصالح

وكذلك لثابت قطنة مرثية رائعة في المفضل بن المهلب، وكان قد قتل في يوم العقر مع أخيه يزيد، ويشير فيها إلى عظم الرزية بفقده، وعجزه عن الصبر بعـده، وقد هجره النوم من الأسى والأرق، فيقول، وقد ابتدأ قصيدته ينـاجي هنـداً بنـت المهلب[2]:

يا هِنْـد كيـفَ بنـصبٍ بـاتَ يبكينـي وعائرٍ فـي سـوادِ العـين يـؤذيني

كــأن ليلــي والأصــداء هاجِــدةٌ ليـلُ الـسليم وأعيـا مـن يـداويني

لما حنَى الدهر من قَوسي وعـذر فـي شيبي وقاسيتُ أمـر الغـاظِ واللّـين

إذا ذكــرتُ أبــا غــسان أرقنــي هم إذا عـرض الـسارون يـشجيني

10.4 ما وجه من شعر الشعراء – لقتيبة بن مسلم الباهلي:-

سار ذكر قتيبة لما أبلى من الفتوحات والانتصارات البلاء العظيم، ففي عشر سنين فتح أقاليم شاسعة في(بخارى وسمرقند والطالقان وطخرسـتان والـصفانينان، والشاش وفرغانة وكاشغر وغزو الصين)، حيثُ ابتدأ قتيبة فتوحاتـه فـي مـستهل ولايته لخراسان سنةَ (89هـ/705م)[3].

فمدحه الشعراء وأشادوا بانتصاراته على الترك، وذكروا جهوده فـي نـشر الإسلام، يقولُ نهار بن توسعة[4]:

أَراكَ ا ُ فـــي الأتــراكِ حكْمــــًا كحكـــمٍ فـــي قُريظـــةَ والنـــضير

1- كوم الهجان: النوق السمينة.

2- العتكي، شعره، ص: 64.

3- خطاب، قادة الفتح الإسلامي في ما وراء النهر، ص: 378، انظر: الصلابي، الدولة الأموية – عواملُ الازدهار وتداعيات الانهيار، 41/2.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 112/5، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، ص: 64 – 65.

قـــضاءٌ مِـــن قتيبـــة غيـــر جـــورٍ   بـــه يـــشفي الغليـــلُ مـــن الـــصدور

ولا ينسى الشاعر سحبان وائل أن يشيد بحلم ممدوحـه وكرمـه واقتحامـهِ لأهوال الحرب ومخاوفها، ويقفُ طويلاً بإزاءِ عشيرته وآبائه: يقولُ[1]:

هـــذا وأنـــتَ قريـــع قيـــس كلهـــم   ضخـــم الـــنوال

وطبيعي أن يكون قتيبة قهاراً للملوكِ ولرؤوسهم ضراباً، يقول[2]:

وترى الجيـاد مـع الجيـادِ ضـوامرا   بفنائـــهِ لحـــوادثِ الأيـــامِ

وبهـن أنْـزلَ نيزكـاً مِـن شَـاهقٍ   والكِـرز حيـثُ يـروم كُـل مـرامِ

وليس هذا بكثير على أمثال قتيبة ممن لبسوا التاج حتى شابت مفارقهم وقادوا الجيوشَ، فدوخوا الأعداء وحووا النهاب، يقول كعب الأشقري مادحاً[3]:

كُـــل يـــومٍ يحـــوي قتيبـــة نهبـــا   ويزيـــد الأمـــوالَ مالاً جديـــدا

بـــاهلي قـــد ألـــبس التـــاج حتّـــى   شـــاب منـــه مفـــارقَ كُـــن ســـودا

دوخَ الـــسّغد بالكتائـــبِ حتّـــى   تَـــرك الـــسغد بـــالعراءِ قُعـــودا

يقولُ الشاعر نهار بن توسعة مفتخراً[4] :

أبـــى الإســـلام لـــي أبٌ ســـواه   إذا هتفـــوا ببكـــرٍ أو تمـــيمِ

كانت العلاقة بين الخليفة سليمان بن عبد الملك والحجاج ورجاله، ومـنهم قتيبة ابن مسلم غير حسنة، وخشي أن يعزله، وكان الخليفة أرسل له عهـداً بولايـة خراسان، ولكن قتيبة تعجل، وخلع طاعة الخليفة سليمان، فغضب الناس واسـتنكروا خلع سليمان، وثار الجند على قتيبة فقتلوه، يقول نهار بن توسعة[5]:

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 258/5.

2- المصدر، السابق، 240/5، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والـبلاد الإيرانيـة، ص: 69.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 255/5، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، ص: 69.

4- الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 537/1.

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 193/5.

تنمر وشَـمر يـا قتيـب بـن مـسلم فَـإن تميمــا ظــالمٌ وابــن ظــالمٍ

وإنــي لأخــشى يــا قتيــب علــيكم معرة يوم مثـلَ يـومِ ابـن حـازمٍ

وبعد مقتل قتيبة نجد نهار بن توسعة يشمت به، ويصفه بالتجبر، يقول[1]:

أَراد بنــو عمــرٍو لنهلــك ضــيعة فقــد تركــت أجــسادهم بمــضيع

ســتبلغُ أهــلَ الــشامِ عنــا وقيعــةً صــفقًا ذكرهــا للحنظلــي وكيــع

أما إذا كان القتل متمخضا عن محاولة بعض الولاة الوقوف في وجه السلطة القائمة، وشق عصا الطاعة، فإن الشاعر في مثل هذا الموقف لا يسكب الـدمع، ولا يستسقي على قبر القتيل، وإنما ينصرف بكل إحساسه إلى غاية واحـدة هـي إدراك الثأر، يقول الشاعر عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة بن مسلم[2]:

كـأن أَبـا حفْـص قتيبــةَ لـم يـسر بجيش إِلى جيش ولـم يعـلُ مِنْبـرا

ولم تَخْفـق الرايـاتُ والقـوم حولـه وقوفٌ ولم يشهد له النـاس عـسكرا

دعتْــه المنايــا فاســتجاب لِربــهِ وراح إِلـى الجنـاتِ عفّـا مـطهرا

ومــا رزئ الأقْــوام بعــد محمــدٍ بمثـل أَبـي حفْـص فبكيـه عبهـرا

وهكذا، انتهت حياة المجاهد الكبير قتيبة بن مسلم نهاية حزينة أليمة.

11.4 ما وجه من شعر الشعراء – لمحمد بن القاسم الثقفي –:

استحق الفاتح العظيم الذي ولّاه الحجاج بن يوسف الثقفي ثغـر بـلاد الهنـد والسند ثناء التاريخ، وما سجله له من أمجادٍ وبطولاتٍ وفتوحاتٍ ساهمت في نـشر راية الإسلام في تلك البلاد، حيثُ أنجز محمد بن القاسم هذه الفتوحات كلها في المدة

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 283/5.

2-الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 521/6، انظر: بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 431.

بين سنة (89 – 94هـ)[1]، لقد حقق محمد بن القاسم هذه الأمجاد، وهو في مقتبل العمر، حتى قال فيه الشاعر زياد الأعجم[2]:

إن الشجاعةَ والسماحةَ والندى لمحمدِ بن القاسم بن محمدٍ

قاد الجيوشَ لسبع عشرةَ حجةً يا قُرب ذَلِك سؤددا من مولدِ

وفي مقتل داهر ملك الهند، نجد أحد الشعراء المقاتلين في هذه الموقعة التي قادها محمد بن القاسم، وقد التحم بالأعداء التحاماً شديداً، فانهزم أصحابه وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، فقال الشاعر القاسم بن ثعلبة بن عبد الله الطائي[3]:

الخيلُ تشهد يوم داهرٍ والقنا ومحمد بن القاسم بن محمدِ

أني فرجتُ الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهندِ

فتركته تحتَ العجاج مجندلاً متعفر الخدين غير موسدِ

12.4 ما وجه من شعر الشعراء – لخالد بن عبد الله القسري:-

ولي خالد القسري أمر مكةَ سنةَ (89هـ/707م)، واستمر خالد على مكة في خلافة الوليد ثم عزله، وأعيد عليها في عهد سليمان بن عبدالملك، وعزل عنها، وبعد أن تولى الخليفة هشام بن عبد الملك ولاه إمرةَ العراق سنةَ (105هـ/723م)[4].

لقد حكم خالد القسري أثناء ولايته بقوة وحزم، وقيل إنه ظلم كثيراً، ورغم ذلك فقد ذكرت له محاسن عديدة منها مشاركته في حركة الفتوحات الإسلامية، وكان جواداً ممدحا معظماً، من نبلاء الرجال، حازما، عادلاً يقضي في المظالم، إضافةً إلى إخماده عدة فتن دينية، وتحريمه للغناء والمجون، ويتضح لنا أن شخصية خالد القسري من الشخصيات التي أسهمت في إرساء قواعد الدولة الأموية في وقت

1- الصلابي، الدولة الأموية – عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 54/2.

2- الأعجم، شعره، ص: 122 .

3- البلاذري، فتوح البلدان، ص: 426.

4- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 426/5.

كثرت فيه الفتن والقلاقل[1]، وفي أثناء ولاية خالد القسري لمكة أحدث أحداثاً منها أنه أدار الصفوف حول الكعبة، لمنع الازدحام والتفريق بـين الرجـال والنـساء فـي الطواف، فنجد الشاعر يشيد بذلك[2]:

يــا حبّــذَا الموسِــم مِــن موقِــفٍ وحبــذَا الكعبــة مِــن مــسجِدِ

وحبــــذَا اللاتــــي تَزاحمنــــا عِنْــد اســتِلامِ الحجــر الأســودِ

وكان خالد القسري جواداً ممدحاً كثير العطاء، أنشده أعرابي ببيتين من الشعر، فأكرمه وأمر بقضاء دينه، فقال[3]:

تَبرعــتُ بــالجودِ حتّــى نعــشتني وأعطيتنــي حتــى حــسبتُك تَلْعَــب

فَأنتَ الندى وابن الندى وأبـو النـدى حليفُ الندى ما لِلندى عنـك مـذْهب

وكذلك دخل على خالد القسري أعرابي، وقال له: قد مدحتك ببيتين ولـستُ أنشدكهما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم، قال: أنشد. فأنشده[4]:

لزمتُ "نَعـم" حتّـى كأنـك لـم تكـن سمعتُ مِن الأشياءِ شيئًا سِـوى نعـم

وأنْكَـرتُ "لا" حتـى كأنـك لـم تكـن سمعتُ بها في سالِفِ الـدهر والأُمم

فأعطاه خالداً عشرةَ آلاف درهم وخادماً فتسلمها، ومدحه أحد الشعراء راغبـاً فـي عطائه، فقال[5]:

أَخَالِــدٌ إنــي لــم أَزرك لِحاجــةٍ سِـوى أَننـي عـافٍ وأَنْـتَ جـواد

أَخَالِــدٌ إن الــأجر والحمــد حــاجتي فأيهمــا تــأتي وأنــت عمــاد

1- ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة ا بن عبد ا ، (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين، أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، شرح: حازم بن حسين، وحسام بن ضرار، دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بيـروت، ط1، 1995م، 178/16-179.

2- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 184/3.

3- الأصفهاني، الأغاني، 15/2، انظر: بابتي، السياسة والأدب في العصر الأموي، ص: 413.

4- الأصفهاني، الأغاني، 15/22.

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 227/2 – 228، انظـر: بـابتي، العـصر الأموي – أدبه وحضارته، ص: 410.

ومدح الشاعر الأشعث القيني خالد بن عبد ا القسري لما كان في سجن يوسف بن عمر الثقفي والي العراق آنذاك، فقال[1]:

ألا إن خير الناس نَفْساً ووالداً ... أَسِيرُ قُرَيْشٍ عِنْدَهَا في السَّلاسِلِ

لعمري لئن عمرتُم السجن خَالِداً ... وأوطأتموه وطأةَ المتثاقلِ

لقد كان نَهّاضاً بِكُلِّ مُلِمَّةٍ ... ومعطي الها غَمْراً كَثِيرَ النَّوافِلِ

وقد كان يبني المكرماتِ لِقَومِهِ ... ويعطي اللها في كُلِّ حَقٍّ وباطِلِ

فإن تسجنوا لا تسجنوا غير اسمه ... ولا تَسجنوا معروفَه في القبائِلِ

فالشاعر القيني نجده يعبر عن رفضه لحبس القسري وتعذيبه، ويؤكد ذلك بتكرار كلمة "تسجنوا" ثلاث مرات في البيت الأخير، ليدلل على أن حبسه لن يجدي، لأن اسمه وخصاله الكريمة وأفعاله الحسنة، قد ذاعت بين القبائل، ولا سبيل إلى حبسها.

كذلك مدح الفرزدق آل القسري، فهاهو يمدح خالداً ببنائه المساجد والمنابر والقباب، فيمجده قائلاً[2]:

وكم لكم من قبةٍ قد بنيتُم ... يطولُ عماد المبتنين عمودها

بنتْها بأيديها بِحيلةِ خالدٍ ... ونَالَ بها أعلى السماءِ يزيدها

قال الشاعر الشرعبي الطائي يصف لخالد بن عبد ا القسري، ما أصاب العرب من قتل، وأسر، وذل في معركة الشعب، وهي من قصائد شعر الهزيمة، يقول[3]:

إلى ا ِ أشْكُو نَبْوةً في قُلُوبِها ... ورعبا ملا أجوافَها يتَوسع

بأنّ بقايانا وأن أميرنا ... إذا ما عددناه الذَّلِيلَ المُوقعُ

1- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 347، انظر: المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد ابن الحسن، (ت421هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د. ط)، 1951م، 927/2 – 928.

2- الفرزدق، ديوانه، 169/1.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 85/7، انظر: عطوان، حسين، نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2005م، ص: 322.

هـم أطْمعـوا خاقـان فينَـا وجنْـده ألا ليتنــا كُنــا هــشيما يزعــزع

وهذا الشاعر خالد بن المعارك العبدي المعروف (بابن عِرس) يـذكر لخالـد القسري ما حل بالعرب من هلاك ودمار في معركة الشعب، يقول[1]:

أيـن حمـاةُ الحـربِ مِـن معـشَرٍ كـانُوا جمـالَ المِنْـسرِ الحـارِدِ

بـادوا بآجـالٍ تواڤـوا لهـا والعـائر الممهـلُ كالبائِـدِ

فـالعين يجـري دمعهـا مـسبلاً مـا لِـدموع العـين مِـن ذائِـدِ

خمـسون ألفـاً قُتِلُـوا ضـيعةً وأنـتَ مِـنْهم رغـوةَ الناشِـدِ

قلادتُـه طَوقًـا علـى نحـرِهِ طَـوقَ الحمـامِ الفـردِ القَـارِدِ

قـصيدةً حبرهـا شَـاعِرٌ تَـسعى بهـا البـرد[2] إلـى خالـدِ

أما سليمان بن عبد الملك فكان غاضباً على خالد القسري في القرشي الـذي استجار بهِ، غير أن القسري ضربه مئةَ سوط، ورجع إلى الخليفة سليمان وأخبـره عن صنع خالد به، فقال الفرزدق يعرض بخالد ويسخر منه[3]:

سـلُوا خالِـداً قـدس ا ُ خالـداً متَـى وليـت قَـسرٌ قُريـشاً تُـدينُها

أقبـلَ رسـولِ ا ِ أم بعـد عهـده فأضحتْ قريشٌ قـد أُغِـثَ سـمينُها؟

رجونـا هـداه لـا هـدى ا ُ سـعيه ومـا أمـه بِـالأُم يهـدي جنِينُهـا

ولما سجن خالد القسري الفرزدق، وطلب منه العفو بعـد سـجنه، مدحـه قائلاً[4]:

هو القائـد الميمـون والكاهـلُ الـذي يثُوب إليهِ النـاس مِـن كُـل وافـدِ

فَهلْ لِابن عبـدِ ا ِ فـي شَـاكِرٌ لكـم لمعـروفٍ إن أطْلَقْـتُم القيـد حامِـد

فالفرزدق؛ شاعر كغيره من أبناء عصره، فهو إذا أعطي رضي، وإن منِع سخط.

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 86/7.

2- البرد: جمع بريد، وهو الرسول.

3- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 190/3.

4-الفرزدق، ديوانه، ص: 140.

كانت وفاة خالد بن عبد ا القسري سنةَ (126هـ/743م)، وكان قـد تـوفي قتلاً تحت التعذيب على يدي يوسف بن عمر الثقفي والي العراق، بأمر من الخليفـة الأموي الوليد الثاني[1].

فهب الشعراء يتوعدون قبائل قيس بالفناء والثأر منها لخالد القـسري، يقـول الشاعر عمران بن هلباء الكلبي الحمصي[2]:

ففــي صــدر المطيــةِ يــا جــلالا وجـدي حبـلَ مـن قَطَـع الوصـالا

ثم يقول: أمام التوازن الذي اعتمدته عصبية الدولة، والذي لم يكن مقدراً لـه دائماً أن يحظى بالتوفيق، كما هي المؤامرة التي تمت من خلالهـا تـصفية خالـد القسري[3]:

فَــإن عــدتم فَــإنّ لنَــا ســيوفاً صــوارم نَــستَجِد لهــا الــصقالا

ســنَبكي خَالِــداً بِمهنــداتٍ ولــا تَــذْهب صــنَائعه ضــلالا

ولما قُتل الوليد بن يزيد افتخر شعراء القبائل اليمانية الشامية بمقتله، فقد عبّـر خالد ابن محمد القسري في شعره عن ابتهاجه بمصرع الوليد بـن يزيـد، ورمـاه بالفسق، وافتخر بقوة اليمانية التي قتلت الوليد، وطوحت بدولة بني أمية، يقول[4]:

قتلنــا الفاسِــقَ المختــالَ لمــا أَضــاع الحــق واتبــع الــضلالا

يــقولُ لِخَالِــدٍ ألا احمِــه بنُــو قحطَــان إِن كَــانُوا رجالَــا

فكيــفَ رأى غَــداة غَــدتْ عليــهِ كَــراديس يــشبهها الجِبالَــا

ألا أبلـغْ بنـي مـروان عنـي بـأنّ الملــك قَــد أَودى فَزالَــا

وهذا خاف بن خليفة البجلي يفتخر بما أحرزته القبائل اليمانية الـشامية مـن نصر عزيز بقتل الوليد بن يزيد، ويشيد بقوتها، يقول[5]:

1-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 162/16.

2-الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 235/7.

3- المصدر، السابق،235/7 – 236.

4-الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 367.

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 260/7 – 261، انظر: عطوان، حسين، الوليد بن يزيد – عرض ونقد – طبع دار الجيل، بيروت، ط1، 1981م، ص: 477.

تـــركنّ أميـــر المـــؤمنين بخالـــدٍ   مكبا علـى خَيـشُومِهِ غيـر سـاجدِ

ما وجه من شعر الشعراء – للجنيد بن عبد الرحمن –:

ولي خراسان وبلاد ما وراء النهر في زمن خلافة هشام بن عبد الملك، وتـوفي الجنيد بمرو، ودفن بها قبل أواخر عام (118هـ)، وقيل (116هـ)، وقـال أحـد الشعراءِ يرثيهِ[1]:

تـــوفي الجـــود والجنيـــد جميعـــاً   فعلـــى الجـــود والجنيـــد الـــسلام

أصـــبحا ثـــاويين فـــي أرض مـــرو   ما تَغَنـتْ علـى الغُـصون الحمـام

كُنْتُمـــا نُزهـــةَ الكـــرامِ فلمـــا   مـت مـاتَ النـدى ومـاتَ الكِـرام

13.4 ما وجه من شعر الشعراء - لعمر بن هبيرة الفزاري –:

مدح عدي بن الرقاع العاملي عمر بن هبيرة الفزاري أحد رجالات عـصره المشهورين بمقطوعة نوه فيها بشجاعته وصلابته، وأشاد بكرمه ونبل أخلاقه، وتغنّى بنسبه العربي الأصيلُ، وبين أن شهرته ملأت الآفاقَ، وأنه ابتعد عن الفواحش، فلـم يقترف شيئًا منها، ونجده في هذه المقطوعة يحذو حذو الشعراء القدماء، ويـستعين ببعض الصور التقليدية لتصوير شخصية الممدوح، يقولُ[2]:

إِذَا شِئْتَ أَن تلقى فتى البـأس والنـدى   وذَا الْحسبِ الزاكـي التليـدِ المقـدمِ

فَكُـــن عمـــراً تـــأتي ولا تعدونـــه   إِلى غَيرِهِ واستخبر النـاس واعلَـمِ

فتـــــى عزلتْ عنْه الفواحشُ كُلها   فَلَـم تَخْـتَلِط مِنْـه بِلحـمٍ ولـا دمِ

وبعد وفاة الخليفة الأموي –عمر بن عبد العزيز- ﷺ عاد الأمويون إلى لعبة تعيين الولاة وعزلهم تبعا للتوازنات القبلية، وقد يسمحون للشعراءعندما يكون قد آن

1- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 616/7، انظر:الكبيسي، عبد المجيد، عصر هشام بن عبـد الملك، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ط1، 1974م، ص: 114- 115، 117.

2- العاملي، ديوانه، ص: 134، انظر : الصلاح، عدي بن الرقاع العاملي – حياته وشعره -، ص: 82 .

الأوان لعزل الوالي، والتعريض به، فنجد الشاعر الفرزدق يمزج الهجـاء بالعتـابِ ليزيد بن عبد الملك في واليه على العراق عمر بن هبيرة الفزاري، يقول[1]:

أميـــر المـــؤمنين لأنـــت امـــرؤٌ ... أمـــينٌ لـــستَ بـــالطبع الحـــريص

أَوليـــــتَ العـــــراقَ ورافديـــــهِ ... فَزاريـــاً أَحـــذ يـــد القمـــيص

ولـــم يـــك قبلـــه راعِـــي مخـــاض ... ليأمنـــه علـــى وركـــي قلـــوص

تَفَيهـــقَ بِـــالْعِراق أبـــو المثنـــى ... وعلـــم قومـــه أكْـــلَ الخبـــيص

والفرزدق في تلك الأبيات يكني عمر بن هبيرة بعبارة "أحز القميص" دلالـة على أنه سارق، وأنه لا يؤتمن أن يأتي الناقة، وهو يعيش عيشة الترف ويأكل قومه "الخبيص" الذي يصنع من التمر والسمن.

14.4 ما وجه من شعر الشعراء – لنصر بن سيار –:

عهد الخليفة هشام بن عبد الملك منذ سنة (120هـ)، بولاية خراسـان إلـى نصر بن سيار، ففي خضم احتدام العصبيات القبلية في هذا الإقليم، اصطنع نـصر المضريين، وقربهم واستعان بهم، فازدهرت الحياة الخراسانية فـي أثنـاء ولايتـه، وصلحت أحوالُ العرب والعجمِ[2]، فقالَ الشاعر سوار بن الأشعر يمدحه[3]:

أَضحتْ خراسان بعـد الخـوفِ آمنـةً ... مِن ظُلْمِ كُـل غَـشُومِ الحكـم جبـار

لمـا أَتَـى يوسـفاً أخبـار مـا لقيـتْ ... اختار نَصرا لهـا نَـصر بـن سـيار

أما في أثناء ولاية أسد بن عبد ا القسري على خراسان، فنجده يزج بنصر بن سيار، ونفرٍ من مضر في السجن، فقال الـشاعر عرفجـة الـدارمي التميمـي

1- الفرزدق، ديوانه، 487/1، انظر: زكي، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثـاني الهجري، ص: 285، انظر: سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص: 314.

2- الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص: 351 – 357، انظر: ملحس، مدخل إلـى أدب العصر الأموي، ص: 206.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1664/9.

يستغرب ويستنكر أن يكون دعاة الخليفة وحماته أمثال نصر بـن سـيار وأعوانـه مقيدين يسامون العذاب والتنكيل في السجن، ويقول مادحاً ومعاتباً في آنٍ واحدٍ[1]:

بكيتُ ولم أَمِلـك دمـوعي وحـق لـي ونَصرٌ شِهاب الحربِ في الغُل موثَـقُ

وكذلك الفرزدق ينظم أبياتًا هدد بها خالد القسري، وشقيقه أسد بن عبد ا لما حبس نصر بن سيار،فهذا التهديد والإنذار صاغه بقوله[2]:

أَخالـدٌ لـولا ا ُ لَـم تُعـطَ طاعـةٌ ولولا بنُو مروان لـم تُوثِقـوا نَـصرا

كان آخر ولاة بني أمية على خراسان نصر بن سيار الذي نـشطت الـدعوة العباسية في عهده، فكان لبني أمية عينًا يقظى بخراسان، وسفيرا مخلصا، ولم يتوان في وأد نار العصبيات القبلية المحتدمة بين أبناء القبائل العربية هناك، وحذر نـصر الثائرين من مغبة هذه العصبيات وخطرها، فهذا الشاعر عباد بن الحارث يـصرخ مستثيراً نصر بن سيار، وناعياً على مضر الاستكانة والخنوع، يقول[3]:

ألا يـا نـصر قـد بـرح الخفـاء وقـد طـال التمنـي والرجـاء

وأصـبحتِ المـزون بـأرض مـرو تقـضي فـي الحكومـةِ مـا تـشاء

وطالت مكاتبات نصر بن سيار للخليفة مروان بن محمد، وإعلامه بـأحوال خراسان، وإظهار أمر الدعوة العباسية، غير أنه لم يجد من يستجيب لندائه، فمروان بن محمد كان مشغولاً بحرب الخوارج، وكذلك واليه عمر بـن هبيـرة الفـزاري المشغول بثورات العراق، فظل نصر بن سيار يجمع القبائـل ويـستنهض هممهـم للوقوف في وجه المد العباسي،وكان نصر بن سيار من الشخصيات الممدحة، فهـذا الشاعر ثابت قطنة مدحة كفاء عطفه عليه، وهو يقرر بأنه دائماً يثق بـه، ويرجـو

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1500/9.

2- المصدر، السابق، 1500/9.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 13/6، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والـبلاد الإيرانية، ص: 57.

الخير منه، ويبجل موهبته الإدارية العسكرية، ويعترفُ بجميل نصر بن سيار عليه، لما أخرجه من السجن يقول[1]:

إذ كـان ظنـي بنـصرٍ صـادقاً أبـدا ... فيما أُدبر مـن نَقْـضي وإمـراري[2]

لا يصرفُ الجند حتـى يـستَفيء بهـم ... نهباً عظيمـاً ويحـوي ملْـك جبـار

وتعثـر الخيـلُ فـي الأقيـادِ آونـةً ... تَحوي النهاب إلى طُلاب أوتار

حتـى يروهـا دويـن الـسرح بارقـةً ... فيها لواءٌ كظل الأجـدل الـضاري[3]

لا يمنـع الثغـر إلا ذو محافظـةٍ ... مـن الخـضارم سـباق بأوتـار

إنّي وإن كنتُ من جذْمِ الـذي نَـضرتْ ... منه الفروع وزندي الثاقب الـواري[4]

فـذاكر منـك أمـراً قـد سـبقتَ بـه ... من كان قبلك يـا نـصر بـن سـيار

نَاضلتَ عني نـضالَ الحـر إذ قَـصرتْ ... دوني العشيرةُ واسـتبطأتُ أنـصاري

وصـار كـل صـديق كنـتُ آملُـه ... ألباً علي ورث الحبـلُ مـن جـاري

ومـا تَلبـستُ بـالأمر الـذي وقعـوا ... بـه علـي ولا دنـستَ أطمـاري[5]

ولا عـصيتُ إمامـاً كـان طاعتُـه ... حقـاً علـي ولا قارفـتُ مـن عـار

وهذا خالد بن المعارك العبدي المعروف بابن عرس، يقلد نصراً مدحةً أخرى، تقديراً لجهوده وبلائه في الدفاع عن الجنود العرب الذين كانوا مع الجنيد بـن عبـد الرحمن المري في الحرب، يقول[6]:

يـا نَـصر أنـتَ فَتَـى نِـزار كُلهـا ... فَلَـك المـآثر والفعـالُ الـأَرفع

فَرجـتَ عـن كُـل القبائـل كُربـةً ... بالشعب حين تَخاضعوا وتَضعضعوا

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/ 1521، انظر:عطوان، الشعر العربي بخراسـان فـي العصر الأموي، ص: 193، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، ص: 163.

2- إمراري: الإمرار: الإحكام والشد.

3- الأجدل: الصقر.

4- الواري: المتقد الملتهب.

5- أطماري: جمع طمر، وهو الثوب البالي الخلق.

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1554/9.

يـــوم الْجنَيـــدِ إذْ الْقَنَـــا متـــشاجِرٌ والنحـــر دامٍ والخوافـــقُ تلمـــع
مـــا زِلْـــتَ تَـــرميهم بـــنفس حـــرةٍ حتـــى تَفَـــرج جمعهـــم وتـــصدعوا
فَالنـــاس كُـــل بعـــدها عتقـــاؤكم ولـــك المكـــارم والمعـــالي أجمـــع

وأبو نُميلة، صالح بن الآبار، مولى بني عبس يمدح نصراً بعد أن عين واليـاً على خراسان، فقد نوه بخصاله الحميدة، وفِعاله الكريمة، يقولُ[1]:

قد كنـتُ فـي هِمـةٍ حيـران مكتئبـاً حتـى كفـاني عبيـد ا ِ تَهمـامي
ناديتـــه فـــسما للمجـــد مبتهجـــاً كغرةِ البـدر جلـى وجـه إظلامـي
فاســم بــرأي أبــي ليــثٍ وصــولتهِ إن كنتَ يوم حفاظٍ بـامرئٍ سـامي
تظفـر بـداك بمـن تمـت مروءتُـه واختـــصه ربـــه منـــه بـــإكرامِ
ماضـــي العـــزائم ليثـــي مـــضاربه على الكريهة يـوم الـروعِ مقـدامِ
لا هـــذِرٌ ســـاحةَ النـــادي ولا مـــذِلٌ فيه ولا مـسكتٌ إسـكاتَ إفحـامِ[2]
لـــه مـــن الحلـــمِ ثوبـــاه ومجلـــسه إذا المجـالس شـانَتْ أهـلَ أحـلامِ

وأشاد أبو نميلة، صالح بن الآبار أيضاً بنصر وسياسته العادلة، يقول[3]:

ولِيتـــــه ليـــــثٌ وأي ولـــــاةٍ بأيـــادٍ بـــيضٍ وأمـــرٍ عظـــيمِ
وحمِـــدنَا ليثًـــا ويأخُـــذُ بالفـــضل ذوو الجـــودِ والنـــدى الحلـــومِ

ويمضي أبو نميلة أيضاً يهجو مغراء بن أحمر النميري القيسي الذي نَقـص نصراً عند الخليفة هشام بأنه شيخ متهالك، ولا يصلح لولاية خراسان، ولكن أبا نميلة عرض بمغراء بن أحمر واصماً إياه بالغدر والخيانة، والتنكر لمـن أحـسن إليـه، يقول[4]:

قَـــاز قِـــدح الكلبـــي فاعتقـــدتْ مغْـراء فـي سـعيهِ عـروقُ لئـيمِ
فلـئن كـان مـنكم لـا يكـون الْغَـدر والكفـــر مِـــن خِـــصال الكـــريمِ

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1724/9.
2- مذل: المذل: الضجر القلق.
3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1724/9.
4- المصدر، السابق، 1721/9 – 1724.

أن في شُكر صالحينا لِما يد — حض قول المرهق الموصوم

قد رأى ا ُ ما أتيت وان — ينقُص نَبح الكلاب زهر النجوم

وبعد هذه الحادثة اعتذرت القيسية لنصر، ولكنه لم يقبل عذرهم، فقال أحد الشعراء في ذلك يهجو القيسية[1]:

لقد بغض ا ُ الكرام إليكم — كما بغّض الرحمن قيسا إلى نصرِ

رأيتُ أبا ليثٍ يهين سراتهم — ويدني إليه كُل ذِي والثٍ غُمرِ

اتخذ نصر بن سيار منذ ولي خراسان مجموعة من الإجراءات السياسية والإدارية، إذ تخلى عن العصبية القبلية، وأشرك القبائل من ربيعة واليمن في الوظائف، واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمي على "قوهشان" من بلاد خراسان، فدعا المغيرة قومه من بكر بمبايعة نصر فبايعوه، ونجده يثني على نصر، ويشيد به لتمكينه للعرب بخراسان، يقول[2]:

أقولُ لِنَصرٍ وبايعتُه — على جل بكرٍ وأحلافها

يدِي لك رهنٌ ببكر العراق سيدها وابن وصافها

وطدتَ خراسان للمسلمين — ذا الأرض همت بإرجافها[3]

فقد ثبتت بك أقدامنا — إذا انهار منهار أجرافها

وفي غزو نصر بن سيار لبلاد ما وراء النهر، ونجاح حملته العسكرية، يقول الشاعر صالح بن الآبار، مفتخراً ومشيداً ببطولات نصر[4]:

كُنا وأوبةُ نَصرٍ بعد غيبته — كراقبِ النوءِ حتّى جاده المطر

أودى بـرم[5] منه عارضٌ بردٌ — مسترجِفٌ[6] بمنايا القوم منهمر

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1725/9.

2- المصدر، السابق،1847/9.

3- بإرجافها: (الإرجاف) – التزلزل.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1663/9.

5- بأخرم: (أخرم) – فارس تركي.

6- مسترجف: خافق مضطرب.

أما الهجاء فتعددت أنواعه، وفقاً لتنوع أسبابه وغاياته ودوافعه ومقاصده، فإما أن يكون القصد من ورائه هجاء قبلي مبني على العصبية، أو حربي مبني على أُطر سياسية بوجوب تحزب الوالي لهم، وخصهم بالمناصب المتاحة لتعويض ما فقدوه من المراكز والمنافع في الفترات السابقة، ومن الشواهد على ذلك،هذه المقطوعة لأبي الأنواح مطرف الهجيمي، في هجاء نصر بن سيار[1]:

ألا أبلغْ أبا ليثٍ رسولاً	**علانيةً وليس مِن السرار**
أإن أُدنِيتَ أو أُعطِيتَ قصراً	**ووافقتَ المعيشة في قرار**
ظِلْلتَ علي من أَشَرٍ تَنزى	**ستعلم في الكريهة من تُجاري**
فذر أهلَ الحروبِ فلستَ منهم	**وراجع صفقَ كفك في التجار[2]**
فتلك تجارةٌ إن قلتَ فيها	**صدقتَ حديثها ليستْ بعار**

لقد ذم أبو الأنواح نصراً بأنه حديث النعمة، طارئ على الرئاسة، هيوب في القتال، بارع في التجارة؛ لأنه أهمله ولم يبوئه المنصب الذي كان يطمع فيه، وهو زعيم بني تميم في أيامه بخراسان، لا شك في أن اشتداد العصبية القبيلة والتحالفات الحزبية على الحكم وسياسته، وما ارتبطت به من المنافع السياسية والمادية كانت مصدر كل خلاف وتباغض واقتتال، فقد سيطرت كل هذه العوامل على وجدان كل قبيلة، وحددت اتجاهاتها وحملتها على إهمال فكرة الأمة والوحدة، الأمر الذي كان نتيجة من نتائج وأسباب أدت إلى سقوط دولة الخلافة العربية الأموية.

15.4 الدراسة الفنية:

سنحاول في هذا الفصل أن ندرس بنية هذا الشعر ولغته ومعانيه والصور البلاغية فيه، وليس من السهل أن نجد سماتٍ فنية مشتركة توحد الشعر الذي بين أيدينا، فيما نظمه الولاة ووجهوه، أو ما وجه إليهم، ونجعل منه ظاهرةً فنيةً واحدةً، أو اتجاه فني معين، وتشتمل على:

1- المرزباني، أبو عبد ا ، محمد بن عمران، (ت384هـ)، معجم الشعراء، تحقيق: عبدالستار فراج، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1960م، ص: 306.

2- صفْقَ: (الصفق) – التبايع، وضرب اليد على اليد.

1.15.4 البناء الفني:

يمكن القول: إن الولاة في العصر الأموي لم ينظموا شعرهم في قصائد طويلة، وإنما صاغوه في قصائد ومقطوعات قصيرة، فلو استثنينا منهم النعمان بن بشير الأنصاري، فإننا لا نجد من بينهم شاعراً بنى شعره بناء تقليدياً بما عرف به الشعر الجاهلي أو بعض أشعار الإسلاميين، بل نجد أنهم نظموا مجموعة من المقطوعات والقصائد القصيرة في الأحداث السياسية والفتن والعصبيات القبلية والمفاخرات والمنافرات التي طرقها الشعراء قبلهم.

ولكن الولاة في العصر الأموي أسهموا في تطوير أغراض شعرية عديدة كفن الهجاء، وشاركوا بسياستهم في تشكيل فن النقائض ورفده بجملة من المقطوعات والقصائد الطويلة، وأغدقوا على شعرائها الهبات والعطايا إثر مساندتهم لبني أمية وحكمهم، فكانوا منابر تأييد لبني أمية وسياستهم، والذود عنهم أمام معارضيهم.

لا شك في أن شعر الولاة تمت صياغته بمقطوعات مستقلة استخدموا فيها الأوزان الطويلة والقصيرة والمجزوءة، كما في الرثاء والفخر، والعتاب، والحكم والمواعظ والاعتذار، والهجاء السياسي الوارد على لسان النعمان بن بشير لمعاوية بن أبي سفيان، حيث زاوج بين التقليد والتجديد، ونراه يفتتح قصيدته الميمية في تهديد معاوية بالغزل، ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه وأجداده، ويذكر صفاتهم من جود وشجاعة وحلم، ويفخر أيضاً بهم في نصرة الإسلام، ويمضي بعد ذلك إلى تهديد معاوية وتوعده، ومن ثم يختمها بالمدح لبني هاشم، يقول[1]:

وإني أَنَا النعمان أَمسيتُ بارزاً ... لِيعرفَني في الناس من هو عالِم

نَصرنا رسولَ اللهِ إذْ حل بيننَا ... بِأسيافِنَا بكل من هو ظالِم

معاوي إِلا تُعطِنَا الحق تَعترفْ ... لِحى الأزدِ مأويا عليها الْعمائِم

1- الهمذاني، أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ)، كتاب الإكليل، تحقيق: محمد ابن علي الأكوع، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط 1، 1980م، 207/2، انظر: الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 150، انظر: الفايز، شعر القبائل اليمانية والشامية في العصر الأموي، ص: 56- 58 .

لذا، يمثل شعر النعمان بن بشير شعر الحضارة لما فيه من سهولة وعذوبة وبساطة، ومن قصائدهم التي نلمس فيها الجدة، وما جمع فيها من الصور والتراكيب ما أغنى الشاعر عن التفاصيل.

وقد وفق بعض الشعراء في اختيار مطالع قصائدهم من حيث استخدام الألفاظ المناسبة، والمعاني الرشيقة، والأسلوب الواضح، ويعد حسن التخلص شرطاً أساساً في القصيدة الجيدة، فالشعراء الجيدون هم الذين يحسنون الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة، ومن أمثلة حسن التخلص قول الأقيبل القيني متخلصاً من وصف حمولة صاحبته إلى الحديث عن قصته مع الحجاج بن يوسف الثقفي الذي توعده بالقتل، يقول[1]:

إِني لأعلم والأقدار غالبةٌ   أن انطلاقي إلى الحجاج تغرير

2.15.4 اللغة والمعاني:

يمكن القول: أن لغة الشعر بعامة لغة جزلة رصينة تجري على الطبع والذوق السليم، فكانت معاني هذا الشعر في جملتها تقليدية مكررة، وخاصة في الفخر والهجاء، بسبب ترسخ قيم الموروث الجاهلي في نفوس كثير من الشعراء، أما في المديح والرثاء، فقد راوح الشعراء بين المعاني الجاهلية والمعاني الإسلامية، وكذلك موضوعات كالغزل والتهنئة، فإنهما يستخدمان الألفاظ الرقيقة والمعاني الحضرية العذبة، ومثال ذلك قول النعمان بن بشير الأنصاري، يقول[2]:

إِني لعمر أَبيكِ يا ابنةَ هانئ[3]   لو تَصحبين ركائبي لَشَقِيتِ

1- الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص: 26، انظر: الفايز، شعر القبائل اليمانية والشامية، ص: 220 .

2- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 138، انظر : الفايز، شعر القبائل اليمانية والشامية، ص: 228 .

3- ابنة هانئ: هي زوج النعمان بن بشير الأنصاري، " ليلى " .

وتأثروا كذلك بأسلوب القرآن الكريم ولغته، وظهرت الألفاظ والمعاني الدينية، والقصص القرآني في أشعارهم، فذكروا (مثلاً) قصة (هود) عليه السلام، وأضـفوا ذلك على سورة الحجاج، يقول[1]:

دعــا أهــل العــراق دعــاء هــود   وقــد ظلــوا ضــلالةَ قــوم هــودِ

ولا يفتأ جرير يجري المقارنة بين واقعة بدر التي تنزلت فيها الملائكة عوناً للمسلمين، وبين وقائع الحجاج بأعدائه، يقول[2]:

ولــو لــم يــرض ربــك لــم ينــزل   مــع النــصر الملائكــة الفــضايا

3.15.4 المحسنات اللفظية والمعنوية:

وردت في أشعارهم ألوان من المحـسنات اللفظيـة والمعنويـة: كالتـصوير والطباق والتقسيم والمبالغة والاحتراس والتفسير، فمن المحسنات اللفظية: الجنـاس الاشتقاقي، كقول النعمان بن بشير يجانس بين "بدر وتبتدركم"، في قوله[3]:

ألــم تبتــدِركم يــوم بــدرٍ ســيوفُنا   وليلــك عمّــا نــاب قومــك نَــائم

ومن الطباق، قول المسيب بن رفل الكلبي[4]:

قَتَلْنَــا يزيــد بــن المهلــبِ بعــدما   تَمنيــتُم أن يغلــب الحــق باطِلَــه

فقد طبق الشعار في فخره وافتخاره بقتل يزيد بن المهلب بين كلمتـي (الحـق والباطل)، تدل هذه المحسنات اللفظية والمعنوية على مهارة الشعراء فـي اسـتخدام اللغة وتجويد المعنى وتوضيحه، وتزيد في جمال الشعر وروعته.

4.15.4 الصور البلاغية:

كان ازدهار الشعر في العصر الأموي من الظواهر التي لمسها النقاد وعرفوا ما فيه من جمال الصور، وجودة التشبيهات، لذا، ظهر في شعرهم الصور البيانيـة

1- الخطفي، ديوانه، ص: 95، 315، 353.

2- الخطفي، ديوانه،، ص: 51.

3- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 155 .

4- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص: 278 .

كالتشبيه الذي يعد من أبرز الفنون البلاغية، وذلك لأنه أقرب وسيلة للإبانة والتأكيد والإيضاح واللطافة والجمال، فكثرت التشبيهات في أشعار العرب، وصارت وسـيلة مهمة للتعبير، وفي ذلك يقول العسكري: "والتشبيه يزيد المعنى وضـوحاً، ويكـسبه تأكيداً "[1]، لذا، أكثر الشعراء من استخدام التشبيه، واستمدوا عناصره مـن البيئـة الطبيعية الحية، والصامتة، فعرضوا للتشبيه بالحيوان كالأسد فـي تـشبيه المقاتـل الشجاع لتوفر القوة في كليهما، وفي ذلك يقول كعب الأشقري في وصفه للمحاربين في جيش المهلب بن أبي صفرة[2]:

بِفتيــةٍ كأُســودِ الغــابِ لــم يجــدوا غير التأسِي وغيـر الـصبر معتَـصِما

وقد شبه بعض الشعراء جباة الضرائب في الأقاليم والكور بالذئاب لجشعهم، فهذا كعب الأشقري، يقول[3]:

إن كُنْــتَ تحفَــظُ مــا يليــك فإنّمــا عمــالُ أرضِــك فــي الــبلادِ ذِئــاب

ووردت في أشعارهم الأساليب البلاغية كالاستفهام والأمر والنهي، والوصـف لمظاهر الطبيعة، ومن صوره الطريفة (مثلاً) وصف الخيل، والبـرق، والحيـوان، والليل، والمطر، والندى، واعتمدوا في تـشكيل صـورهم البيانيـة كـذلك علـى التشبيهات، وتشبيه الشيء بالشيء هيئة وصورة، والحركة واللون والصوت معتمدين على البيئة، فانتزعوا كثيراً من صورهم وتشبيهاتهم منها كقول النعمان بن بـشير، يشبه السهول الممتدة بالبسط المزركشة [4]:

إذا الغــائِطُ المــروتُ أمــسى كأنــه يرى في شُعاعِ الـشمسِ بـرداً منَمنَمـا

وقول النعمان بن بشير، يشبه شيبه بنبات الثغام[5] :

فَكيــفَ ولــون الــرأسِ مِنــي كأنــه ثُغَـام يرجّـي رد نـأي وعـائِم

1- العسكري، كتاب: الصناعتين – النثر والشعر، ص: 243 .

2- القيسي، شعراء أمويون، 390/2.

3- المرجع، السابق، 2/ 394 .

4- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 23 .

5- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 124 .

وقامت بعض صورهم على الاستعارة، وهي أفضل المجـاز، وأول أبـواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت بموضعها[1]، والاستعارة إذن، لون من ألوان التعبير المجازي تميـل إلـى التخيل والمبالغة، وهي أبلغ في النفس، وأجمل من التشبيه، وأكثر قدرة على تصوير المعنى ويشير إلى ذلك الجرجاني، قائلاً: "والتشبيه كالأصل في الاستعارة، وهـي شبيهة بالفرع له، أو صورة مقتضبة عنه" [2]، لذا، أكثر الـشعراء مـن اسـتخدام الاستعارة في نظمهم، ومن نماذج ذلك عند الشعراء، قول ثابت قطنـة فـي مـدح المهلب بن أبي صفرة [3]:

غَيثَـاً لَـدى أَزمَـةٍ غَبـراء شَـاتِيَةٍ مِـن الـسِنِين ومـأوى كُـل مِـسكِين

فالاستعارة في البيت السابق، جاءت في لفظتـي (غيثـاً ومـأوى)، وهمـا استعارتان تصريحيتان، إذ حذف المشبه وهو (الممدوح) وأبقى المشبه به.

واستخدم بعض الشعراء جملة من أساليب الأمر والاستفهام والنهي، وأخرجوها عن معانيها الحقيقية إلى معان بلاغية، فمن الاستفهام الإنكاري، قول النعمـان بـن بشير يخاطب معاوية بن أبي سفيان [4] :

أَيـشْتُمنا عبـد الأراقـم ضـلةً؟ وماذا الذي تُجـدي عليـك الـأَراقِم ؟ !

ومن النهي المبني على معنى التهديد، قول النعمان بن بشير، لمعاوية بن أبي سفيان [5]:

فـلا تَـشْتُمنَا يـا ابـن حـربٍ فَإنمـا تَرقـى إلـى تلـك الأمـور الأشَـائِم

1- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 1/ 268 .

2- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471هـ)، أسرار البلاغة، تعليـق وشـرح: محمد رشيد رضا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط3، 1939م، ص: 22.

3- العتكي، شعره، ص: 65، انظر: ياسين، الشعر العربي في ظل بني المهلب فـي العـصر الأموي، ص: 139.

4- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 151 .

5- الأنصاري، النعمان بن بشير، شعره، ص: 157 .

5.15.4 الرجز:

إن الحروب الطاحنة والمعارك الشديدة القاسية لا نجد ما يناسبها، ويذكي نار الحماسة في نفوس أصحابها مثل (الرجز)؛ لما فيه من التجاوب الموسيقي القوي، ولما في وزنه من سهولة تلائم حركات الأبطال السريعة، واندفاعهم في ساحات الوغى دون أن يشعروا بجهد وهم ينشدون[1]، ومن نماذجه في الهجاء ما وجهه الشاعر عثمان بن مسعود العبسي الى قتيبة بن مسلم الباهلي، وقائده حضين بن المنذر، يقول[2] :

تُغْري حضيناً، وحضينٌ عائلة يشْتُم عِرضي هبلتك الْهابِلة

تَبغى سِقاطِي، بالقومِ باهلة قبيلةٌ في الأولين واغِلة

وهكذا نرى في بعض الأراجيز ما يلقي ظلالاً على بعض الجوانب التاريخية والسياسية في بلاد خراسان.

6.15.4 الصدق والأصالة في الصياغة اللفظية:

عنصران أساسيان في الشعر يمثلان الأوضاع السياسية والحربية والاجتماعية، إذ كان أكثر الشعراء جنوداً برزوا في الحروب والفتن والأحداث الداخلية من جميع الأحزاب الأموية، ومن أهم العوامل التي تبعث الشاعر على أن ينظم المدائح الشعرية، ويجيد في وصف تلك الحروب وأهوالها، ومن هذا اللون، ما وصف به الشاعر كعب الأشقري إحدى معاركه مع المهلب، إذ يقول[3]:

إليهم وفِيهم منْتَهى الحزمِ والندى وللكربِ فيهم والخصاصةِ فَاسِح

هنَاك قَذَفْنَا بالرماح فَماثلٌ هنَالك في جمع الفريقين رائح[4]

ودرنا كما دارتْ على قُطْبِها الرحى ودارتْ على هامِ الرجال الصفائح

1- الغزي، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، ص: 215 .

2- المرزباني، معجم الشعراء، ص: 90 .

3- الجاحظ، كتاب: الحيوان، 8 / 428، انظر: الغزي، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، ص: 218.

4- رائح : مغشى عليه .

وواضح من تلك الأبيات، أن الشاعر كعب الأشقري تمكن من أن يعطينا وصفاً جميلاً لهذه المعركة في ألفاظ جزلة قوية، مع جودة المعنى وجمالية اللفظ، وعمـق التجربة، حيث صدق الصورة لواقع مشهود صاغه الشاعر الأشقري عن تجربة فنية يلتقي فيها صدق الواقع وأصالته بصفاء الطبع ورقة الإحـساس، إذ رسـم صـورة التفاف الجيش حول العدو بمثابة الرحى الدائرة على قطبها، وكمـا تـدور الرحـى دارت تلك السيوف على هام العدو.

ولا شك في أن براعة الشاعر ثابت قطنة في مدحيته لأسد بن عبدا القسري أثناء معركته مع الترك، واختياره لكلماتها النابضة بالمعاني الحية، جعلتـه يعبـر، قائلاً[1]:

أرى أسداً فـي الحـربِ إن نزلـتْ بـه وقـارع أهـلَ الحـربِ فـاز وأوجبـا

أتَتْـك وفـود التـركِ مـا بـين كابـلَ وغُورين إذْ لـم يهربـوا مِنْـك مهربـا

وكذلك يمضي الشاعر أبو الجويرية عيسى بن عاصمة في رثاء الجنيد، حيث يقرن الجود بالجنيد وجعلهما "نزهة الكرام"، يقول[2]:

هلـك الجـود والجنَيـد جميعـاً فعلـى الجـودِ والجنيـدِ الـسلام

7.15.4 العفوية:

يلاحظ أن للعفوية أثرها الكبير في شعر الشعراء الذين عاشوا فـي خراسـان حيث كانوا يسيرون على هديها، فتستجيب لهم القوافي طيعة سلسة لا تكلف فيهـا، ومن نماذجه الكثيرة، نختار ما قاله الشاعر حاجب الفيل في مديح يزيد بن المهلـب، والإشادة بكرمه وجوده، يقول[3]:

يداه يدٌ يجـزي بهـا ا ُ مـن عـصى وفـي يـدهِ الأخـرى حيـاةُ المعـصبِ

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 391، انظر: الغزي، الشعر الأمـوي فـي خراسـان والبلاد الإيرانية، ص: 220- 221.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 427، انظر: الغزي، الشعر الأمـوي فـي خراسـان والبلاد الإيرانية، ص:221 .

3- الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الكتب، 14/ 267.

ولم تحل هذه العفوية أن تدفع بالشاعر ثابت قطنة،وهو في سـجنه أن يمـدح ويفخر بنصر بن سيار، ذاكراً فضائله عليه[1]:

لذاكِرٍ منك فـضلاً قَـد سبـقتَ بِـهِ من كان قَبلَـك يـا نـصر بـن سـيار

8.15.4 الروح الخطابية:

من السمات المميزة في أدب الولاة شيوع اللهجة الخطابية، ولا سيما إذا ما تحدثوا عن المعارك الحربية والفتن الداخلية التي خاضوها، على نحو ما نجد عند الشاعركعب الأشقري في مدحه وثنائه للمهلب بن أبي صفرة، يقول[2]:

طـوالاتُ المنـون يـصِرن إلا إذا سار المهلـب حيـثُ سـارا

فلولا الـشيخُ بالمـصرين ينفـي عـدوهم، لقَـد تَركُـوا الـديارا

وهذه القصيدة تجري كلها على منوال واحد من الجزالة والسهولة اللفظية، وكأنها حديث شعري متسلسل بعيد عن التكلف والتعقيد.

9.15.4 الصناعة في الشعر:

يحرص كل شاعر في نظمه لمقطوعاته القـصيرة علـى التـأني والتجويـد والتحبير، وإشاعة المحاسن الصوتية والمعنوية، والبحث عن الكلمة الموحية والمعنى المستطرف، فمن ذلك ما يقوله زياد الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلب[3]:

فـانع المغيـرةَ للمغيـرةِ إذ غَـدتْ شـعواء مجحِـرةً لِنَـبح النـابِح

فالشاعر في هذا البيت نجده جانس بين المغيرة الذي هو ابن المهلـب، وبـين الخيل المغيرة، وانظر (أيضا) إلى قول الشاعر المغيرة بن حبناء مفتخراً بالبـاهلي قتيبة بن مسلم - بعد أن قتل "نيزك وصولاً" [4]:

---

1 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 399.

2 - الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الكتب، 14/ 297، انظر: الغزي، الـشعر الأمـوي فـي خراسان والبلاد الإيرانية، ص:223.

3 - الأعجم، شعره، ص: 58.

4 - ابن منظور، لسان العرب، 13/ 411.

وتركـتَ صـولاً حـين صـالَ مجـدلاً يـــــركبنه بـــدوابِرٍ وحـــوامي

لا شك في أن هذه الصنعة الشعرية في البيت السابق تمثلت في كلمتي "صول" و"صال" ومعناه (سطا)، وأما الحوك الشعري فيبدو واضحاً في مطابقة زياد الأعجم بين كذب الجواد وبين صدق البخيل، حين هجا المهلب بن أبي صفرة، يقول[1]:

لا خيـــر فـــي كـــذبِ الجـــوا دِ، وحبـــذا صِـــدقُ البخيـــلِ

10.15.4 الخصائص - البنائية والشكلية - وجاءت على شكلين:

أ- مقطوعات قصيرة وأبيات متناثرة:

تشكل المقطوعات الشعرية الجزء الأكبر من الشعر الذي بين أيدينا للـولاة، "وهذا لا يعني انعدام القصائد والمطولات لديهم"[2]، ولعل أغزر الولاة إنتاجاً ونظماً للشعر النعمان بن بشير الأنصاري، وإذا عرجنا في دراستنا على الـشعراء الـذين لازموا الولاة وأرباب السياسة، أو وفدوا عليهم؛ فإننا نجد المقطوعـات الـشعرية القصيرة غلبت على المطولات من القصائد حتى بدت ظاهرة عند أولئك الـشعراء الذين لازموا الولاة، وشاركوهم ظروف العصر وأحواله، كثابت قطنة، والمغيرة بن حبناء، وزياد الأعجم، ونهار بن توسعة، وكعب الأشقري، وغيرهم كثير، ويمكن أن نرجع شيوع ظاهرة المقطوعات في العصر الأموي لتتماشى مـع طبيعـة الحيـاة السياسية، وحركة الفتوح والثورات الداخلية التي بانت في هذا العصر، ولعل أبـرز خصائص المقطوعات الشعرية، أنها عالجت موضوعاً واحداً، فالشاعر يلـج إلـى الموضوع، أو الفكرة التي يريد التعبير عنها دون مقدمات تقليدية مع توفر الوحـدة الموضوعية في مقطوعاتهم، ومن النماذج التـي يمكـن الاستـشهاد بهـا علـى المقطوعات، مقطوعة الشاعر كعب الأشقري التي توجه بها إلى يزيد بن المهلـب معتذراً "ونادماً" على ما بدر منه بعد أن تم عزله عن ولاية خراسان، وتولاها قتيبة

1 - الأعجم، شعره، ص: 94.

2- ياسين، الشعر العربي في ظل بني المهلب في العصر الأموي، ص:95.

بن مسلم الباهلي، ففي مقطوعته التالية يذكر الأشقري سوء حاله لما استجد به المقام في عمان، ويذكر الحياة الكريمة الهادئة المستقرة في خراسان، يقول[1]:

بـئس التبـدلُ مِـن مـروِ وسـاكِنِها أرض عمان وسكْنى تَحـتَ أطْـوادِ

يضحي السحاب مطِيراً دون منْـصِفِها كأن أجبالهـا علـتْ[2] بِفُرصـادِ[3]

وهذه مقطوعة أخرى للشاعر ثابت قطنة يرثي فيها يزيد بن المهلب، وقد تجلت فيها عاطفة واحدة، مع وحدة الموضوع والترابط المحكم بين أبياتها، وفـي رثائـه يوجه اللوم والتقريع للقبائل التي أسلمت يزيد بن المهلب للقتل، وهـي مقطوعـة لا تتجاوز خمسة أبيات، يقول[4]:

كُـل القبائـل بـايعوك علـى الـذي تـدعو إليـهِ وتـابعوك وسـاروا

حتـى إذا اختلفـت القنـا وجعلْـتَهم نُصب الأسِنةِ أسـلموك وطـاروا

وهناك مقطوعات أخرى عديدة تناولت موضوعاً واحداً، ولذا اكتفيت بإيراد هذه النماذج توخياً للإيجاز.

ب - القصائد المطولات:

إلى جانب المقطوعات القصيرة التي حملت في طياتها موضوعاً واحداً، وجدت قصائد أخرى طويلة جسدت السمات الفنية للقصيدة العربية، ومن القصائد المطولات قصيدة زياد الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلب،التي بلغت سبعةً وخمـسين بيتـاً، يذكر المرثي بأنه أحد أبطال الحروب وفرسانها والممول للغزاة، يقول [5]:

قُلْ للقوافـل والغـزي إذا غَـزوا والبـــاكرين وللمجـــدِ الـــرائح

إن الـسماحةَ والـشجاعةَ ضـمنا قبراً بِمرو علـى الطريـق الواضـح

1- القيسي، شعراء أمويون، 394/2.

2- علتْ: سقِيتْ.

3- فُرصاد:صبغة حمراء.

4- العتكي، شعره، ص:49.

5- الأعجم، شعره، ص:57.

11.15.4 الخصائص اللفظية، وتتمثل في:

أ- الألفاظ والتراكيب:

لا شك أنها أوعية المعاني والأفكار، ووسائل لنقلها وإيصالها للمتلقين سواء أكان نثراً فنياً أم شعراً، فالألفاظ والتراكيب إذن، تختلف باختلاف الأغراض الشعرية والمعاني التي يتناولها الشعراء، فكثير من النصوص الشعرية فيها مدح وتمجيد وفخر لشخصيات تتجلى فيها عناصر الكرم والبطولة، وبعضها مفاخرات ومنافرات نتجت عن العصبيات القبلية، وبعضها الآخر يفيض بالنهج السياسي الحزبي والحربي، ووصف للمعارك والثورات، وفيها رثاء وتحسر، وعلى منوالها تهديد ووعيد،حيث جد واجتهد الشعراء في إبرازها، فكانوا بحاجة إلى صياغتها بألفاظ جزلة وتراكيب متينة، تمثلت في وصف كعب الأشقري للقتال الذي دار بين جيش المهلب بن أبي صفرة والأزارقة في (سابور)، حيث تتجلى جزالة الألفاظ، ومتانة التراكيب، يقول[1] :

حتى اجتَمعنا بسابور الجنود وقد شَّبتْ لنا ولهم نارٌ لها شَرر

نَلقى مساعير أبطالاً كأنهم جن نُقَارعهم ما مِثْلُهم بشَر

ب- التكرار:

يعد من الظواهر الموسيقية، ومن الأساليب التي لجأ إليها الشعراء لغرض إيضاح الكلام والإقناع به، يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب التكرير والإعادة،وإرادة الإبلاغ بحسب القناعة بالأمر" [2]، ولا بد من التنويه لهذه الظاهرة من خلال عرض بعض النماذج الشعرية، كقول نصر بن سيار[3]:

لقد بغض ا ُ الكرام إليكم كما بغّض الرحمن قَيساً إلى نَصر

1- القيسي، شعراء أمويون، 398/2.

2- ابن فارس، أبو الحسن، (ت 395ه)، كتاب: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة: بدران للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1963م، ص:207 .

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1725/9.

ومن الفنون البديعية التي تساهم في بناء الموسيقى الداخلية للقصيدة وتنويعها، أو إظهار النغم وتقويته إلى جانب مضامينها الأخرى[1]، واستخدام الجناس الذي يعتمد على التكرار في الحروف والألفاظ والتراكيب، مما يؤدي إلى حدوث انسجام موسيقي داخل النص الشعري[2]، ومن نماذجه، قول الشاعر المغيرة بن حبناء في مدح المهلب ابن أبي صفرة[3]:

كفَى وشَفَى النُفوس أبو سعيدٍ وقد أعيى علينا كُل باب

فقد جانس الشاعر في (البيت السابق) بين كلمتي (كفى وشفى) وكلاهما من حروف اللسان، ولم يتباعدا في المخرج الصوتي.

ج- المجاز:

أسلوب تعبيري من وسائل البيان يقوم بنقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة وملابسة، ومن نماذج هذا اللون الذي شاع في مدح الولاة والقادة ووصفهم، قول الفرزدق[4]:

كأن المهلب للعراق سكينةٌ وحيا الربيع ومعقِلَ الفُرار

فقد ورد المجاز في لفظ العراق، حيث أطلقه مجازاً، وإنما أراد (أهل العراق) ومن قطنه.

من خلال دراستنا لأدب الولاة في باب ما قالوه ونظموه ووجهوه، وفي المقام الآخر ما وجه إليهم من شعر الشعراء تبين لنا أنه يحاكي نمطية القصيدة الجاهلية، يقول عبد القادر القط: " فقد كان الشعر الجاهلي هو التراث الأوحد للشعراء في العصر الأموي، منه يتعلمون وعليه يتخرجون"[5]، فجاءت جل قصائدهم مشابهة إلى حد بعيد للقصائد الجاهلية، من حيث البناء والموضوعات والألفاظ، وهي قصائد كما

1- المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، 71/2.

2- ياسين، الشعر العربي في ظل بني المهلب في العصر الأموي، ص:126.

3- القيسي، شعراء أمويون، 81/3.

4- الفرزدق، ديوانه، 305/1 .

5- القط، عبد القادر، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1979م، ص:213.

يقول الجبوري: "كانت تسير على نظام معين ونسق موروث سنه القدماء منذ عهد متقدم في الجاهلية، وسار على نهجهم كثير من شعراء العصر الأموي والعباسي على تفاوت في مقدار التبعية والالتزام "[1].

ثم إن ثقافة الأديب وبيئته وتاريخه السياسي والثقافي والفكري والأدبي تترجم إلى الواقع الملموس، فكان ذا أثر لا ينكر، كما أن لأخلاق الأديب وصفاته، وحالته العامة والخاصة، وعلاقاته، ومزاجه، وظروف العصر، وثقافته وإحاطته بالتراجم والسير تأثيراً كبيراً وبيناً في عوامل نهضة الأدب الأموي،[2] يقول عبد الرزاق حميدة: "وقل أن يذكر في هذا العصر شعر أو خطابة أو خبر من غير أن يكون له صلة بهؤلاء الخلفاء والولاة والأعيان، ولكن تاريخ الأدب أخر هؤلاء عن مرتبتهم، وتحدث عن أثرهم في الأدب عرضا مع أنهم أصحاب التوجيه العظيم للأدب والأدباء، وبيان مدى تأثيرهم في الأدب وبخاصة في الشعر الأموي، وإذا كانت الخطابة في عصرهم قد بلغت الذروة، فقد كانوا السابقين إلى ذرا المنابر، وإذا كان الشعر نحا مناحي خاصة في عصرهم، وأشهرها والسياسة والهجاء فقد كانوا الآخذين بزمام الشعراء إلى هذه النواحي،ومن أجل هذا كان التاريخ السياسي في عصرهم لازماً للكشف عن العوامل التي وجهت الأدب وأثرت في الأدباء".[3]

فهذا الدور الذي لعبه الولاة والقادة والشعراء خلق حركة شعرية رسمت بوضوح روح العصر وأحداثه وصراعاته، لكن اتجاهات الشعر ظلت بارزةً في أغراضه الرئيسة التي أكثر الشعراء من طرقها، وأجادوا فيها إجادةً واضحةً، وفي طليعة هذه الأغراض: المديح والثناء، والهجاء، والرثاء، والوصف.

1- الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي – خصائصه وفنونه – دار التربية، بغداد، ط1، 1972م، ص:125.

2- حميدة، عبد الرزاق، أدب الخلفاء الأمويين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1949م، ص:25.

3- حميدة، أدب الخلفاء الأمويين، ص:6.

أما الأغراض الثانوية، فجاءت في أشعارهم لماماً ضمن الأغراض الرئيـسة، كالفخر، والحكمة، والاعتذار، والعتاب والشكوى، والحنين والطرد والـصيد الـذي انتقل تأثيره إلى أدب العصر العباسي و ما تلاه من عصور.

الخاتمة:

حمل أدب الولاة مسلمات عقائدية، ومبادئ اجتماعية وسياسية واكبت تطـور الحياة الأموية الجديدة، فمن هنا لم يعد الأدب بشقيه النثري والـشعري تابعـاً، بـل تعبيراً عن ألوان الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والإدارية، فالأدباء على تباين نزعاتهم، نجدهم يمثلون جوانب متباينة من الحياة الأموية، كذلك وفي بيئاتها الواسعة والمختلفة.

نرى أن أدب الولاة في العصر الأموي كان شديد التأثر بأحداث العـصر، إذ دخل في الخصومات السياسية، ودافع عن السلطة الأموية الحاكمة، وسـخط علـى خصومه السياسيين والعقائديين.

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة كان لابد من الوقوف على طبيعة الحيـاة السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والإدارية التي زامنت فترة بحثنـا، لنـرى أثرها في حياة المجتمع،وما حققته من رؤى جديدة لأدب الولاة في هذا العصر.

وكنتيجة طبيعية لتعدد الأحزاب السياسية والفرق المذهبية برزت على الساحة ذاتها مستجدات لم تكن مألوفة من قبل، تمثلت بأحزاب متصادمة ومتصارعة،هي الحزب الأموي، والأنصار، والشيعة، والخوارج، والزبيريين، تغذيها أهواء جديدة، وتخضع بمجملها لميول وآراء ومعتقدات حزبية حول الخلافة الأموية.

وحاولت في الفصل الثاني دارسة النثر الأموي والمتمثل في الخطابة الأمويـة الخاصة بتلك الفترة، والتي غدت سجلاً جامعاً وصادقاً في تصوير ونقل وقائع تلـك الفترة الزمنية، ابتداء بدقائق الأمور وانتهاء بأحداثها الجسام.

ولما كان الأدب الأموي ثمرة من ثمار الثقافة والمعرفة والتواصل الحضاري، فقد تبلورت فيه طائفة من الأفكار والمبادئ، فجاء الفن الخطابي تفسيراً وتعليلاً لكثير من الحوادث التاريخية والظواهر السياسية والفكرية والإدارية والاجتماعيـة، وفـي مقدمتها الخلافة كحق مقدس لبني أمية، وسط الغليان، والاضطراب المحموم الداعي

إلى تغيير الأوضاع الداخلية، فحينها تأصل النثر الأموي، وجاءت الخطابة بوصفها فناً أصيلاً ومظهراً من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعيـة والفكريـة والأدبيـة والإدارية، التي تصدرت أدب الولاة متأثرة بتلك الطوابع والظواهر التي ضخت الدم من جديد في شرايين الأدب العربي، وتطويع اللغة لأغراضها وبيان مزاياها، وفـي استجلاب المعنى الدقيق، واللفظ السليم مع الوجازة والرواء، فوجود شخصيات قوية الشكيمة من أمثال زياد بن أبيه، والمغيرة بن شعبة، وعتبة بن أبي سفيان، وعمـرو بن سعيد (الأشدق)، وموسى ابن نصير، والنعمان بن بـشير الأنـصاري، وخالـد القسري، وزياد بن عبيدا ، والحجاج، وقتيبة بن مـسلم البـاهلي، وابـن هبيـرة الفزاري، ونصر بن سيار، ويوسف بن عمر، وغيرهم من الذين أثبتوا في الأذهـان نظرياً وعملياً حقوق الحكومة المركزية، فكانت أعمالهم السياسية والحربيـة داعيـةً الناس إلى إظهار أن السلطان هو سلطان أمير المؤمنين، والجند جنده.

وفي الفصل الثالث، ومع اتساع الدولة الأموية، ازدهـرت حركـة التراسـل ازدهاراً رائعاً، وتنوعت الرسائل وتعددت موضوعاتها، وخصائصها الفنية، تنوعـاً كبيراً يفوق الحصر، فأنشئت لها الدواوين، وجاب إليها أفضل الكتـاب فـي ذلـك العصر.

وعلى هوامش الفن الكتابي والمكاتبات والمراسلات، جاءت التوقيعـات كفـن أدبي من فنون النثر العربي، ذُيلـت بهـا رسـائلهم ووشـحت، فأخـذت طابعهـا الموضوعي والفني.

وفي دراستنا لشعر الولاة وما وجه إليهم من أشعار الشعراء، نجد أن الشعر كان أداة من أدوات الحكم والرياسة عند بني أمية، فتناول الشعر الحياة السياسية الجديدة، وشؤون الحكم، وطلب البيعة، والولاء والتمرد، والمتتبع لأشعار الولاة، وما وجه لهم يرى أنهم يركزون على مفهوم الحق الإلهي المقدس، وأن الخلافة لا تصلح إلا في بني أمية، معربين عن ذلك بإحساسهم ونزعتهم القبلية، فكان الفخر والهجاء صنوان لا يفترقان عند هؤلاء الشعراء، فكان الطابع العام في شعرهم يسير في اتجاهين، اتجاه المصانعة لاستمالة الخلفاء والولاة ونيل العطايا والمكافآت، وضمان الأمن والاستقرار له ولقبلتيه، وكذلك إظهار الخلافة الأموية بصورة الخلافة الدينية

والدعوة إلى التشيع لها، فكان الشعر مشاركاً فاعلاً في إبراز أحداث العصر، ومن الولاة من شارك في صنع القرار السياسي الأموي، ومنهم من له مشاركة في مقارعة المعارضين والخارجين على نظام الخلافة، فكانت لهم مشاركة في الحروب الداخلية والخارجية.

لذا، عرضنا لأبرز الأسباب التي ساعدت على ازدهار حركة الشعر في ظـل الولاة، فوجدنا أن منها ما كان مرتبطاً بظروف العـصر وأحداثـه، كالـصراعات السياسية والقبلية والحروب الخارجية والفتن الداخلية، وفي شعرهم ظهـرت كـذلك صور البطولة في تصديهم للحركات المناهضة، كما صوروا حالة الذعر والخـوف التي انتابت الأعداء، فجعلتهم عاجزين عن الصمود أمام الجيوش الأموية، وكـذلك وقفنا عند أبرز الأغراض الشعرية التي ظهرت عند الولاة، فتبين لدينا أنها متعـددة الأغراض والجوانب، ومتنوعة وغنية بالاتجاهات والمعاني والظروف، ولكي نتبين مظاهر نشاط الشعر وازدهاره، وقفنا عند أبرز الشعراء سواء من الولاة، أو من كان على الساحة من الشعراء المؤيدين أو المعارضين.

فمن خلال الدراسة الموضوعية، استمد الشعر سماته وخصائصه الفنيـة مـن ظروف العصر، ووقائعه التاريخية والسياسية والثقافية والحربية، وشخصيات ولاته وشعرائه، وممن شاركهم هذا الواقع المرير من الشعراء الفرسان، الذين نظموا فـي المقطوعات القصيرة وفي القصائد المطولات؛ حيث اتـسم واخـتص بخـصائص وسمات فنية تمثلت في الإيمان في القول، والدقة في التعبيـر، وظهـور المعـاني الإسلامية، وظهور شذرات نقدية، ومذاهب أدبيـة كـالرمز والتلمـيح والإشـارة والازدواج والتقسيم والإغراب والتقعير، وشـيوع المحـسنات البديعيـة كالطبـاق والتشبيه والمقابلة والسجع، وسرعة البديهة، وشيوع بعض المـصطلحات والألفـاظ والمعاني المستحدثة، والصور البلاغية، وأما لغة الشعر، فقد تراوحت بين الـسهولة والغموض.

وأخيراً، أسأل ا العلي القدير التوفيق والسداد، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

المراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، وليد عبد المجيد،(2001م) **الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري،** مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1.

أبن أبي الحديد، عز الدين، أبو حامد،عبد الحميـد بـن هبـة ا ، (ت656هـ)، (1963) **شرح نهج البلاغة،** تحقيق: حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (أجزاء).

الآبي، أبو سعيد، منصور بن الحسين،(ت422ه)، (1980م) **نثر الدر،** تحقيق: محمد علي قرنة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، ج5.

أبن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين،(ت637هـ)، (د. ت) **المثل الـسائر فـي أدب الكاتب والشاعر،** تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، (د.ط)، ج1.

أبن الأثير،عز الدين علي بن محمد، (ت 630هـ)،(1982م) **الكامل في التـاريخ،** دار صادر، بيروت، (د.ط)،ج4.

أحمد، عبدالستار سيد،(2000م) **دراسـات فـي الأدب الأمـوي،** مديريـة الكتـب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة حلب، سوريا، ط1.

أحمد، لبيد إبراهيم،(1992م) **الدولة العربية الإسلامية في العـصر الأمـوي،** دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ط1.

الأخطل، غياث بن غوث التغلبي،(د. ت) **شـعره،** تحقيـق ونـشر: الأب أنطـون صالحاني، طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2.

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، (ت 370هـ)،(1964م) **تهـذيب اللغـة،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وآخرين، الدار القومية العربية للطباعـة، القاهرة، ط1،ج3.

الإسكندري، أحمد، وعنـاني، مـصطفى،(1927م) **الوسـيط فـي الأدب العربـي وتاريخه،** مطبعة المعارف، الفجالة، مصر، ط6.

الأصفهاني، أبو الفرج، (ت 356هـ)،(1976م) **الأغاني**، طبعة دار الكتب، وطبعة ساسي طبعة بولاق، دار الثقافة، بيروت،(أجزاء).

الأصفهاني، أبو الفرج، (ت 356هـ)، (د.ت) **مقاتل الطالبين**، شرح وتحقيق: أحمد صقر، دار إحياء الكتب العلمية،القاهرة، (د.ط).

الأعجم، زياد،(1983م) **شعره**، جمع وتحقيق ودراسة: يوسف بكار، دار المسيرة، بيروت، ط1.

الأعظمي، عواد مجيد،(1980م) **الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان**، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ط1.

الآمدي، أبو القاسم، الحين بن بشر، (ت370هـ)،(1961م) **المؤتلف والمختلف**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

أمين، أحمد،(1975م) **فجر الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11.

الأنصاري، النعمان بن بشير،(1968م) **شعره**، تحقيق وتقديم: يحيى الجبوري، طبع مطبعة المعارف، بغداد، ط1.

أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، (1972م) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2.

بابتي، عزيزة فوال،(1987م) **السياسة والأدب في العصر الأموي**، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع طرابلس، لبنان، ط1.

بابتي،عزيزة فوال،(1984م) **العصر الأموي – أدبه وحضارته -**، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ط1.

الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب، (ت403ه)،((د.ت) **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط2.

بطاينة، محمد ضيف ا ،(1985م) **"سياسة بني أمية في اختيار الولاة على البلدان"**، مجلة أبحاث اليرموك – بحث منشور- جامعة اليرموك، م1، ع2.

بطاينة، محمد ضيف ا ،(1999م) **دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

البطليوسي، أبو محمد، عبدا بن محمد السيد، (ت 521هـ)،(1983م) **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،** تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيـد، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1،ج1.

البغدادي،عبد القادر بن عمر، (ت1093هـ)،(1989م) **خزانة الأدب ولـب لبـاب لسان العرب،** تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخـانجي، القـاهرة، ط2، ج1.

البلاذري، أحمد بن يحيى،(ت279ه)،(1979م) **أنساب الأشراف،** تحقيق: إحـسان عباس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1،(أجزاء).

البلاذري،أحمد بن يحيى، بن جابر،(ت279هـ)،(1956م) كتاب: **فتوح البلـدان،** تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د،ط).

بنيس، محمد، (1990م) **ظاهرة الشعر المعاصر فـي المغـرب (مقارنـة بنيويـة تكوينية)،** دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1.

البهبيتي، نجيب محمد،(1970م) **تاريخ الشعر العربي حتى آخـر القـرن الثالـث الهجري،** دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4.

البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت 360هـ)، (د. ت) كتاب: **المحاسـن والمـساوئ،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، الفجالـة، القـاهرة، (د.ط).

التميمي، قحطان رشيد،**(**1982م **) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري،** دار الميسرة، بيروت، ط1.

التوحيدي، أبو حيان،(ت414هـ)،(1964م) **البصائر والذخائر،** تحقيق: إبـراهيم الكيلاني، مطبعة الإنشاء، بغداد،ط1.

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت 429 هـ)،(1984م) كتاب: **خاص الخاص،** تحقيق وتعليق: صادق النقوي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ ـ)،(1943م) كتـاب: **الحيـوان،** تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبـي، القـاهرة، ط1، ج1.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت 255هـ)،(1965م) **رسـائل الجـاحظ،** تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط).

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحـر، (ت255هـ ـ)،(1960م) كتـاب: **البيـان والتبيين،** تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج1-4.

الجبوري، يحيى،(1972م) **الشعر الجاهلي – خصائصه وفنونـه** – دار التربيـة، بغداد، ط1.

الجبيلي، سجيع جميل،(1998م) **البيت السفياني فـي الـشعر الامـوي،** المكتبـة العصرية، بيروت، ط1.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471هـ)،(1939م) **أسرار البلاغـة،** تعليق وشرح: محمد رشيد رضا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القـاهرة، ط3.

الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ)،(1983م) كتاب: **التعريفات،** دار الكتـب العلمية، بيروت، ط1.

أبن جعفر، قدامة، أبو الفرج، (ت 337 هـ)،(1938م) **نقد الشعر،** طبعـة لجنـة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د.ط).

أبن جعفر، قدامة، أبو الفرج،(ت337هـ)،**(** 1981م) **الخراج وصـناعة الكتابـة،** تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط1.

جميل، بثينة، (ت82هـ)،(1953م) **ديوانه،** تحقيق: بطرس البستاني، مكتبـة: دار صادر، بيروت، ط1.

الجنابي، عبد الكريم إبراهيم دوحان،(2005م) **تاريخ الخطابة العربية إلـى القـرن الثاني الهجري،** مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1.

جنيت، "جيرار"،(1985م) مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الـرحمن أيـوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1.

الجهشياري، أبو عبد ا ، محمد بن عبـدوس، (ت331هــ)،(1938م) كتـاب: **الوزراء والكتـاب**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، مكتبة البـابي الحلبي، القاهرة،(د،ط).

الجومرد، محمود،(1985م) **الحجاج، رجل الدولة المفترى عليه**، منشورات شـركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، بغداد ط1.

الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد، (ت313هـ)، (د.ت) **الـصحاح – تـاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط).

جيدة، عبد الحميد،(1985م) **قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعـي وابـن الرومـي**، منشورات دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

حداد، حنا جميل،(1999م) هجاء الأضياف، حميد بن مالك الأرقط حياته وما وصل إلينا من شعره، بحث منشور، **مجلة جذور**، دورية، جدة، السعودية، مـج1، ج1، ذو القعدة 1419هـ/ فبراير.

أبن حزم،(1962م) **جمهرة أنساب العرب**، تحقيـق: عبـد الـسلام هـارون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط).

حسب ا ، بهاء،(2007م) **الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام – تاريخ وتذوق –** دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1.

حسن، إبراهيم،(1953م) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتمـاعي**، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، (د،ط)،1.

حسين، (محمد محمد)،(1947م) **الهجاء والهجاءون في الجاهلية**، مكتبـة الآداب، بالجماهيز، القاهرة، ط1.

حسين، طه،(د.ت) **في الأدب الجاهلي**، مطبعة مصطفى البابي الحلبـي، القـاهرة، (د.ط).

الحصري، إبراهيم بن علي،ت(453ه)،(1953م) **زهـر الآداب وثمـر الألبـاب**، تحقيق: محد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، ج4.

حلبي، أحمد طعمة،(2007م) أشكال التناص الشعري في شعر البيـاتي، نموذجـاً، مجلة الموقف الأدبي، دمشق،ع 430، شباط.

أبو حلتم، نبيل خليل،(1985م) **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجـري(من خلال يتيمة الدهر)**، دار الثقافة، الدوحة، ط1.

حمادة، محمد ماهر،(1981م) **الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأمـوي** (40-132هـ / 661-750م)، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، بيـروت، ط2.

الحموي، ياقوت، أبو عبد ا ، (626هـ)،(1957م) **معجم البلدان**، دار صـادر، بيروت، (د.ط)، مج3.

حميدة، عبد الرزاق،(1947م) **سيف بني مروان – الحجاج الثقفـي-،** دار الفكـر العربي، القاهرة، (د.ط).

حميدة، عبد الرزاق،(1949م) **أدب الخلفاء الأمويين**، مكتبـة الأنجلـو المـصرية، القاهرة، ط1.

الحميري، يزيد بن مفرغ، (ت 69هـ)،(1975م) **ديوانه**، جمـع وتحقيـق: عبـد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

الحنبلي، ابن العماد، (ت1089هـ)،(1350هـ) **شذرات الذهب فـي أخبـار مـن ذهب**، مكتبة القدسي، مصر، ط1،ج1.

الحوفي، أحمد محمد،(1972م) **فن الخطابة**، دار نهضة مـصر للطبـع والنـشر، الفجالة، القاهرة، ط4.

الحوفي، أحمد محمد،(1979م) **أدب السياسة في العصر الأموي**، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ط5.

الخربوطلي، علي،(1959م) **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي**، دار المعـارف، مصر، ط1.

خريسات، محمد عبد القادر،(2005م) **الدولة الأموية من النهوض إلـى الـسقوط (41-132هـ/661-750م)**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنـشر والتوزيع، إربد، ط1.

أبو الخشب، إبراهيم علي،(د.ت) **الأدب الأموي- صورة رائعة من البيان العربـي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وشركة الإسكندرية للطباعة والنشر،القاهرة، (د. ط).

خطاب، محمود شيت،(د.ت) **قادة الفتح الإسلامي في ما وراء النهر**، بغداد، ط1.

الخطفي، جرير بن عطيه، (ت 114هـ)، (د. ت) **ديوانه**، شرحه: محمد إسـماعيل عبدا الصاوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، (د. ط).

الخفاجي، ابن سنان، **سر الفصاحة**،(ت 466ه)،(1932م) مطبعة الخانجي، القاهرة، ط1.

خفاجي، محمد عبد المنعم،(1990م) **الأدب العربي وتاريخه في العصرين – الأموي والعباسي** – دار الجيل، بيروت، (د. ط).

خفاجي، محمد عبد المنعم،(1990م) **الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام**، دار الجيـل، بيروت، ط1.

خفاجي، محمد عبد المنعم،(1993م) **أعلام الأدب- في عـصر بنـي أميـة** – دار الجيل، بيروت، ط1،ج 1.

خفاجي، محمد عبدالمنعم،(1980م) **الحياة الأدبية – عصر بني أمية – دار الكتـاب اللبناني**، بيروت، ط2.

أبن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ)،(1984م) **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي السلطان الأكبر – المقدمة-**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5.

أبن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد، (ت681هـ)،(1987م) **وفيات الأعيان وأنبا أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيـروت، ط1، ج1-2.

خليف، مي يوسف،(1994م) **النثر الفني بين صدر الإسلام والعـصر الأمـوي، - دراسة تحليلية** – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

خماش، نجدت،(1980م) **الإدارة في العصر الأموي**، دار الفكر، دمشق، ط1.

خماش، نجدت،(1987م) **الشام في صدر الإسلام (من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية) دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية**، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق، ط1.

الخواجة، إبراهيم شحادة،(1984م) **شعر الصراع الـسياسي فـي القـرن الثـاني الهجري**، منشورات – جامعة الكويت، الكويت، ط1.

الدؤلي، أبو الأسود،(1974م) **ديوانه**، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيـق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1.

الدخيل، محمد بن ناصر،(2001م) فن التوقيعات الأدبية فـي العـصر الإسـلامي والأموي والعباسي، (بحث منشور)، **مجلة جامعة أم القرى**، علوم الـشريعة واللغـة العربيـة وآدابهـا، مكـة، مجلـد 13، عـدد22، ربيـع الأول 1422ه/أيار/2001م.

الدروبي، محمد، محمود، وصلاح محمد جرار،(1999م) **جمهرة توقيعات العـرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية، مج1.

أبو دياب، خليل،(2006م) **الأدب الأموي**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد ا بن مـسلم (ت276ه)،(1957م) **الإمامـة والسياسية**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ط2.

الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد ا بن مسلم، (ت276هـ).**(** 1958م) **الـشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعـارف، مـصر، (د.ط)، ج 1،2.

الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد ا بن مسلم، (ت276هـ ـ)، (د.ت) **عيـون الأخبار**، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط).

الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبـد ا بـن مـسلم، (ت276هـ ـ)،(1987م) **المعارف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود، (ت282هـ ـ)،(1959م) **الأخبـار الطـوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار المسيرة، بيروت، (د.ط).

الذهبي، أبو عبد ا ، محمد بن أحمد، (ت748هـ)،(1990م) **سير أعلام النبلاء،** تحقيق: شعيب الارنؤوط، ومحمد نعيم، ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط1.

الرازي، أبو بكر، محمد بن عبدالقادر، (ت691 هـ)،(1978م) **مختار الصحاح**، المكتبة الأموية، دمشق، (د. ط).

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم، حسين بن محمد، (ت502هـ)،**(** 1961م) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1.

الرقيات، عبيد ا بن قيس، (ت75هـ)،(1958م) **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت، دار صادر، بيروت، ط1.

رمضان، صالح، (1988م) الأشكال التعبيرية في رسائل الجاحظ، **مجلة حوليات الجامعة التونسية، كليات الآ داب، تونس، ع29.**

الرواشدة، سامح،**(**2001م) **إشكالية التلقي والتأويل (دراسة في الشعر العربي الحديث)،** منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1.

الرواضية، صالح محمد،**(**1994م) **زياد بن أبيه - ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام** -، منشورات – جامعة مؤتة – عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ط1.

زراقط، عبد المجيد حسين،(1983م) **الشعر الأموي بين الفن والسلطان،** دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

الزركلي، خير الدين،(2002م) **الأعلام،** دار العلم – للملايين -،بيروت، ط15.

زكي، أحمد كمال،(د.ت) **الحياة الأدبية في البصرة – إلى نهاية القرن الثاني الهجري،** دار المعارف، مصر، د.ط.

الزمخشري، أبو القاسم، جار ا محمود، (ت538هـ)، (د.ت) **أساس البلاغة**، طبعة الشعب، القاهرة، (د.ط).

أبو زهرة، محمد،(1980م) **الخطابة- أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2.

زيدان، جورجي، (1904م) **تاريخ اللغة العربية**، مطبعة الهلال، مصر، ط1.

سركيس، إحسان،(1981م) **الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

أبن سعد، محمد بن سعد، (ت230هـ)، (د.ت) **الطبقـات الكبـرى**، دار صـادر، بيروت (د.ط).

سلام، علي محمد،(1989م) **الأدب الأموي في الأندلس وأشـهر أعلامـه**، الـدار العربية للنشر، بيروت، (د. ط).

السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ)،(2006م) **تاريخ الخلفاء**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1.

شاكر، محمود،(1999م) **سلسلة الخلفاء- الوليد بن عبد الملك وأسرته -،** المكتب الإسلامي بيروت، دمشق،عمان، ط1.

الشايب، أحمد،(1954م) **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، طبـع ونـشر مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة، ط2.

الشايب، أحمد،(1976م) **تاريخ الشعر السياسي إلـى منتـصف القـرن الثـاني الهجري**، دار القلم، بيروت، ط5.

الشباني، محمد عبدا ،(1979م) **نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسـلامية-منـذ صدر الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية**، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

شكري، فيصل،(1981م) **المجتمعات الإسـلامية فـي القـرن الأول – نـشأتها، مقوماتها، دورها اللغوي والأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5.

الشكعة، مصطفى،(1979م) **رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية**، عـالم الكتـب، بيروت، ط3.

الشكعة، مصطفى،(1993م) **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية – كتـاب النثـر**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3.

الشكعة، مصطفى،(د، ت) **معالم الحضارة الإسلامية**، دار العلم للملايين – بيروت، (د، ط).

شلبي، أحمد،(1983م) **السياسة في الفكر الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د،ط).

الشيباني، النابغة،عبد ا بن المخارق بن سليم، (ت 125 هـ)،(1932م) **ديوانه**، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1.

صفوت، أحمد زكي،(1971م) **جمهرة خطب العرب، في عصور العربية الزاهرة**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط2،ج2.

صفوت، أحمد زكي،(1971م) **جمهرة رسائل العرب، في عصور العربية الزاهرة**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط2، ج2.

الصلابي، علي محمد،(2008م) **الدولة الأموية – عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**-، دار المعرفة، بيروت، ط 2، ج2.

الصلاح، تحسين محمد،(1999م) **عدي بن الرقاع العاملي – حياته وشعره** -، وزارة الثقافة الأردنية عمان، ط1.

ضيف، شوقي،(1952م) **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة ط6،

ضيف، شوقي،(1960م) **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، بمصر، ط1.

ضيف، شوقي،(1961م) **تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي** – دار المعارف، القاهرة، ط1.

ضيف، شوقي،(1963م) **العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، (د.ط).

ضيف، شوقي،(1963م) **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، القاهرة، ط2.

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت 310هـ)،(1967م) **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، ج3.

الطِّرماح، الطّائي،(1994م) **ديوانه**، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ط2.

طقوش، محمد سهيل،(1996م) **تاريخ الدولة الأموية**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

طه، نعمان محمد أمين،(1978م) **السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، الدار التوفيقية للطباعة، الأزهر – القاهرة، ط1.

العاملي، عدي بن الرقاع،(1987م) **ديوانه**، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1.

عباس، إحسان،**(**1982م) **ديوان شعر الخوارج**، دار الشروق، بيروت، ط4.

عباس، إحسان،(1999م) **تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م)**، مطبعة الجامعة الأردنية،عمان، ط2.

أبن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد ا ، (ت 275 هـ)،(1996م) **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد الحميري، دار الفكر، بيروت، ط1.

عبد اللطيف،عبد الشافي محمد،(2008م) **العالم الإسلامي في العصر الأموي – دراسة سياسية**- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1.

عبد المطلب، محمد،(1995م) **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهره، ط1.

أبن عبدربه، أبو عمر، شهاب الدين، (ت 328هـ)،(1999م) **العقد الفريد**، تحقيق: بركات يوسف دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، (أجزاء).

عبود، مارون،(1979م) **أدب العرب – مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله – وخطوط أولى من صورهم**، دار مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ط2.

عبود، مارون،(1979م) **أدب العرب**، دار الثقافة، بيروت، دار مارون وعبود، بيروت، ط3.

أبو عبيدة، القاسم بن سلام، (ت224هـ)،(1986م) **كتاب الأموال**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

العتكي، ثابت قطنة،(1970م) **شعره**، جمع وتحقيق: ماجد أحمد السامرائي، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ط1.

عتيق، عبد العزيز،(2001م) **في الأدب الإسلامي الأموي**، دار النهـضة العربيـة، بيروت، ط1.

العجاج، رؤبة،(1903م) **ديوانه (نشر ضـمن مجمـوع أشـعار العـرب)**، نـشر وتصحيح: وليم الورد، طبع (لايبزك)، (د. ط).

أبن عذارى، أبو عبد ا محمد، (ت695هـ)، (د،ت) **البيان المغرب فـي أخبـار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنـسال، دار الثقافـة، بيروت، (د، ط)، ج1.

أبن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة ا بن عبـد ا ، (ت571هـ ـ)، **(**1995م **) تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين، أبي سعيد عمـر بـن غرامة العمروي، شرح: حازم بن حسين، وحسام بن ضـرار، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، مج12،16.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت773هـ)،**(** 2001م) **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيـروت، ط1: مج14.

العسكري، أبو هلال، الحـسن بـن عبـد ا (ت 395هـ ـ)،(1971م) كتـاب: **الصناعتين،** تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، مطبعة عيـسى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد ا ، (ت395هـ)،(1987م) كتاب: **الأوائل**، دار الكتب العلمية، بيروت،(د،ط).

العسيلي، بسام،(1988م) **قتيبة بن مسلم الباهلي،** دار النفائس، بيروت، ط2.

العش، يوسف،(1985م) **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتـداء من فتنة عثمان،** دار الفكر، دمشق، ط 2.

العصفري، خليفة بن خياط، (ت 240هـ)،(1985م) **تاريخ خليفـة بـن خيـاط**، تحقيق: أكرم العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط2.

عطوان، حسين،(1974م) **الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي**، دار الجيـل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، ط1.

عطوان، حسين،(1981م) **الوليد بن يزيد – عـرض ونقـد –** طبـع دار الجيـل، بيروت، ط1.

عطوان، حسين،(2005م) **نصوص من الأدب الأموي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1.

عطوان، حسين،(2008) **جمهرة الخطب الأمويـة**، مؤسـسة الرسـالة، بيـروت، ط1،ج1-4.

العلاق، علي جعفر،**(**2002م) **الدلالة المرئية في شعرية القـصيدة الحديثـة**، دار الشروق،عمان، ط1.

العلي، صالح أحمد،(1969م) **التنظيمات الاجتماعية والاقتـصادية للبـصرة فـي القرن الأول الهجري**، دار الطليعة، بيروت،ط2.

العلي، صالح أحمد،(1973م) مقالة بعنوان**:** إدارة خراسان في العهـود الإسـلامية الأولى، (بحث منشور)، **مجلة: كلية الآداب** - جامعة بغداد، عدد 15، سنة.

العمد، إحسان صدقي،(1981م) **الحجاج بـن يوسـف الثقفـي – حياتـه وآراؤه السياسية**، دار الثقافة، بيروت، ط2.

عياش، حسن،(2006م) **الولاة والعمال في صدر الإسلام – دراسة في تطور الجهاز الإداري للدولة العربية منذ فترة الرسول – صلى ا عليه وسلم – وحتـى نهاية الدولة الأموية**، دار الجيل العربي للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

غريب، جورج،(1983م) **عصر بني أمية – نماذج نثرية محللـة -**، دار الثقافـة، بيروت، ط4.

الغزي، الهادي حمودي،**(**1976م) **الشعر الأموي في خراسان والـبلاد الإيرانيـة**، الدار التونسية للنشر، تونس، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1.

الفاخوري، حنّا،(1987م) **تاريخ الأدب العربي**، المكتبة البوليسية، لبنان، ط12.

أبن فارس، أبو الحسن، (ت 395ه)،(1963م) كتاب: **الصاحبي فـي فقـه اللغـة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: مصطفى الـشويمي، مؤسـسة: بـدران للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

أبن فارس، عزت محمود،(2006م) **أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، دار يافا- للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

الفايز، مفلح النمر،**(**2001م) **شعر القبائل اليمانية الشّامية في العصر الأموي**، دار الينابيع للنشر، عمان، ط1.

الفرزدق، همام بن غالب،(1936م) **ديوانه:** تحقيق وشـرح: عبـد ا إسـماعيل الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1،ج1-2.

فروخ، عمر،(1981م) **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، دار العلم للملايـين، بيروت، ط5.

أبن الفقيه، أبو بكر، أحمد بن إبراهيم، (ت: في القرن الخامس الهجري)،**(** 1906م) **مختصر كتاب البلدان،** مصور عن طبعة ليدن.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب،(ت823هـ ـ)،(1952م) **القـاموس المحـيط**، المؤسسة العربية، بيروت، (د.ط).

قاسم، عون الشريف،(1991م) **شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع**-، دار الجيل، بيروت، دار المأمون المحمودة، الخرطوم، ط 2.

القاضي، النعمان،(1965م) **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.

القاضي، النعمان،(1970م) **الفرق الإسلامية في الـشعر الأمـ**وي، دار المعـادن، مصر، ط1.

القالي، أبو علي، (ت356هـ)، (د.ت) كتاب: **ذيل الأمالي والنوادر**، دار الفكـر، بيروت (د.ط).

القط، عبد القادر،(1979م) **في الشعر الإسلامي والأموي،** دار النهـضة العربيـة، بيروت، ط1.

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ)،(1964م) **مآثر الأناقة في معالم الخلافـة**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1.

القلقشندي، أحمد بن علي،(ت821هـ)، (د.ت) **صبح الأعشى في صناعة الإنـشا**، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، (أجزاء).

قميحة، جابر،(1984م) **أدب الخلفاء الراشدين**، دار الكتاب المصري، القـاهرة،دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1.

القيرواني، أبو الحسن، علي بن رشـيق، (ت 456هـ)،(1981م) **العمـدة فـي محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبـد الحميـد، دار الجيل، بيروت، ط5، ج 1،2.

القيسي، نوري حمودي، وزميلاه،(1987م) **تاريخ الأدب العربي قبل الإسـلام**، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د. ط).

القيسي، نوري حمودي،(1982م) **شعراء أمويون**، دراسة وتحقيق: نوري حمـودي القيسي، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، ط1، ق2،3.

الكبيسي، عبد المجيد،(1974م) **عصر هشام بن عبد الملك**، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ط1.

أبن كثير، إسماعيل،(ت774هـ)،(1992م) **البداية والنهاية**، تحقيق: أحمـد عبـد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط1، ج8.

الكندي، محمد بن يوسف، (ت256هـ)، (د.ت) **ولاة مصر**، تحقيق: حسين نصار، دار صادر بيروت، (د.ط).

الكوفي، أبو محمد، أحمد بن أعثم (ت 314هـ)،(1975م) **كتاب**: **الفتوح**، طبعـة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط1،ج8.

ماجد، عبد المنعم،(1966م) **التاريخ السياسي للدولة العربيـة – عـصر الخلفـاء الأمويين-**، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط3.

الماوردي، أبو الحسن، علي بن حبيب، (ت450هـ)،(1973م) **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط3.

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، (ت285هـ)،(1999م) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، **الكامل في اللغة والأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

المجذوب، عبد الله الطيب،(د.ت) **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، تقديم: طه حسين، دار النهضة، مصر، (د.ط)، ج1.

محمود، حسن أحمد، ومنى حسن محمود،(1999م) **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي – حتى سقوط الخلافة** – دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

محمود، حسن أحمد،(د، ت) الكندي المؤرخ، أبو عمر محمد بن يوسف المصري – **كتابه- الولاة والقضاة**،(د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

المديني، أحمد،(1989م) في أصول الخطاب النقدي الجديد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2.

المراكشي، عبد الواحد، (ت 647هـ)،(1963م) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، والعربي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2.

المرزباني، أبو عبد الله، محمد بن عمران، (ت384هـ)،(1960م) **معجم الشعراء**، تحقيق: عبدالستار فراج، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط).

المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن، (ت421هـ)،(1951م) **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د. ط)، ج 2.

المزي، جمال الدين، (ت742 هـ)،(1985م) **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،ج 19.

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت 355هـ)، (د،ت) **التنبيه والإشراف**، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، بغداد، (د،ط).

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت 355هـ)،(1946م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط4، ج1-3.

المسعودي، علي بن الحسين،(ت346هـ)،(1981م) **التنبيه والإشراف،** دار مكتبة الهلال، بيروت، (د.ط).

مفتاح، محمد،(1992م) **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3.

المقداد، محمود،(1992م) **قراءات في أدب العصر الأموي –القسم الثاني النثر-،** منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط1.

المقدسي، أنيس،(1982م) **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،** دار العلم للملايين، بيروت، ط 7.

المقدسي، أنيس،(1984م) **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة،** دار العلم للملايين، بيروت، ط4.

المقري، أحمد بن محمد، (ت 1041هـ)،(1968م) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1،ج1.

ملحس، ثريا عبد الفتاح،(1989م) **مدخل إلى أدب العصر الأموي،** الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط1.

أبن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)،(1999م) **لسان العرب،** اعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، ج15.

موافي، عثمان،(1975م) **من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،** مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط).

موسى، عز الدين عمر،(1997م) "قراءة في علاقة بني أمية بالموالي : وولاتهم وعمالهم في إفريقية" (بحث منشور)- **مجلة البيان للبحوث والدراسات،** جامعة آل البيت، مج1، ع2.

الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد (ت 518 هـ)،(1979م) **مجمع الأمثال:** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، ج2.

الناطور، شحادة علي،(1996م) **تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان،(65هـ/685م-86ه/705م)،** دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، ط1.

النجار، محمد الطيب،(1981م) **الدولة الأموية في المشرق**، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر، القاهرة،(د.ط).

النص، إحسان،(1965م) **الخطابة السياسية في عصر بني أمية**، منشورات: جامعة دمشق، سورية، ط1.

النص، إحسان،(1973م) **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار الفكر، دمشق، ط2.

نصار، حسين**،(**1983م) أدب المراسلات في العصر الأموي**،** -(بحث منشور)- **مجلة عالم الفكر**، الكويت، مج 14، ع3، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ)، (د.ت) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،(د.ط)،ج 20.

النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، (ت261هـ)،(1998م) **صحيح مسلم**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

الهاشمي، أحمد،(1983م) **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط29.

الهاشمي،عبد المنعم،(2002م) **الخلافة الأموية**، دار ابن حزم، بيروت، ط1.

هدارة، محمد مصطفى،(1975م) **مشكلة السرقات في النقد العربي (دراسة تحليلية مقارنة)**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2.

الهزايمة، نوال عباس،(1988م) **المغيرة بن شعبة الثقفي،(20ق.هـ - 50هـ/603م- 670م)** رسالة ماجستير، كلية الآداب – قسم التاريخ، جامعة اليرموك.

الهليس، عمرو سعيد،(2002م) **شعر الوقائع في القرن الثاني الهجري**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

همدان، أعشى، (ت 83هـ)،(1983م) **ديوانه وأخباره**، تحقيق: حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، ط1.

الهمذاني، أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ)،(1980م) **كتاب: الإكليل**، تحقيق: محمد ابن علي الأكوع، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط 1، ج2.

الواد، حسين، (1993م) **في تاريخ الأدب – مفاهيم ومناهج**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2.

ياسين، نضال إبراهيم،(1989م) **الشعر العربي في ظل بني المهلب في العصر الأموي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق.

اليعقوبي، أبو يعقوب، أحمد ابن جعفر،(ت292هـ)،(1960م) **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، دار بيروت، بيروت، (د.ط).